
حياتنا في الجنة
الزعفران المطحون
المسك المكعب المجمد
الياقوت بأنواعه وألوانه
جمع وترتيب
صهيب الشامي
كتاب يُشعرك كأنك في الجنة...
الطبعة الأولى
٢٠١٩م-١٤٤٠هـ

حياتنا في الجنة

كتاب يُشعرك كأنك في الجنة

جمع وإعداد وتحقيق
صهيب الشامي

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ_٢٠١٩م

حياتنا في الجنة
صهيب الشامي

الإهداء..

إنه يشبه المقبّلات التي تفتح شهيّة مواصلة القراءة، وبين دَفتّي كل كتاب توجد حديقة غنّاء، وقبل أن نتنزّه فيها تصادفنا وردة معلّقة، وباقة أزهار مغلّفة على الصفحات الأولى، هي باقة "الإهداء".

وقد أوصانا نبينا عليه الصلاة والسلام بالإهداء، وأنه من السبل والطرق الموصلة للمحبة والألفة والمودّة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"تَهَادَوْا تَحَابُّوا"**[1].

فإلى خير البريّة، وسيّد البشريّة، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.
الذي بسببه أخرجنا الله من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.
الذي أدّى الرسالة على أفضل وجه، وأتمّ بيان وتبيان.
والذي أدّى الأمانة ونصح الأمّة، وحداها وبيّن لها الطريق القويم المستقيم.
والذي جاهد في الله حق جهاده، حتى أظهر الله به الدين، وهزم به الشرك والمشركين، فصلوات ربي وسلامه عليه.

وإلى من علمني النجاح والصبر، ولم يبخل عليَّ بمشورة ولا استشارة، وإلى من كان بجانبي ولا زال في مواجهة الصعاب والملمّات والمدلهمّات؛ الوالد العزيز، أطال الله بقاءه.
وإلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبّرة عن مكنون ذاتها، وإلى من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه، وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها، ليخفّف من آلامي؛ أمي الغالية، أمدّ الله في عمرها.
وإلى رفيقة الدرب، وصديقة العمر، وشريكة الحياة؛ زوجتي الطيّبة التي لم تدّخر وقتاً ولا جهداً إلا وأعطتني إياه.

وإلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره، أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه، فأظهر بسماحته تواضع العلماء وصبر الحكماء؛ علماءنا وأساتذتنا وشيوخنا.
وإلى الأنصار العاملين المخلصين المجتهدين، في مشارق الأرض ومغاربها، لعودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، أنصار الإمام المهدي عليه السلام.

وإلى المجاهدين الذين بذلوا الغالي والنفيس، وبذلوا الأنفاس والأرواح، وجاهدوا في سبيل الله وسبيل إقامة الدين، وليس ممن بذل روحه في سبيل الديموقراطية والوطن، تلك التي هي أصنام عصرنا وزماننا.
وإلى الذين سيجاهدون مع المهدي عليه السلام، ويفتحون البلاد وقلوب العباد بتطبيق سنن ووصايا النبي عليه الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ويقاتلون الروم واليهود والأمريكان في الحرب العالمية الثالثة -الملحمة العظمى- ، ويقاتلون الدجال.
وإلى كل المسلمين الموحدين في مشرق الأرض ومغربها.

إلى كل هؤلاء، إليهم أهدي كتابي.

وأسأل الله لي ولكم أن يجمعني بكم في جنة عالية، قطوفها دانية، وفي دار كرامته، ومستقر رحمته، ومنتهى رضوانه، في ربوة الجنة من الفردوس الأعلى: **{مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا}**[2].

[1]_[حديث حسن أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وابن الملقن والعراقي وأبو يعلى وابن عدي وابن حجر والسخاوي وابن أبي الدنيا مطولاً، والديلمي والطبراني ومحمد الغزي والزرقاني وجار الله الصعدي والسفاريني الحنبلي والرباعي والألباني والأرناؤوط].

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: **{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**([3])

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"يقولُ اللّهُ عزَّ وجلَّ: أعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا، بَلْهَ ما أطْلَعَكُمُ اللّهُ عليه ثُمَّ قَرَأَ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}"([4]).**

2_[النساء: ٦٩].
3_[التوبة: ١١١].
4_[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه].

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي جعل الجنة لعباده المؤمنين نزلاً، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً، وسهّل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللاً.
خلقها لهم قبل أن يخلقهم وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم وحفها بالمكاره وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً.
وأودعها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...
وجلّاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر...
وبشّرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهي خير البُشر على لسان خير البشر..
وكمّل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه، صلى الله عليه وآله وسلم، ورضي الله عن صحابته الغر الميامين، وبعد:
إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً، ولم يتركهم سدى بل خلقهم لأمر عظيم، وخطب جسيم، عُرض على السماوات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقاً ووجلاً، وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعاً وطاعة، وإن خيّرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلاً، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله، وباء به على ظلمه وجهله، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة لا ينظرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار، ولا يتفكّرون في قلّة مقامهم في الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة، وغرّتهم الأماني الباطلة والخدع الكاذبة، فخدعهم طول الأمل، وران على قلوبهم سوء العمل، فهمّهم في لذات الدنيا وشهوات النفوس كيف حصلت حصولها، ومن أي وجه لاحت أخذوها، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافات ووحداناً، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من الله ولا رضواناً: **{يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}**([5])، وقال: **{فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}**([6]).

علم الموفّقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم، فإذا عَلَم الجنة قد رفع لهم فشمّروا إليه وإذا صراطها المستقيم قد وضّح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، في أبد لا يزول ولا ينفذ بصبابة عيش؛ إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوّب بالنغص، ممزوج بالغصص؛ إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سُرّ يوماً أحزن شهوراً؛ ألآمه تزيد على لذّاته وأحزانه أضعاف مسرّاته، وله مخاوف وآخره متألف؛ فيا عجباً من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها السماوات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكارا عرابا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيّئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحورا مقصورات في الخيام، بخبيثات مسيبات بين الأنام، وأنهارا من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذّة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم، وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادي: يا أهل الجنة، إنّ لكم أن تنعموا فلا تيأسوا وتحيوا فلا تموتوا وتقيموا فلا تظعنوا وتشبوا فلا تهرموا.

---

[5] _[الروم: 7].
[6] _[الحشر: 19].

فهم في روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسرّتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتّكئون، وبالحور العين يتنعّمون، وبأنواع الثمار يتفكّهون، يطوف عليهم ولدان مخلّدون، بأكواب وأباريق وكأس من معين، لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيّرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عين، كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعلمون، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون.

تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد فما قبل ولا استام!
إلا أفراد من العباد، فواعجبا لها كيف نام طالبها، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها، وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها، وكيف قرَّ للمشتاق القرار، دون معانقة أبكارها، وكيف قرّت دونها أعين المشتاقين، وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين، وبأي شيء تعوّضت عنها نفوس المعرضين.
إنها جنة الرحمن التي يسعى لها صادقوها، ويبتعد عنها كاذبوها،فجدوا في السير أيها الصادقون، واقرأوا عنها أيها الساعون، وتصفحوا عنها أيها العاملون، اكتشفوا ما لكم فيها من النعيم المقيم، مع الحور العين والحور الطين، التي أعاد وأنشأ الله خلقها فتبارك الله أحسن الخالقين.

فأين المشمّرون الصادقون المطيعون، هلمّوا إلى جنات النعيم فهي والله نور يتلألأ، وجنة واسعة طيبة طعامها وشرابها، ولذة دائمة مع الأزواج والحور الحسان، وآخر ذلك كله رضوان الله، فلا تُخْرجوا منها أبداً، وينادي فيها المنادي: يا أهل الجنة إنّ لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبدا، وإنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإنّ لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدا، فيا فوز من لبّى النداء، وكشف عن ساعد الجد والاجتهاد، ويا فوز من كان من أهل الجنان ومجاور الرحيم المنان.

إنَّ هذا الكتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه واختصاره، وتخريج أحاديثه وآيه، وقد أخرجت موضوعاته من كتب ومصادر عدّة، ونقيّته ونظّفته من الزوائد والشوائب، فأصبح سائغاً رائقاً للقارئين، وماتعاً نافعاً للعاشقين، وكان من أبرز الكتب والمصادر، كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم الجوزية ذو الألف وثماني مائة صفحة، وكتاب مشارع الأشواق وغيرها من الكتب، واختصرته على قدر المستطاع بدون إخلال بالمعنى، وحاولت فيه شرح ما صعب من فهم بعض المفردات، وما استعصى للخيال تصوّره من الإشكاليات، عسى أن يقرّب بذلك الأفهام ويقصّر الخيال ليجعله حراً من الإبهام ليدركه العاقل الإنسان.

استغرق كتابة مواضيعه ومدّة جمعه وتحقيقه وتدقيقه ما يربو على السنتين تقريباً، وجعلت عنصر التدريج والتشويق هو الأساس الذي بُني عليه الكتاب، وكذلك بيّنت حكم الحديث فيه، من صحيح وحسن وضعيف، ونقيّته من الشوائب والزبد، وزيّنته بنونية ابن القيم، ما وجدت إلى ذلك سبيلاً.

فهو للمحزون سلوة، وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة، محرك للقلوب إلى أجلّ مطلوب، وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس، ممتع لقارئه، مشوق لناظره، لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد، على ما لعل المجتهد في الطلب، لا يظفر به فيما سواه من الكتب، مع تضمينه من الآثار والحكايات التي وقعت للمجاهدين في سبيل الله.

وإن مواضيع الكتاب شاملة وافية كافية، معبّرة عما فيها من المطالب الرائقة، بأجود بيان وأحسن عبارة، بحيث تسرُّ قلوب الناظرين، وتجلو خواطر المشتاقين، وتعشّر خطى العاشقين، وترفع هممهم حتى تلامس قمم الجبال، وحيث أنه يغنيك عن كتب كثيرة شتّى، ويغنيك عن الالتفات والمطالعة لغيره من الكتب، فأرجو أن يكون قد نال رضاكم، وحاز على مناكم.
فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله براء منه ورسوله.

أهل الأعراف من هم؟

إن المسلمين يوم القيامة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:
قسم ترجح حسناتهم على سيئاتهم، فهؤلاء لا يعذبون ويدخلون الجنة، وقسم آخر ترجح سيئاتهم على حسناتهم، فهؤلاء مستحقون للعذاب بقدر سيئاتهم ثم ينجون إلى الجنة، وقسم ثالث سيئاتهم وحسناتهم سواء، فهؤلاء هم أهل الأعراف ليسوا من أهل الجنة، ولا من أهل النار، بل هم في مكان برزخ عالٍ مرتفع يرون النار ويرون الجنة، يبقون فيه ما شاء الله وفي النهاية يدخلون الجنة، وهذا من تمام عدل الله سبحانه وتعالى أن أعطى كل إنسان ما يستحق، فمن ترجّحت حسناته فهو من أهل الجنة، ومن ترجحت سيئاته عذّب في النار إلى ما شاء الله، ومن كانت حسناته وسيئاته متساوية فهو من أهل الأعراف ، لكنها -أي الأعراف- ليست مستقراً دائماً ، وإنما المستقر: إما إلى الجنة ، وإما إلى النار.

والأعراف لغة: جمع عَرف، وهو المكان المرتفع، وهو سور عال بين الجنة والنار عليه أهل الأعراف.
فهذا الموضع بين الجنة والنار الذي يسمَّى " الأعراف " ، هو سور عالٍ يطلّع منه أصحابه على أهل الجنة وعلى أهل النَّار، ثم يُدخلهم ربهم عز وجل في آخر المطاف جنَّته ولا يدخلون النار، وأرجح الأقوال فيهم أنهم أقوام استوت حسناتهم وسيئاتهم.

قال تعالى: {**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**}([7]).

قوله تعالى: {**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ**}.

أي: بين أهل الجنة والنار حجاب، قيل: هو السور الذي يُضرب بينهم، له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبَله العذاب؛ باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره الذي يلي الكفار من جهتهم العذاب.

قال حذيفة وعبد الله بن عباس: "هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته".

عن ابن مسعود قال: "ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرَفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: {**سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ**} وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار: {**قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**} فأما أصحاب الحسنات فإنهم يُعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويُعطى كل عبد يومئذ نوراً فإذا أتوا على الصراط سلب الله تعالى نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون: {**قَالُوا رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا**} ، وأما أصحاب الأعراف: فإن النور لم ينزع من أيديهم فيقول الله: {**لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ**} فكان الطمع للنور الذي في أيديهم، ثم أدخلوا الجنة، وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً".

يريد: آخر أهل الجنة دخولاً، ممن لم يدخل النار.

---

[7] _[الأعراف: ٤٦_٤٩].

وقيل: هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم، فقتلوا، فأعتقوا من النار لقتلهم في سبيل الله، وحبسوا عن الجنة لمعصية آبائهم، وهذا من جنس القول الأول.
وقيل: هم قوم رضي عنهم أحدُ الأبوين دون الآخر يحبسون على الأعراف حتى يقضي الله بين الناس ثم يدخلهم الجنة، وهي من جنس ما قبله فلا تناقض بينهما.
وقيل: هم أصحاب الفترة وأطفال المشركين.
وقيل: هم أولو الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطلعون على أهل النار وأهل الجنة جميعاً.
وقيل: هم الملائكة لا من بني آدم.
والثابت عن الصحابة هو القول الأول، وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لا تكاد تثبت أسانيدها، وآثار الصحابة في ذلك المعتمدة.

وقد اختلف في تفسير الصحابي هل له حكم المرفوع أو الموقوف على قولين:
الأول: اختيار أبي عبد الله الحاكم.
والثاني: هو الصواب.
ولا نقول على رسول الله ما لم نعلم أنه قاله.
ثم يقال لأهل الأعراف: **{ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ}**.

قال ابن تيمية رحمه الله: **"**وَقَدْ يَفْعَلُ مَعَ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ تُوَازِيهَا وَتُقَابِلُهَا فَيَنْجُو بِذَلِكَ مِنْ النَّارِ وَلَا يَسْتَحِقُّ الْجَنَّةَ بَلْ يَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، وَإِنْ كَانَ مَآلُهُمْ إلَى الْجَنَّةِ فَلَيْسُوا مِمَّنْ أُزْلِفَتْ لَهُمْ الْجَنَّةُ أَيْ قُرِّبَتْ لَهُمْ إذْ كَانُوا لَمْ يَأْتُوا بِخَشْيَةِ اللَّهِ وَالْإِنَابَةِ إلَيْه**"**([8]).

[8] _[مجموع الفتاوى (177/16)].

الشفاعة و أقسامها و أنواعها في دخول الجنة

تعريف الشفاعة: هي التوسط للغير في جلب المنفعة أو دفع المضرّة.

وهي قسمان:
القسم الأول: الشفاعة التي تكون في الآخرة يوم القيامة.

القسم الثاني: الشفاعة التي تكون في أمور الدنيا.

_**القسم الأول:** وأما الشفاعة التي تكون في الآخرة فهي نوعان:

النوع الأول: الشفاعة الخاصة، وهي التي تكون للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة، لا يشاركه فيها غيره من الخلق وهي أقسام:

أولها: الشفاعة العظمى، وهي من المقام المحمود الذي وعده الله إياه، في قوله تعالى: {**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**}([9]).

وحقيقة هذه الشفاعة، هي أن يشفع لجميع الخلق حين يؤخّر الله الحساب، فيطول بهم الانتظار في أرض المحشر يوم القيامة، فيبلغ بهم من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقولون: من يشفع لنا إلى ربنا حتى يفصل بين العباد، يتمنّون التحول من هذا المكان، فيأتي الناس إلى الأنبياء عليهم السلام فيقول كل واحد منهم: لست لها، كما روى ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدثنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ"([10]).**

فهذه الشفاعة العظمى، وهي من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم.

والأحاديث الدالة على هذه الشفاعة كثيرة في الصحيحين وغيرهما، و منها ما رواه البخاري في صحيحه عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ اشْفَعْ يَا فُلَانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ"([11]).

ثانيها: الشفاعة لأهل الجنة لدخول الجنة:

9_[الإسراء: ٧٩].
10_[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].
11_[حديث صحيح أخرجه البخاري والألباني].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ"([12]).**

وفي رواية له: **"أنا أَوَّلُ شَفِيعٍ في الجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِياءِ ما صُدِّقْتُ، وإنَّ مِنَ الأنْبِياءِ نَبِيًّا ما يُصَدِّقُهُ مِن أُمَّتِه إلَّا رَجُلٌ واحِدٌ"([13]).**

ثالثها: شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب:

فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: **"لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ"([14]).**

رابعها: شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول أناس من أمته الجنة بغير حساب:

وهذا النوع ذكره بعض العلماء، واستدل له بحديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة، وفيه: **"ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى"([15]).**

النوع الثاني: الشفاعة العامة، وهي تكون للرسول صلى الله عليه وسلم ويشاركه فيها من شاء الله من الملائكة والنبيّين والصالحين، وهي أقسام:

أولاها: الشفاعة لأناس قد دخلوا النار في أن يخرجوا منها:
والأدلة على هذا القسم كثيرة جداً منها:

ما جاء في حديث الشفاعة الطويل لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: **"فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا...فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ..."([16]).**

ثانيها: الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها:

وهذه قد يستدل لها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **"مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ"([17]).**

فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفّعهم الله في ذلك.

---

[12] _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد].
[13] _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن خزيمة والألباني].
[14] _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والألباني والأرناؤوط].
[15] _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي].
[16] _[حديث صحيح أخرجه مسلم].
[17] _[حديث صحيح أخرجه أبو داود وابن حبان وأحمد والألباني والأرناؤوط].

ثالثها: الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة:

ومثال ذلك ما روته أم سلمة رضي الله عنها قالت: **"دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ"([18]).**

وشروط هذه الشفاعة:

دلت الأدلة على أن الشفاعة في الآخرة لا تقع إلا بشروط وهي ما يلي:

١_رضا الله عن المشفوع له، لقوله تعالى: **{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}**([19]).

وهذا يستلزم أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد، لأن الله لا يرضى عن المشركين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: **"**قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ"([20]).**

٢_إذن الله للشافع أن يشفع، لقوله تعالى: **{مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}**([21]).

٣_رضا الله عن الشافع، لقوله تعالى: **{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ}**([22]).

كما بَيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّ اللعانين لا يكونون شفعاء يوم القيامة كما روى أبي الدرداء رضي الله عنه حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **"إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"([23]).**

_القسم الثاني: الشفاعة المتعلقة بالدنيا، وهي على نوعين:

الأول: ما يكون في مقدور العبد واستطاعته القيام به؛ فهذه جائزة بشرطين:

١_أن تكون في شيء مباح، فلا تصح الشفاعة في شيء يترتب عليه ضياع حقوق الخلق أو ظلمهم، كما لا تصح الشفاعة في تحصيل أمر محرم؛ كمن يشفع لأناس قد وجب عليهم الحد أن لا يقام عليهم، قال تعالى: **{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**([24]).

18_[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والألباني].
19_[الأنبياء: ٢٨].
20_[حديث صحيح أخرجه البخاري].
21_[البقرة: ٢٥٥].
22_[النجم: ٢٦].
23_[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان والبوصيري والأرناؤوط].
24_[المائدة: ٢].

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ"** ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: **"أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"([25]).**

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، إذَا أتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ علَى جُلَسَائِهِ فَقالَ: **"اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ علَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ما أَحَبَّ"([26]).**

٢_ أن لا يعتمد بقلبه في تحقيق المطلوب ودفع المكروه إلا على الله وحده، وأن يعلم أن هذا الشافع لا يعدو كونه سببا أَذِنَ الله به، وأن النفع والضر بيد الله وحده، وهذا المعنى واضح جداً في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فإذا تخلّف أحد هذين الشرطين صارت الشفاعة ممنوعةً منهياً عنها.

الثاني: ما لا يكون في مقدور العبد، وطاقته ووسعه:
كطلب الشفاعة من الأموات وأصحاب القبور، أو من الحي الغائب معتقدا أن بمقدوره أن يسمع، وأن يحقق له طلبه فهذه هي الشفاعة الشركية التي تواردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بنفيها وإبطالها لما في ذلك من وصفهم بصفات الخالق عز وجل، لأن من صفاته عز وجل أنه هو الحي الذي لا يموت.

شبهة وردّها:
وشبهة هؤلاء أنهم يقولون: إنّ الأولياء وإنّ السادة يشفعون لأقاربهم ولمن دعاهم، ولمن والاهم، ولمن أحبهم، ولأجل ذلك يطلبون منهم الشفاعة.

والجواب أن يقال:
هذا بعينه هو ما حكاه الله عن المشركين الأولين حين قالوا: **{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}**([27]).

يعنون معبوداتهم من الملائكة، ومن الصالحين، وغيرهم، وأنها تشفع لهم عند الله.
وكذلك المشركون المعاصرون الآن؛ يقولون: إن الأولياء يشفعون لنا، وإننا لا نجرؤ أن نطلب من الله بل نطلب منهم وهم يطلبون من الله، ويقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين أعطاهم الله الشفاعة، ونحن ندعوهم ونقول: اشفعوا لنا كما أعطاكم الله الشفاعة، ويضربون مثلاً بملوك الدنيا فيقولون: إن ملوك الدنيا لا يوصل إليهم إلا بالشفاعة إذا أردت حاجة فإنك تتوسّل بأوليائهم ومقربيهم من وزير وبواب وخادم وولد ونحوهم يشفعون لك حتى يقضي ذلك الملك حاجتك، فهكذا نحن مع الله تعالى نتوسل ونستشفع بأوليائه و بالسادة المقربين عنده، فوقعوا بهذا في شرك السابقين، وقاسوا الخالق بالمخلوق.

والله تعالى ذكر عن الرجل المؤمن في سورة يس قوله: **{أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ}**([28]).
وذكر الله تعالى أن الكفار اعترفوا على أنفسهم بقولهم: **{قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}**([29]).

25_[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان وابن حزم والعيني والألباني والأرناؤوط].
26_[حديث صحيح أخرجه مسلم].
27_[يونس: ١٨].
28_[يس: ٢٣].
29_[المدثر: ٤٣_٤٨].

والنبي صلى الله عليه وسلم وإن أعطي الشفاعة يوم القيامة، إلا أنه لن يتمكن منها إلا بعد إذن الله تعالى، ورضاه عن المشفوع له.

ولهذا لم يدع صلى عليه وسلم أمته لطلب الشفاعة منه في الدنيا، ولا نقل ذلك عنه أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ولو كان خيراً، لبلَّغه لأمته، ودعاهم إليه، ولسارع إلى تطبيقه أصحابه الحريصون على الخير، فعُلم أن طلب الشفاعة منه الآن منكر عظيم؛ لما فيه من دعاء غير الله، والإتيان بسبب يمنع الشفاعة، فإن الشفاعة لا تكون إلا لمن أخلص التوحيد لله.

وأهل الموقف إنما يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لهم في فصل القضاء، لحضوره معهم، واستطاعته أن يتوجه إلى ربه بالسؤال، فهو من باب طلب الدعاء من الحي الحاضر فيما يقدر عليه.

ولهذا لم يرد أن أحداً من أهل الموقف سيطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يشفع له في مغفرة ذنبه.

وهؤلاء الذين يطلبون منه الشفاعة الآن، بناء على جواز طلبها في الآخرة، لو ساغ لهم ما يدّعون، للزمهم الاقتصار على قولهم: يا رسول الله اشفع لنا في فصل القضاء**!!**.
ولكن واقع هؤلاء غير ذلك، فهم لا يقتصرون على طلب الشفاعة، وإنما يسألون النبي صلى الله عليه وسلم -وغيره - تفريج الكربات، وإنزال الرحمات، ويفزعون إليه في الملمات، ويطلبونه في البر والبحر، والشدة والرخاء، معرضين عن قول الله: **{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}**([30]).

ومن خلال ما سبق يتضح لكل منصف أن الشفاعة المثبتة هي الشفاعة المتعلقة بإذن الله ورضاه، لأن الشفاعة كلها ملكه. و يدخل في ذلك ما أذن الله به من طلب الشفاعة في أمور الدنيا من المخلوق الحي القادر على ذلك، و ينتبه هنا إلى أن هذا النوع إنما جاز لأن الله أذن به، وذلك لأنه ليس فيه تعلقٌ قلبيٌ بالمخلوق وإنما غاية الأمر أنه سبب كسائر الأسباب التي أذن الشرع باستخدامها، وأن الشفاعة المنفية هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، لأن غير الله لا يملك الشفاعة و لا يستطيعها حتى يأذن الله له بها، ويرضى.

فمن طلبها من غيره فقد تعدى على مقام الله، وظلم نفسه، وعرضها للحرمان من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، نسأل الله العافية والسلامة، ونسأله أن يُشفِّع فينا نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، آمين.

[30] [النمل: ٦٢].

منشور أهل الجنة وتوقيعهم

قال تعالى: {كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ *كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ}(31).

أخبر الله سبحانه وتعالى أن كتابهم كتاب مرقوم، تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخصَّ تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به، بمشهد المقربين من الملائكة والنبي صلى الله عليه وسلم وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويها بكتاب الأبرار وما وقع لهم به وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه، كما تكتب الملوك تواقيع من تعظّمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب له وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده.

عن البراء بن عازب قال: "كنَّا في جنازةٍ في بقيعِ الغرقدِ، فأتانا النبيُّ، فقعدَ وقعَدنا حولَهُ، كأنَّ علَى رؤوسِنا الطَّيرَ، وهو يُلحَدُ لهُ، فقال: **"أعوذُ باللَّهِ من عذابِ القبرِ، ثلاثَ مرَّاتٍ"** ثم قالَ: **"إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كانَ في إقبالٍ منَ الآخرةِ وانقطاعٍ منَ الدُّنيا نزلَت إليْهِ الملائكةُ، كأنَّ علَى وجوهِهمُ الشَّمسُ، معَهم كفنٌ من أكفانِ الجنَّةِ، وحَنوطٌ من حَنوطِ الجنَّةِ، فَجلَسوا منْهُ مدَّ البصرِ، ثمَّ يجيءُ ملَكُ الموتِ حتَّى يجلِسَ عندَ رأسِهِ فيقولُ: يا أيَّتُها النَّفسُ الطَّيِّبةُ اخرُجي إلى مغفرةٍ منَ اللَّهِ ورِضوانٍ، قالَ: فتَخرجُ تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ منَ في السِّقاءِ فيأخذُها فإذا أخذَها لم يدعوها في يدِهِ طرفةَ عينٍ حتَّى يأخُذوها فيَجعلوها في ذلِكَ الْكفَنِ وذلِكَ الحنوطِ، ويخرجُ منْها كأطيبِ نفحةِ مِسْكٍ وُجِدَت علَى وجهِ الأرضِ، قالَ: فيَصعدونَ بِها فلا يمرُّونَ بِها يعني علَى ملأٍ منَ الملائِكةِ إلَّا قالوا: ما هذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبةُ؟ فيقولونَ: فلانٌ ابنُ فلانٍ بأحسنِ أسمائِهِ الَّتي كانوا يسمُّونَهُ بها في الدُّنيا حتَّى ينتَهوا بِها إلى السَّماءِ فيستفتِحونَ لهُ فيُفتَحُ لهُ، فيشيِّعُهُ من كلِّ سماءٍ مقرَّبوها إلى السَّماءِ الَّتي تليها حتَّى ينتَهى بِها إلى السَّماءِ الَّتي فيها اللَّهُ، فيقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: اكتُبوا كتابَ عبدي في علِّيِّينَ وأعيدوهُ إلى الأرضِ، فإنِّي منْها خلقتُهم، وفيها أعيدُهم، ومنْها أخرجُهم تارةً أخرى قالَ: فتعادُ روحُهُ في جسدِهِ فيأتيَهُ ملَكانِ، فيُجلسانِهِ، فيقولانِ لهُ: مَن ربُّكَ فيقولُ: ربِّيَ اللَّهُ فيقولانِ لهُ: ما دينُكَ ؟ فيقولُ: دينيَ الإسلامُ، فيقولانِ لهُ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هوَ رسولُ اللَّهِ، فيقولانِ لهُ: ما عِلمُكَ؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ اللَّهِ فآمنتُ بِهِ وصدَّقتُ، فينادي منادٍ منَ السَّماءِ: أن صدقَ عبدي، فأفرِشوهُ منَ الجنَّةِ، وافتحوا لهُ بابًا إلى الجنَّةِ، قال: فيأتيهِ من رَوحِها وطيبِها ويُفسَحُ لهُ في قبرِهِ مدَّ بصرِهِ، قال: ويأتيهِ رجلٌ حسنُ الوجْهِ حسنُ الثِّيابِ طيِّبُ الرِّيحِ فيقولُ: أبشِر بالَّذي يسرُّكَ، هذا يومُكَ الَّذي كنتَ توعدُ، فيقولُ لهُ: من أنتَ؟ فوجْهُكَ الوجْهُ الَّذي يجيءُ بالخيرِ، فيقولُ: أنا عملُكَ الصَّالحُ، فيقولُ: يا ربِّ أقمِ السَّاعةَ، حتَّى أرجعَ إلى أَهلي ومالي، قالَ: وإنَّ العبدَ الْكافرَ إذا كانَ في انقطاعٍ منَ الدُّنيا، وإقبالٍ منَ الآخرةِ نزلَ إليْهِ منَ السَّماءِ ملائِكةٌ سودُ الوجوهِ معَهمُ المسوحُ فيجلِسونَ منْهُ مدَّ البصرِ، ثمَّ يجيءُ ملَكُ الموتِ حتَّى يجلسَ عندَ رأسِهِ فيقولُ: أيَّتُها النَّفسُ الخبيثةُ اخرُجي إلى سخطٍ منَ اللَّهِ وغضبٍ، قال: فتتَفرَّقُ في جسدِهِ فينتزِعُها كما يُنتَزعُ السَّفُّودُ منَ الصُّوفِ المبلولِ، فيأخذُها، فإذا أخذَها، لم يدَعوها في يدِهِ طرفةَ عينٍ حتَّى يجعَلوها في تلْكَ المُسوحِ ويخرجُ منْها كأنتنِ ريحِ خبيثةٍ وُجِدت علَى وجْهِ الأرضِ فيصعدونَ بِها، فلا يمرُّونَ بِها علَى ملإٍ منَ الملائكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيثُ؟ فيقولونَ: فلانٌ ابنُ فلانٍ بأقبحِ أسمائِهِ الَّتي كانوا يسمُّونه بِها في الدُّنيا حتَّى يُنتَهى بِهِ إلى السَّماءِ الدُّنيا فيُستفتَحُ لَه فلا يُفتحُ لَه ثمَّ قرأ رسولُ اللَّهِ: {لا تفتَّحُ لَهم أبوابُ السَّماءِ ولا يدخلونَ الجَنَّةَ حتَّى يلجَ الجملُ في سمِّ الخياط} فيقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَهُ في سجِّينٍ في الأرضِ السُّفلى، فتطرحُ روحُهُ طرحًا ثمَّ قرأَ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فتخطفُهُ الطَّيرُ أو تَهوي بِهِ الرِّيحُ في مَكانٍ سحيقٍ} فتعادُ روحُهُ في جسدِهِ، ويأتيهِ ملَكانِ فيجلسانِهِ فيقولانِ لهُ: من ربُّكَ؟ فيقولُ: هاه هاه لا أدري، فيقولانِ لهُ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بعثَ فيكم؟ فيقولُ: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ منَ السَّماءِ أن كذبَ فأفرشوهُ منَ النَّارِ، وافتحوا لهُ بابًا إلى النَّارِ، فيأتيهِ من حرِّها وسمومِها، ويضيَّقُ عليْهِ قبرُهُ حتَّى تختلفَ أضلاعُهُ ويأتيهِ رجلٌ قبيحُ الوجْهِ، قبيحُ الثِّيابِ منتنُ**

---

31 _[المطففين: 18-21].

الرِّيحِ فيقولُ: أبشر بالَّذي يسوؤُكَ هذا يومُكَ الَّذي كنتَ توعدُ، فيقولُ: من أنتَ؟ فوجْهكَ الوجْهُ الَّذي يجيءُ بالشَّرِّ، فيقولُ: أنا عملُكَ الخبيثُ، فيقولُ: ربِّ لا تقمِ السَّاعةَ"([32]).

فهذا التوقيع والمنشور الأول.

وأما المنشور الثاني، فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا يَدْخل الجنّةَ أَحَدٌ إلاَّ بِجَواز بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا كِتابٌ مِن اللهِ لِفُلان ابن فُلان، أَدْخِلُوه جَنَّةً عَالِيَةً قُطُوفُها دَانِيَةٌ"**([33]) .

وقع المؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته، ثم يُعطى هذا المنشور يوم القيامة.

ملاحظة:
أي وصف أو نعيم ذكر في القرآن الكريم أو السنّة المطهرة، فهو للمؤمنين والمؤمنات على حد سواء إلا ما ورد الدليل بتخصيصه، كما أخبرنا بذلك سبحانه وتعالى في قوله: **{وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}**([34]).

بقي معنا من الشعر أبيات:

هذا ومن يدخل فليس بداخل	**إلا بتوقيع من الرحمن**
وكذاك يكتب للفتى لدخوله	**من قبل توقيعان مشهوران**
إحداهما بعد الممات وعرض	**أراح العباد به على الديان**
فيقول رب العرش جل جلاله	**للكاتبين وهم أولو الديوان**
ذا الاسم في الديوان يكتب ذاك	**ديـوان الجنان مجاور المنان**
ديوان عليين أصحاب القرآن	**وسنة المبعوث بالقرآن**
فإذا انتهى للجسر يوم الحشر	**يعطى للدخول ذا كتاب ثان**
عنوانه هذا الكتاب من	**عزيـز راحم لفلان ابن فلان**
فدعوه يدخل جنّة المأوى التي	**ارتفعت ولكن لقطوف دوان**
هذا وقد كتب اسمه مذ كان في	**الأرحام قبل ولادة الإنسان**
بل قبل ذلك هو وقت	**القبضتين كلاهما للعدل والإحسان**

32 _[حديث صحيح، أخرجه أحمد والطبري والبيهقي وابن تيمية وأبو داود والنسائي وابن ماجه باختلاف يسير، والأرناؤوط والألباني].
33 _[حديث ضعيف، أخرجه الطبراني وابن كثير وتمام الرازي وابن عدي وعبد الرزاق والمنذري والشيرازي وابن مردويه والخطيب البغدادي والسيوطي والمتقي الهندي].
34 _[النساء: ١٢٤].

درجات الجنة

قال تعالى: **{لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}**([35]).

ذكر ابن جرير عن ابن محيريز قال: "**{فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ}** ، قال: هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عاماً".

وقال ابن المبارك: عن الضحاك في قوله تعالى: "**{لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ}** ، قال بعضهم: أفضل من بعض فيرى الذي قد فضل به فضله ولا يرى الذي هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس".

تأمّلات:
وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة ثم أوقعه ثانياً بدرجات، فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد، فقال تعالى: **{أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}**([36]) .

وقال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}**([37]).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إن المتحابّينَ في اللهِ لترَى غرفَهم في الجنةِ كالكوكبِ الطالعِ الشرقيِّ أو الغربيِّ، فيُقالُ من هؤلاءِ فيُقالُ هؤلاءِ المتحابونَ في اللهِ عزَّ وجلَّ"**([38]) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"يقالُ لصاحبِ القرآنِ إذا دخل الجنَّةِ: اقرأْ واصعَدْ، فيقرَأُ ويصعدُ لكلِّ آيَةٍ درجةً، حتى يقرأَ آخرَ شيءٍ"([39]).**

وأما حديث أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّهَا اللهُ للمجاهِدينَ في سبيلِ اللهِ، ما بين الدَّرجتيْنِ كمَا بين السماءِ و الأرضِ، فإذا سألتُمُ اللهَ فسَلُوهُ الفِردَوْسَ، فإنَّهُ أوسَطُ الجنةِ وأعلى الجنةِ، و فوْقَهُ عرشُ الرحمنِ، و مِنهُ تفَجَّرُ أنْهارُ الجنةِ"([40]).**

فإما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج، وإما أن تكون نهايتها هذه المائة وفي ضمن كل درجة درج دونها.

---

35 _[النساء: 95].
36 _[آل عمران: 162-163].
37 _[الأنفال: 2-4].
38 _[حديث صحيح أخرجه الهيثمي والسيوطي].
39 _[حديث صحيح أخرجه ابن ماجه وشعيب الأرناؤوط والألباني].
40 _[حديث صحيح أخرجه البخاري و الألباني].

ويدل على المعنى الأول حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَن أقامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكاةَ وماتَ لا يُشرِكُ باللَّهِ شيئًا، كانَ حقًّا علَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يغفرَ لَه، هاجرَ أو ماتَ في مَولدِهِ"** . فقُلنا يا رسولَ اللَّهِ: ألا تخبِرُ بِها النَّاسَ فيستَبشِروا بِها ؟ فقالَ: **"إنَّ للجنَّةِ مائةَ درجةٍ بينَ كلِّ درجتَينِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، أعدَّها اللَّهُ للمُجاهدينَ في سبيلِهِ ولَولا أن أشقَّ علَى المؤمنينَ ولا أجدُ ما أحمِلُهُم علَيهِ ولا تَطيبُ أنفسُهُم أن يَتخلَّفوا بَعدي، ما قعَدتُ خلفَ سريَّةٍ ولوَدِدتُ أنِّي أُقتَلُ ثمَّ أُحيا ثمَّ أُقتَلُ"([41]).**

وروى أيضاً عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ"([42])** .

ثم ذكر نحو حديث معاذ وفيه أيضا من حديث عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ"([43]).**

وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ لَوْ أَنَّ الْعَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فِي إِحْدَاهُنَّ لَوَسِعَتْهُمْ"([44]).**

وأخرجه أحمد بدون لفظة "في" كما تقدم وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة في وبدونها وإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجها وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار والله أعلم.

ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير في السرعة والبطء والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريبا للأفهام.

ويدل عليه حديث أبا الدرداء رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"([45])** .

بقي معنا من الشعر أبيات:

درجاتها مائة وما بين اثنتين — فذاك في التحقيق للحسبان
مثل الذي بين السماء وبين هذي — الأرض قول الصاق والبرهان
لكن عاليها هو الفردوس مسقوف — بعرش الخالق الرحمن
وسط الجنان وعلوها فلذاك — كانت قبة من أحسن البنيان
منه تفجر سائر الأنهار — فالينبوع منه نازل بجنان

---

41 _[حديث حسن أخرجه الترمذي و الوادعي].
42 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي والبخاري وأحمد].
43 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد والمنذري والسيوطي وابن أبي الدنيا والألباني].
44 _[حديث ضعيف أخرجه الترمذي والمناوي وابن حجر والألباني].
45 _[حديث صحيح أخرجه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي والألباني].

طبقات وأبواب وأسماء الجنة

للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسمّاها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى وأسماء كتبه وأسماء رسوله وأسماء النار، وأسماء اليوم الآخر، والاسم الأول:

الجنّة:

وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين.

وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتاره عن العيون، والمجن لستره ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه.

ومنه سمي البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه.

ومنه قوله تعالى: **{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**([46]) .

أي: أنهم يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم.

دار السلام:

وقد سمّاها بهذا الاسم في قوله: **{لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**([47]) .

وقوله: **{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}**([48]) .

وهي أحق بهذا الاسم، فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه، وهي دار الله، واسمه سبحانه السلام الذي سلمها وسلم أهلها: **{وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ}**([49]) .

دار الخلد:

وسمّيت بذلك لأنّ أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى: **{عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}**([50]) .

وقوله: **{إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ}**([51]).

وقوله: **{أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ}**([52]) .

وقوله: **{وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ}**([53]) .

ودار الخلد هي التي كان فيها أبينا آدم عليه السلام.

دار المُقَامَةِ:

46 _[المنافقون: ٢].
47 _[الأنعام: 127].
48 _[يونس:٢٥].
49 _[يونس: ١٠].
50 _[هود:١٠٨].
51 _[ص:٥٤].
52 _[الرعد: ٣٥].
53 _[الحجر: ٤٨].

قال تعالى حكاية عن أهلها: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}([54]).

قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبداً، لا يموتون ولا يتحولون منها أبداً.

جنّة المأوى:

قال تعالى: {عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ}([55]) .

والمأوى: مفعل من أوى يأوي، إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به.

وقال عطاء عن ابن عباس: هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة.

وقال مقاتل والكلبي: هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء.

وقال كعب: جنة المأوى هي جنة فيها طير خضر ترتعي فيها أرواح الشهداء.

ويقول ابن القيم: والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}([56]).

جنّات عدن:

قيل: هو اسم جنة من جملة الجنان.

ويقول ابن القيم: والصحيح أنه اسم لجملة الجنان، ولكنها جنّات عدن، قال تعالى: {جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ}([57]) .

وقال تعالى: {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ}([58]) ، والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن؛ فإنه من الإقامة والدوام، يقال: عدن بالمكان إذا أقام به، وعدنت البلد إذا توطنته.

دار الحيوان:

قال تعالى: {وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ}([59]).

والمراد: الجنة عند أهل التفسير.

قالوا: وإن الآخرة يعني الجنة لهي الحيوان: لهي دار الحياة التي لا موت فيها

الفردوس:

قال تعالى: {أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}([60]).

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}([61]).

---

54 _[فاطر: ٣٤_٣٥].
55 _[النجم: ١٥].
56 _[النازعات: ٤٠_٤١].
57 _[مريم: 61].
58 _[التوبة: 72].
59 _[العنكبوت: 64].
60 _[المؤمنون: 10-11].
61 _[الكهف: 107].

وأصل الفردوس: البستان، قال كعب: هو البستان الذي فيه الأعناب.
وقال الضحاك: هي الجنة الملتفة بالأشجار، وهو اسم يطلق على جميع الجنة وأفضلها وأعلاها.

جنّات النعيم:

قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ**}([62]) ، وهو اسم يطلق أيضاً على جميع الجنات، لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة.

المقام الأمين:

قال تعالى: {**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ**}([63]) ، والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذي جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنكد.
وقوله تعالى: {**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ**}([64]) ، فجمع لهم بذلك بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتاً.

مقعد صدق، وقدم صدق:

قال تعالى: {**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**}([65]).
فسمّى الجنة مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أُتِيَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَوْمًا بلَحْمٍ، فَرُفِعَ إلَيْهِ الذِّراعُ، وكانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْها نَهْسَةً فقالَ: **"أنا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيامَةِ، وهلْ تَدْرُونَ بمَ ذاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والْكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ، وما لا يَحْتَمِلُونَ، فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ألا تَرَوْنَ ما أنتُمْ فِيهِ؟ ألا تَرَوْنَ ما قدْ بَلَغَكُمْ؟ ألا تَنْظُرُونَ مَن يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيَقولونَ: يا آدَمُ، أنْتَ أبو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى إلى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ آدَمُ: إنَّ رَبِّي غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه نَهانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فيَقولونَ: يا نُوحُ، أنْتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى الأرْضِ، وسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ كانَتْ لي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بها علَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى إبْراهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَيَأْتُونَ إبْراهِيمَ، فيَقولونَ: أنْتَ نَبِيُّ اللهِ وخَلِيلُهُ مِن أهْلِ الأرْضِ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى إلى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ إبْراهِيمُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وذَكَرَ كَذَباتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فيَقولونَ: يا مُوسَى، أنْتَ رَسولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ برِسالاتِهِ، وبِتَكْلِيمِهِ علَى النَّاسِ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بقَتْلِها، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فيَقولونَ: يا عِيسَى أنْتَ رَسولُ اللهِ، وكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهْدِ، وكَلِمَةٌ منه ألْقاها إلى مَرْيَمَ، ورُوحٌ**

62 _[لقمان: 8].
63 _[الدخان: 51].
64 _[الدخان: 55].
65 _[القمر: 54-55].

منه، فاشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فيَقولُ لهمْ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ولَمْ يَذْكُرْ له ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فيَقولونَ: يا مُحَمَّدُ، أنْتَ رَسولُ اللهِ، وخاتَمُ الأنْبِياءِ، وغَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ، وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرَى ما قدْ بَلَغَنا؟ فأنْطَلِقُ، فَآتي تَحْتَ العَرْشِ، فأقَعُ ساجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ ويُلْهِمُنِي مِن مَحامِدِهِ، وحُسْنِ الثَّناءِ عليه شيئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رَأْسِي، فأقُولُ: يا رَبِّ، أُمَّتي أُمَّتِي، فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ، أدْخِلِ الجَنَّةَ مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسابَ عليه مِنَ البابِ الأيْمَنِ مِن أبْوابِ الجَنَّةِ، وهُمْ شُرَكاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذلكَ مِنَ الأبْوابِ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، إنَّ ما بيْنَ المِصْراعَيْنِ مِن مَصارِيعِ الجَنَّةِ لَكما بيْنَ مَكَّةَ وهَجَرٍ، أوْ كما بيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى"([66]).

وهي موزعة: فمن كان من أهل كثرة الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل كثرة الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل كثرة الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل كثرة الصيام دعي من باب الريان، وقد يُدعى المؤمن من هذه الأبواب كلها؛ وعزةِ الله وجلاله، لو كان العبد المؤمن في الدنيا أقطع اليدين والرجلين، وسُحِبَ على وجهه منذ يوم خلقه الله إلى يوم القيامة، ووقف على أحد هذه الأبواب، لكان كأنه ما رأى بؤسا قط.

ولمّا كانت الجنّات درجات، بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلّما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب سعة الجنة، فمنها ما بين مصراعيه مسيرة أربعين عاماً، ومنها ما بين مصراعيه مسيرة سبعين عاماً، ومنها ما بين مصراعيه كما بين مكة وهجر، ومنها ما بين مصراعيه كما بين مكة وبصرى، ومنها ما عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثاً.
يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، تتكلّم وتُكَلَّم، وتَفهم ما يقال لها، انفتحي انغلقي.

66 _[حديث صحيح أخرجه مسلم].

عرض الله سبحانه سلعته الجنة على عباده وثمنها المطلوب

قال تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}([67]).

جعل سبحانه ها هنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم، بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكّده بأنواع من التأكيد:

أحدها: إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة أنّ.

الثاني: الأخبار بذلك بصيغة المرضي الذي قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن، وعداً لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة على التي للوجوب، أعلاماً لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه.

التاسع: أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد، ويبشّر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم، بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه.

العاشر: أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به، هو الفوز العظيم؛ والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنّة.

وقوله: بايعتم به أي عاوضتم وثامنتم به.
ثم ذكر سبحانه أنه هذا العقد الذي وقع العقد وتم لهم دون غيرهم، وهم التائبون مما يكره العابدون له بما يحب الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون السائحون؛ وفسرت السياحة بالصيام وفسرت بالسفر في طلب العلم، وفسرت بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة، والتحقيق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال؛ ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً في طلب علم ولا إدامة صيام، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والإنابة إليه وذكره.

---

67 _[التوبة: ١١١].

تأمّلات:

تأمّل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين؛ هذه ترك ما يكره وهذه فعل ما يحب والحمد والسياحة قرينتين، هذا الثناء عليه بأوصاف كماله وسياحة اللسان في أفضل ذكره وهذه سياحة القلب في حبه وذكره وإجلاله.

كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج، فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب، وجعل الإسلام والإيمان قرينتين، فهذا علانية وهذا في القلب كما في المسند عنه صلى الله عليه وسلم قال : **"الإسلامُ علانيةٌ والإيمانُ في القلبِ، ثمَّ يشيرُ بيدِهِ إلى صدرِهِ، التَّقوَى ها هنا التَّقوَى ها هنا"**([68]).
وجعل القنوت والتوبة قرينتين؛ هذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره.

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"من خاف أدلَج، ومن أدلَج بلَغ المنزلَ، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ غاليةٌ، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ الجنَّةُ"**([69]).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ: **"تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ"** قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا"**([70]).

وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: "أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَةَ وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"نَعَمْ"**([71]).

وعن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"**([72]).

و عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"**([73]) .

وفي صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي أَوْ قَالَ بَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ "**([74]).

توضيح:

وههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبباً ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله: **{بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}**([75]) ونفى رسول الله دخولها بالأعمال بقوله: **"لَنْ**

---

68 _[حديث ضعيف أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى وأبي شيبة].
69 _[حديث صحيح، أخرجه الترمذي والمنذري وابن أبي الدنيا وأحمد مختصراً والحاكم باختلاف يسير].
70 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه وأحمد].
71 _[حديث صحيح أخرجه مسلم].
72 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد].
73 _[حديث صحيح أخرجه أبو داود وأحمد وابن العربي والنووي وابن تيمية وابن الملقن وابن حجر والسيوطي والصعدي والألباني و الأرناؤوط].
74 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد وابن حبان وابن خزيمة والألباني والأرناؤوط].
75 _[الأعراف: 43].

يُنَجِّيَ أحَدًا مِنكُم عَمَلُهُ قالوا: ولا أنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ برَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وقارِبُوا، واغْدُوا ورُوحُوا، وشيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا"([76]).

ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون النجاة من النار يغفر الله ودخول الجنة برحمته واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال.

والثاني: أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة، التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر والباء التي أثبتت الدخول، هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره، وأن لم يكن مستقلاً بحصوله، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الأمرين بقوله: **"سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ" قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ"([77]).**

ومن عرف الله تعالى وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه وابصر هذين المشهدين بقلبه، عرف ذلك وجزم به والله سبحانه وتعالى المستعان.

بقي معنا من الشعر أبيات:

أبوابها حق ثمانية أتت — في النص وهي لصاحب الإحسان
باب الجهاد وذاك أعلاها — وباب الصوم يدعي الباب بالريان
ولكل سعي صالح باب — ورب السعي منه داخل بأمان
ولسوف يدعى المرء من أبوابها — جميعا إذا وفّى حلى الإيمان
منهم أبو بكر الصديق — ذاك خليفة المبعوث بالقرآن

76_[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه، وأحمد مختصراً، والبزار والهيثمي وابن تيمية والبوصيري وابن حجر والألباني والأرناؤوط وأحمد شاكر].
77_[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد].

خازن الجنة

قال تعالى: **{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ}**([78]).

والخزنة: جمع خازن ومثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه.
روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ"([79]).**

وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه: **"مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ أَيْ فُلُ هَلُمَّ"** قَالَ: أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَاكَ الَّذِي لَا تَوَى عَلَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"([80]).**

لمّا سمعت همّته الصدّيق رضي الله عنه إلى تكميل مراتب الإيمان، وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك؛ فأخبره بحصوله وبشّره بأنه من أهله وكأنه قال: هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؛ فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس.

قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة رضوان، وهو اسم مشتق من الرضا، وسمى خازن النار مالكاً، وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي، فَأَقُولُ لَهَا: مَا لَكِ؟ وَمَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِي"([81]).**

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُونَهُ قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَبًا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ: **"قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ"([82])** .

---

78 _[الزمر: 73].
79 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد].
80 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].
81 _[حديث حسن أخرجه أبو يعلى والمنذري، والديلمي والدمياطي والهيتمي].
82 _[حديث ضعيف، أخرجه الدارمي والترمذي وابن عدي والألباني].

وصف بناء الجنة وترابها وطينتها

عن أبو الْمُدِلَّةِ مولى أم المؤمنين سمع أبو هريرة رضي الله عنه يقول: "**قُلْنَا**: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا رَأَيْنَاكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ قَالَ: **"لَوْ تَكُونُونَ -أَوْ قَالَ:- لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَهُمْ"** قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنَا عَنْ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا قَالَ: **"لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ"**([83]).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قلنا: يا رسولَ الله حدَّثْنا عنِ الجنَّةِ، ما بِناؤها؟ قال: **"لَبِنَةٌ ذهَبٌ، ولَبِنَةٌ فِضَّةٌ، وملاطُها المسْكُ، وحَصْباؤها اللُّؤْلُؤ والياقوتُ، وتُرابُها الزعْفَران، مَنْ يدخُلُها يَنْعَمُ ولا يَبْأَسُ، وُيخلَّدُ؛ لا يموتُ، لا تبْلى ثِيابُه، ولا يَفْنى شَبابُه"**([84]).

هكذا جاء في هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران.

بقي معنا من الشعر أبيات:

وبناؤها اللبنات من ذهب   وأخرى فضة نوعان مختلفان
وقصورها من لؤلؤ وزبرجد   أو فضة أو خالص العقيان
وكذاك من در وياقوت به   نظم الناء بغاية الاتقان
والطين مسك خالص أو زعفران   جاء بذا أثران مقبولان
ليسا بمختلفين لا تنكرهما   فهما الملاط لذلك البنيان
والأرض مرمرة مخالص فضة   مثل المرآة تناله العينان
في مسلم تشبيهها بالدرمك   الصافي وبالمسك العظيم الشان
هذا لحسن اللون لكن ذا   لطيب الريح صار هناك تشبيهان
حصباؤها در وياقوت كذاك   لآلىء نثرت كنثر جمان
وترابها من زعفران أو من   المسك الذي ما استلّ من غزلان

83 _[حديث حسن، أخرجه أحمد، والألباني].
84 _[حديث حسن لغيره، رواه أحمد واللفظ له، والترمذي والبزار، والطبراني، وابن حبان وابن أبي الدنيا وأبو نعيم وابن المبارك].

الغرف والقصور الشاهقة

قال الله تعالى: **{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ}**([85]) .

أخبر تعالى أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض، حتى كأنها ينظر إليها عياناً ومبنية صفة للغرف الأولى.

والثانية: أي لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها قال تعالى: **{أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا}**([86]) .

والغرفة جنس كالجنة.

تأمّلات:

وتأمل كيف جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله؛ الغرفة والتحيّة والسلام في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم، فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم.

وقال تعالى: **{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}**([87]).

وقال تعالى: **{يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ}**([88]).

وقال تعالى: **{قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ}**([89]) .

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا"** ، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **"هِيَ لِمَنْ قَالَ طَيِّبَ الْكَلَامِ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلاَمَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ"([90]).**

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلاَمَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ"([91]).**

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنْ الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ"** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ: **"بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ"([92]).**

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً"([93]) .**

---

85 _[الزمر: 20].
86 _[الفرقان: 75].
87 _[سبإ: 37].
88 _[الصف: 12].
89 _[التحريم: 11].
90 _[حديث ضعيف، أخرجه الترمذي وأحمد وعبد الله بن أحمد والبيهقي والخطيب البغدادي وأبو يعلى وابن خزيمة].
91 _[حديث حسن، أخرجه أحمد وابن حبان وعبد الرزاق].
92 _[حديث صحيح أخرجه مسلم].
93 _[حديث صحيح أخرجه مسلم].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **"مَن بَنَى مَسجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى - قَالَ بُكَيرٌ: حَسِبتُ أَنَّهُ قَالَ يَبتَغِي بِهِ وَجهَ اللَّهِ -، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيتًا فِي الجَنَّةِ"([94]).**

وقوله في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ"([95]).**

عن أبي زُرْعَةَ قال: سمعت أبو هريرة قال: "أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ"(**[96]).**

والقصب هنا قصب اللؤلؤ المجوف.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِلَّا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ"** قَالَ: وَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ"([97]).

وقال الحسن: "قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته".

وقال الأعمش: حدثنا مالك بن الحارث عن مغيث بن سمي قال: "إن في الجنة قصورا من ذهب وقصورا من فضة وقصورا من لؤلؤ وقصورا من ياقوت وقصورا من زبرجد".

وقال الأعمش: عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها".

بقي معنا من الشعر أبيات:

غرفاتها في الجو ينظر بطنها	**من ظهرها والظهر من بطنان**
سكّانها أهل القيام مع الصيام	**وطيب الكلمات والإحسان**
ثنتان خالص حقه سبحانه	**وعبيده أيضاً لهم ثنتان**

94 _[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأحمد].
95 _[حديث حسن أخرجه أحمد وابن حبان و الترمذي].
96 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد].
97 _[حديث صحيح أخرجه البخاري وأحمد والترمذي].

كيف يُسْتقْبَل من يدخل جنة الرحمن

في هذه الدنيا بعد مراحل من العناء والإرهاق الجسدي والنفسي، في يوم شديد الحر كبير العطش، لو كنت أمام باب قصر ملك أو أمام باب قاعة احتفالات كبيرة بماذا ستشعر ؟.

إنها نسائم التكييف البارد والبخور وأنواع العود والطيب والعطور، تسبقك من مسافة عن باب قصر الملك، وما عند الله خير وأبقى، فَماذا عنها ؟! وماذا سيصلك قبل دخولها ..؟!!.
تصوّر أنك تنتظر دخولها وهي تتلألأ من بعيد، وريحها يوجد من مسيرة سبعين عام، حتى لو ابتعدت عنها سبعين عام لَشممت رائحتها.

روى عبد الله بن عمرو عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"منِ ادَّعى إلى غير أبيه فلن يَرَحَ رائحةَ الجنَّةِ، و ريحُها يوجدُ من مسيرةِ سبعين عاماً"**([98]).

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَن قتل مُعَاهَداً لم يَرَحْ رائحةَ الجنةِ - أي لم يَشُمَّها - وإنَّ رِيحَها يُوجَدُ من مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عاماً"**([99]).

وفي الحديث الذي رواه أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"يُراحُ رِيحُ الجنةِ من مَسيرةِ خَمسِمائةِ عامٍ، ولا يَجِدُ رِيحَها مَنَّانٌ بِعملِهِ، ولا عاقٌ، ولا مُدْمِنُ خمرٍ"**([100]).

قال ابن القيم:

والريح يوجد من مسيرة   أربعين وإن تشأ مائة فمرويان
وكذا روى سبعين أيضا صح   هذا كله وأتى به أثران

فما أطيب ريحها وما أروعه ..؟!.
مالا تصفه ألسنة الواصفين ولا يخطر بِبال المفكرين ..!.
هنا حالة من الطيران والشوق غير العادي تخيّله، هل نركض أم نهرول أم هناك وسائل تسحبنا دون جهد إلى الباب حسب العمل !!؟.

لا شك أنه السباق والمزاحمة على أبواب الجنة.

ما أعظم هذه اللحظة أنت تدخل الجنة، ها أنت تضع قدمك.

لحظة صمت تذوب فيها بعالم ليس له وصف لا تشعر بمن حولك تنسى كل ما مضى في رحلة القدوم لِلجنة، وصدق الإمام أحمد بن حنبل حينما سئل: متى يجد المؤمن طعم الراحة ؟.
قال: **"**عند أول قدم يضعها العبد في الجنة**"**.

98 _[حديث صحيح أخرجه ابن ماجه وأحمد والألباني].
99 _[حديث صحيح أخرجه البخاري والألباني واللفظ له].
100 _[حديث ضعيف أخرجه الطبراني وأبو نعيم والألباني].

فلا راحة قبل الجنة ..

طبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقذاء والأكدار

فَعند أول قدم تضعها في الجنة تشعر براحة ليس لها مثيل تنسى كل الأذى والفتن والبلاء.

قال الله تعالى: **{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}**([101]) .

وقال تعالى: **{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا}**([102]) .

روى ابن أبي الدنيا عن علي أنه سأل رسول الله عن هذه الآية: **{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً}** قال: قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الوفد إلا ركب قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"والذي نَفْسي بيَدِه؛ إنَّهُمْ إذا خَرَجُوا مِنْ قبورِهم استُقْبِلوا بنوقٍ بيضٍ، لها أجْنِحَةٌ عليها رِحالُ الذّهَبِ، شُرُكُ نِعالِهم نورٌ يتَلألأُ، كلُّ خُطْوَةٍ منها مثْلُ مدِّ البَصَرِ، وينْتَهون إلى بابِ الجنَّةِ، فإذا حَلْقَةٌ من ياقوتَةٍ حمْراءُ على صفائِح الذهَب، وإذا شَجَرةٌ على بابِ الجنَّة يَنْبُع مِنْ أصْلِها عينانِ، فإذا شَرِبوا مِنْ أحَدِهما جَرَتْ في وُجوهِهِمْ بِنَضْرَةِ النعيمِ، وإذا تَوَضَّؤُوا مِنَ الأُخْرى لَمْ تَشْعَثْ أشْعارُهم أبَداً، فيَضْرِبونَ الحَلْقَةَ بالصفيحَةِ، فلو سمعتَ طنين الحلْقَةِ يا عليّ! فيبْلُغ كلَّ حوْراءَ أنَّ زَوْجَها قد أقْبَلَ، فتَسْتَخِفُّها العَجَلَة، فتَبْعَثُ قَيِّمَها فيَفْتَحُ لهُ البَابَ، فلَوْلا أنَّ الله عزَّ وجلَّ عَرَّفَهُ نَفْسَه؛ لَخَرَّ له ساجِداً مِمّا يَرى مِنَ النورِ والبَهاءِ، فيقول: أنا قَيِّمُك الذي وُكِّلْتُ بِأمْرِك، فيَتْبَعُه فيَقْفُوا أثَرَهُ فيأتي زَوْجَتَهُ، فتَسْتَخِفُّها العَجَلَةُ، فتَخْرُجُ مِنَ الخَيْمَة فَتُعانِقُه، وتقول: أنْت حِبِّي وأنا حِبُّك، وأنا الراضِيَةُ فلا أسْخَطُ أبداً، وأنا الناعِمَةُ فلا أبْؤُسُ أبداً، وأنا الخالِدَةُ فلَا أظْعَنُ أبَداً، فيَدْخُلُ بَيْتاً مِّنْ أساسِه إلى سَقْفِه مئةُ ألفِ ذِراع، مَبْنيٌّ على جَنْدَلِ الُّلؤْلُؤِ والياقُوتِ، طرائقُ حُمْرٌ، وطرائقُ خُضْرٌ، وطرائقُ صفرٌ، ما منها طريقَةٌ تشاكِلُ صاحِبَتَها، فيأتي الأريكَةَ فإذا علَيْها سريرٌ، على السريرِ سبعونَ فِراشاً، على كلِّ فِراشٍ سبعون زَوْجَةً، على كلِّ زَوْجَةٍ سبْعون حُلَّةً، يُرى مُخُّ ساقِها مِنْ باطِنِ الحُلَلِ، يُقْضي جِماعُهُنَّ في مقدارِ ليْلَةٍ، تجري مِنْ تَحْتِهِمْ أنهارٌ مطَّرِدَةٌ، أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ، صاف ليسَ فيه كدَرٌ، وأنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصفًّى لَمْ يَخْرُج مِنْ بُطونِ النَّحْلِ، وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لذَّةٍ للِشارِبينَ لَمْ تَعْصِرْه الرجالُ بأقْدامِها، وأنهارٌ منْ لَبَنٍ لمْ يتغيَّر طَعْمهُ لَمْ يَخْرُج مِنْ بُطونِ الماشيَة، فإذا اشْتَهُوا الطعامَ جاءَتْهم طَيرٌ بيضٌ فَتَرْفَعُ أجْنِحَتَها، فيأكلونَ مِنْ جُنوبِها مِنْ أيِّ الألْوانِ شَاؤوا ثُمَّ تطيرُ فتَذْهَبُ، وفيها ثمارٌ متدلِّيَةٌ إذا اشْتَهوها انْبَعَث الغُصْنُ إليْهِمْ فَيَأكُلونَ مِنْ أيِّ الثمارِ شَاؤوا، إن شاءَ قائماً، وإنْ شاءَ متَّكِئاً، وذلك قوله: {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} وبين أيديهم خَدَمٌ كاللُّؤْلُؤِ"**([103]).

روى ابن أبي الدنيا عن النعمان بن سعد في هذه الآية: **"{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً}**.

قال: أما والله لا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن لا يأتون بنوق لم ترَ الخلائق مثلها وعليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة**"**.

وروى علي بن الجعد في الجعديات عن علي قال: **"يساقُ الذين اتقوا ربَّهم إلى الجنةِ زُمراً، حتى إذا انتهوا إلى بابٍ من أبوابِها وجدوا عندَه شجرةً يخرج من تحتِ ساقِها عَيْنان تجريان، فعمدوا إلى أحداهما كأنما أُمِروا بها، فشربوا منها، فأذْهَبَتْ ما في بطونِهم من أذىً أو قذىً أو بأسٍ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها، فَجَرَتْ عليهم بنضرةِ النعيمِ، فلن تتغيّرَ أبشارُهم تغيُّراً بعدَها أبداً، ولن تَشْعَثَ أشعارُهم؛ كأنما دُهنوا بالدّهانِ، ثم انتهوا إلى خَزَنَةِ الجنةِ فقالوا:**

---

101 _[الزمر: 73].

102 _[مريم: 85].

103 _[حديث ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي والسيوطي والألباني].

{سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} قال: ثم يلقاهم -أو تلقاهم- الوِلْدان يطيفون بهم كما يطيفُ وِلْدانُ أهلِ الدنيا بالحميم يَقْدُمُ من غيْبةٍ، فيقولون: أبشرْ بما أعدّ اللهُ لك من الكرامة. قال: ثم ينطلقُ غلامٌ من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحورِ العِينِ فيقول: قد جاء فلان -باسمه الذي يدعى به في الدنيا-، فتقول: أنتَ رأيتَه؟ فيقول: أنا رأيتُه، وهو ذا بأثري، فيستخفّ إحداهن الفرحُ حتى تقومَ على أُسْكُفَّة بابِها، فإذا انتهى إلى منزِلهِ نظرَ إلى أيّ شيءٍ أساسُ بنيانِهِ؟ فإذا جَنْدَلُ اللؤلؤ، فوقه صَرحٌ أخضرُ وأصفرُ وأحمرُ، ومن كلّ لونٍ، ثم رفع رأسَهُ فنظَر إلى سقفِه، فإذا مثْلُ البرقِ لولا أنّ اللهَ قدّرَ له لألمَّ أن يُذْهِبَ ببصرِه، ثم طأطأَ رأسَه فنظرَ إلى أزواجِهِ، وَأكوابٌ موضوعةٌ، ونمارقُ مصفوفةٌ، وزرابيُّ مبثوثةٌ، فنظروا إلى تلك النعمةِ ثم اتّكَأوا وقالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} ثم ينادي منادٍ: تحَيُون فلا تموتون أبداً، وتُقِيمُون فلا تَظْعَنون أبداً، وتصحُّون -أراه قال:- فلا تمرضون أبداً"([104]).

معاني كلمات الحديث:

الجندل: حجر اللؤلؤ.

الآسن: بمد الهمزة وكسر السين المهملة: هو المتغير.

الحميم: القريب.

الأكواب: جمع كوب وهو كوز لا عروة له.

وقيل: لا خرطوم له، فإذا كان له خرطوم فهو إبريق.

النمارق: الوسائد، واحدها نمرقة.

الزرابي: البسط الفاخرة، وأحدها زُرْبِية.

الأُسْكُفَّة: عتبة الباب.

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: "ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صُوّر صورة أهل الجنة وألبس لباسهم وحلى حليّهم وأرى أزواجه وخدمه ويأخذه سوار فرح لو كان ينبغي أن يموت لمات من سوار فرحه فيقال له: أرأيت سوار فرحتك هذه فإنها قائمة لك أبدا".

روى ابن المبارك عن أبي عبد الرحمن الجبلي قال: "أن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ".

وروى أيضاً ابن المبارك عن أبي الرحمن المعافري قال: "إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه".

وقال أبو نعيم: أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال: "إذا ادخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به في سككها فيقول له: انظر ما ترى قال: أرى أكثر قصورا رأيتها من ذهب وفضة وأكثر أنيس فيقول له الملك: فإن هذا أجمع لك حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان يقولون: نحن لك ثم يقول: امش فيقول: ماذا ترى فيقول أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام وأكثر أنيس قيل: فإن هذا أجمع لك فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا: نحن لك".

104 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا].

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ شَكَّ فِي أَحَدِهِمَا مُتَمَاسِكِينَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمْ الْجَنَّةَ وَوُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ"([105])**.

بقي معنا من الشعر أبيات:

هذا وأول زمرة فوجوههم — كالبدر ليل الست بعد ثمان
السابقون هم وقد كانوا هنا — أيضا أولي سبق إلى الإحسان
والزمرة الأخرى كأضواء كوكب — في الأفق تنظره به العينان
أمشاطهم ذهب ورشحهم فمسك — خالص يا ذلة الحرمان

[105] _[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأحمد].

صفة خَلْقهم وأعمارهم وخُلُقهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ قَالَ: فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ"([106]).**

وروى أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْداً مُرْداً بِيضاً جِعَاداً مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ"([107]).**

وفي جامع الترمذي عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً"([108]).**

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يُرَدُّونَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ فِي الْجَنَّةِ، لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَداً وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ"([109]).**

روى ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، بِذِرَاعِ الْمَلَكِ عَلَى حُسْنِ يُوسُفَ عَلَى مِيلَادِ عِيسَى ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَعَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلُونَ"([110]).**

ستون ذراعاً: أي بمقياس 45 متر.

إنّ أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، وأنّ الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب في السماء إضاءة؛ وأما الأخلاق فقد قال تعالى: **{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}**([111]).

فأخبر عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ"([112]).**

والرواية على خَلْق بفتح الخاء وسكون اللام، والأخلاق كما تكون جمعاً للخُلق بالضم، فهي جمع للخلق بالفتح والمراد تساويهم في الطول والعرض والسن، وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ولهذا فسّره بقوله: على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا في السماء.

---

106 _[حديث صحيح أخرجه البخاري و مسلم وأحمد].
107 _[حديث حسن، أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والطبراني وابن عدي والترمذي باختلاف يسير].
108 _[حديث حسن أخرجه الترمذي وأحمد والمنذري والطبراني والألباني].
109 _[حديث ضعيف، أخرجه الترمذي].
110 _[حديث صحيح أخرجه ابن أبي الدنيا والألباني].
111 _[الحجر: 47].
112 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد وابن ماجه].

وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:
"أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ أَمْشَاطُهُمْ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلُوَّةُ وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنْ الْحُسْنِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيّاً"([113]**).**

وقد تقدم الحديث وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباغض؛ قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيّة.
وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهن أتراب؛ أي في سن واحد ليس فيهن العجائز والشواب، وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى؛ فأنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات، لأنه أكمل سن القوة عظم الآت اللذة وباجتماع الأمرين، يكون كمال اللذة وقوتها بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مئة عذراء كما سيأتي في مواضيع قادمة إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى التناسب الذي بين هذا الطول والعرض، فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخلقة، يصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر، وكلاهما غير مناسب والله أعلم.

بقي معنا من الشعر أبيات:

هذا وسنهم ثلاث مع ... ثلاثين التي هي قوة الشبان
وصغيرهم وكبيرهم في ذا على ... حد سواء ما سوى الولدان
والطول طول أبيهم ستون ... لـكن عرضهم سبع بلا نقصان
ألوانهم بيض وليس لهم لحى ... جعد الشعور مكحّلوا الأجفان
هذا كمال الحسن في أبشارهم ... وشعورهم وكذلك العينان

[113] _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي].

أعلاهم منزلة وأدناهم

إن أعلاهم منزلة هو سيّد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه قال تعالى: **{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ}**([114]).

قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله وموسى ورفع بعضهم درجات، هو محمد وفي حديث الإسراء المتفق على صحته أنه لما جاوز موسى قال: **"رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَا به فَوْقَ ذلكَ بما لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، حتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى"([115]).**

وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **"إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"([116]).**

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"سَأَلَ مُوسَى عليه السلام رَبَّهُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ مُوسَى: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟، قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ"([117]).**

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غَدْوَةً وَعَشِيَّةً ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}"([118]).**

و عن ابن عمر رضي الله عنه أيضاً قال: **"إنَّ أَدْنَى أهلِ الجنةِ مَنْزِلَةً، لرجلٌ يَنْظُرُ في مُلْكِهِ أَلْفَيْ سنةٍ يَرَى أقصاه كما يَرَى أَدْناه، ينظرُ أزواجَه وخَدَمَه وسُرُرَه، وإنَّ أفضلَهم منزلةً لَمَن ينظرُ في وجهِ اللهِ تبارك وتعالى كلَّ يومٍ مَرَّتَيْنِ"([119]).**

بقي معنا من الشعر أبيات:

هذا وأعلاهم فناظر ربه ... في كل يوم وقته الطرفان
لكن أدناهم وما فيهم دني ... إذ ليس في الجنات من نقصان
فهو الذي تلقى مسافة ... ملكه بسنيننا ألفان كاملتان
فيرى بها أقصاه حقا مثل ... رؤيته لأدناه القريب الداني

114 _[البقرة: 253].
115 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن خزيمة].
116 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد والنسائي والترمذي وأبي داود والدارمي].
117 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان والترمذي والمنذري].
118 _[حديث ضعيف أخرجه الترمذي وأحمد والمنذري وابن رجب والمناوي وابن حجر والألباني، والشوكاني وقال:حديث صحيح].
119 _[حديث ضعيف، أخرجه ابن منده والبغوي والهيثمي وأحمد والمنذري والألباني].

أو ما سمعت بأن آخر أهلها   يعطيه رب لعرش ذو الغفران
أضعاف دنيانا جميعا عشر   أمـثال لها سبحان ذي الإحسان

الآذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}"(120).**

و عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن قوله تعالى: "**{وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}** قال: **"نُودُوا: صِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا، وَانْعَمُوا فَلاَ تَبْؤُسُوا، وَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا، وَاخْلُدُوا فَلاَ تَمُوتُوا"(121).**

وعن صهيب بن سنان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نُودُوا يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا فَقَالُوا: أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَيُعْطِينَا كُتُبَنَا بِأَيْمَانِنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُنْجِينَا مِنْ النَّارِ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ قَالَ: فَيَتَجَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ قَالَ: فَمَا أَعْطَاهُمْ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَيْهِ"(122).**

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا أبو بكر الألهاني أخبرني أبو تميم الهجيمي قال: سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول: "أن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة فيقول: يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحلي والحلل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون: نعم قد أنجزنا ما وعدنا، قالوا ذلك: ثلاث مرات فينظرون فلا يفتقدون شيئاً مما وعدوا فيقولون: نعم فيقول: قد بقى شيء إن الله يقول: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}** قال: ألا إن الحسنى الجنة والزيادة: النظر إلى وجه الله".

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً"(123).**

و عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ خُلُودٌ"(124).**

وهذا الآذان وإن كان بين الجنة والنار، فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار، ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل إليهم ملكاً فيؤذن فيهم بذلك، فيتسارعون إلى الزيارة كما يؤذّن مؤذّن الجمعة إليها، وذلك في مقدار يوم الجمعة كما سيأتي مبيناً في عنوان لاحق بإذن الله تعالى زيارتهم الرب عز وجل.

---

120 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد والترمذي].
121 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والدارمي].
122 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه].
123 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي].
124 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد].

الأشجار والبساتين والظلال

قال تعالى: {**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ**}([125]) .

وقال تعالى: {**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**}([126]).

وهو جمع فنن: وهو الغصن.

وقال: {**فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**}([127]).

والمخضود: الذي قد خضد شوكة؛ أي نزع وقطع فلا شوك فيه، وهذا قول بن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبي الأحوص وقسامة بن زهير وجماعة واحتج هؤلاء بحجتين:

أحدهما: أن الخضد في اللغة القطع وكل رطب قضيته فقد خضدته وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه، فهو خضيد ومخضود ومنه الخضد على مثال الثمر، وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود، كقبض وسلب والخضاد شجر: رخو لا شوك له.

الحجة الثانية: وعن عُتْبَةَ بن عَبْدِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قال: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرَ اللهُ عز وجل فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً مُؤْذِيَةً، لَا أَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا شَجَرَةً أَكْثَرَ شَوْكًا مِنْهَا - يَعْنِي السِّدْرَ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **"أَلَيْسَ اللهُ عز وجل يَقُولُ: {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ} "فَإِنَّ اللهَ خَضَدَ شَوْكَهُ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمَرَةً مِثْلَ خِصْيَةِ التَّيْسِ الْمَلْبُودِ - يَعْنِي الْمَخْصِيَّ - فِيهَا سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ، مَا فِيهِ لَوْنٌ يُشْبِهُ الْآخَرَ "([128]).**

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال: كَانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولون: إنَّ اللهَ لينفعُنا بالأعرابِ ومسائِلِهم قال: أقبلَ أعرابيٌّ يومًا فقال: يا رسولَ اللهِ ذكر الله في الجنَّةِ شجرةً مؤذيةً وما كنتُ أرى أنَّ في الجنَّةِ شجرةً تؤذي صاحبَها!! قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: **"وَمَا هيَ؟"** قال: السدرُ فإنَّ له شوكًا مؤذيًا قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: **"أليس اللهُ يقولُ: {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ} خَضَدَ الله شَوْكَهُ، فجعلَ مكانَ كلِّ شوْكَةٍ ثمرةً؛ فإنَّها لتُنْبِتُ ثَمراً، تَفَتَّق الثمرةُ مِنْها عنِ اثْنَيْنِ وسبْعينَ لَوْناً مِنْ طعامٍ، ما فيها لونٌ يُشْبِه الآخَرَ"([129]).**

وقالت طائفة: المخضود هو الموقر حملاً وأنكر عليهم هذا القول وقالوا: لا يعرف في اللغة الخضد بمعنى الحمل، ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول بل هو قول صحيح وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لمّا خضد شوكه وأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أو قرت بالحمل والحديثان المذكوران يجمعان القولين.

وكذلك قول من قال: المخضود الذي لا يعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه؛ فسّره بلازم المعنى وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة وفرداً من أفراده تارة ومثالاً من أمثلته، فيحكيها الجمّاعون للغث والسمين أقوالاً مختلفة ولا اختلاف بينها.

---

125 _[الواقعة: 27-33].
126 _[الرحمن: 48].
127 _[الرحمن: 68].
128 _[حديث صحيح أخرجه الطبراني والذهبي والألباني].
129 _[حديث صحيح لغيره، أخرجه المنذري والدمياطي وابن المبارك والحاكم وابن أبي الدنيا والألباني].

وأما الطلح فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز.
قال مجاهد: أعجبهم الطلح و نضجه وحسنه فقيل لهم: **{وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ}**.
وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم.
وقالت طائفة أخرى: بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم:

بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك.
وقال ابن قتيبة: هو الذي نضدا بالحمل أو بالورق؛ والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز.
وقال مسروق: ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها وأنهارها تجري من غير أخدود.
وقال الليث: الطلح شجر أم غيلان ليس له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكاً وأصله عوداً وأجوده صمغاً.
قال أبو إسحاق: يجوز أن يعني به شجر أم غيلان، لأن له نوراً طيب الرائحة حداً، فوعدوا بما يحبون مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا، فإنه ليس في الجنة إلا الأسامي.
والظاهر أنّ من فسر الطلح المنضود بالموز، إنما أراد التمثيل به الحسن لحسن نضده وإلا فالطلح في اللغة: هو الشجر العظام من شجر البوادي والله أعلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"إنَّ في الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّهَا مِئَةَ سَنَةٍ، واقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} ولَقَابُ قَوْسِ أحَدِكُمْ في الجَنَّةِ خَيْرٌ ممَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ أوْ تَغْرُبُ"([130]).**

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إنَّ في الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِئَةَ عَامٍ ما يَقْطَعُهَا"([131]).**

وعن أبي هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"إنَّ في الجنَّةِ شَجرةً يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها سَبعينَ -أو مِئةَ سَنةٍ- "([132]).**

وروى وكيع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرؤا أن شئتم **{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}** فبلغ ذلك كعبا فقال: صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى والفرقان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم "لو أن رجلاً ركب جذعة أو جذعا ثم دار بأصل تلك الشجرة مائة عام ما بلغها حتى يسقط هرما أن الله غرسها بيده ونفخ فيها وإن أصلها من وراء سور الجنة ما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة".

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، فيخرج إليها أهل الجنة وأهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها قال: فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتتحرك تلك الشجرة لكل لهو كان في الدنيا.

---

130 _[حديث صحيح أخرجه البخاري والترمذي باختلاف يسير].
131 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].
132 _[حديث صحيح أخرجه الأرناؤوط في المسند].

و عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما في الجنَّةِ شجرةٌ إلَّا وساقُها من ذهبٍ"([133]).**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"يقولُ اللهَ عز وجلَ: أَعددتُ لعباديَ الصالحينَ ما لا عينُ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، وأقرؤوا إن شئتُم: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وإنّ في الجنةِ لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلهّا مائةَ عامٍ لا يقطعُها، واقرؤوا إن شئتُم: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} ولموضعُ سوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما عليْها، واقرؤوا إن شئتُم: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}**"([134]) .

وفي الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن في الجنةِ لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها واقرأوا إن شئتُم: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ}"([135]).**

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رجُلٌ: يا رسولَ اللهِ ما طُوبَى؟ قال: **"شجرةٌ في الجنَّةِ مسيرةُ مِئةِ سَنَةٍ، ثيابُ أهلِ الجنَّةِ تخرُجُ مِن أكمامِها"([136]).**

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله صلى الله عليه طوبى لمن رآكَ وآمنَ بكَ. قال: **"طوبى لمن رآني وآمنَ بي، ثم طوبى ثم طوبى لمن آمنَ بي ولم يَرَنِي".** فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ ما طوبى! قال: **"شجرةٌ في الجنةِ مسيرةُ مائةِ عامٍ، ثيابُ أهلِ الجنةِ تخرجُ من أكمامها"([137]).**

أول هذا الحديث في المسند ولفظه: **"طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي وَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي سَبْعَ مِرَارٍ"([138]).**

بقي معنا من الشعر أبيات:

أشجارها نوعان منها ما له — في هذه الدنيا مثال ذان
كالسدر أصل النبق مخضود مكان — الشوك من ثمر ذوي ألوان
هذا وظل السدر من خير — الظلال ونفعه الترويح للأبدان
وثماره أيضا ذوات منافع — من بعضها تفريح ذي الأحزان
والطلح وهو الموز منضود كما — نضدت يد بأصابع وبنان
أو أنه شجر البوادي موقرا — حملا مكان الشوك في الأغصان
وكذلك الرمان والأعناب — التي منها القطوف دوان

133 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأبو يعلى وابن حبان والسيوطي والألباني].
134 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد مختصراً وابن ماجه والترمذي والنسائي باختلاف يسير].
135 _[حديث حسن أخرجه الترمذي والبزار].
136 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والهيثمي والسيوطي والألباني].
137 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان والأرناؤوط وأحمد وأبو يعلى والطيالسي وابن حجر والألباني].
138 _[حديث حسن لغيره، أخرجه أحمد وابن حبان والطيالسي].

الثمار وصفاتها وشكلها

قال تعالى: **{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَار كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ}**([139]).

وقولهم هذا الذي رزقنا من قبل: أي شبيهه ونظيره لا عينه.
وهل المراد هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار، أو هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة؟.
قيل فيه قولان:

الأول: ففي تفسير السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: "**{قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ}** أنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا".
قال مجاهد: ما أشبهه به.
وقال ابن زيد: "هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا **{وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً}** يعرفونه".

وقال آخرون: هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة من قبل؛ هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم واحتج أصحاب هذا القول بحجج:

إحداها: أن المشابهة التي بين الثمار الجنة بعضها لبعض، أعظم من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا ولشدة المشابهة قالوا: هذا هو.

الحجة الثانية: ما حكاه بن جرير عنهم قال: ومن علة قائلي هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما كان.
روى سفيان: سمعت ابن مرة يحدث عن أبي عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال: كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى.

الحجة الثالثة: قوله وأتوا به متشابها: وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم: هذا الذي رزقنا من قبل.

الحجة الرابعة: أن من المعلوم أنه ليس كل ما في الجنة من الثمار، قد رزقوه في الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر واحتجت بوجوه:
قال ابن جرير: والذي يحقّق صحة قول القائلين أن معنى ذلك: **{هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ}** في الدنيا أن الله جل ثناؤه قال: **{كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً}**.

يقولون: هذا الذي رزقنا من قبل ولم يخصّص أن ذلك من قيلهم في بعض دون بعض، فإذا كان قد أخبر جلّ ذكره عنهم أن ذلك من قبلهم كلما رزقوا ثمرة، فلا شك أن ذلك من قبلهم في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة؛ فإذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم في أوله كما هو من قبلهم في

139 _[البقرة: 25].

وسطه وما يتلوه فمعلوم أنه محال يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة، هذا الذي من رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة.

وكيف يجوز أن يقولا لأول رزق من ثمارها ولمّا يتقدمه عندهم غيرها هذا هو الذي رزقنا من قبل أن يلبسهم ذو غيّة وضلال إلى قيل الكذب الذي قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم الأول رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب دلالة على أن ذلك في حال من أحوالهم دون حال فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا.

توضيح:
أصحاب القول الأول يخصون هذا العام بما عدا الرزق الأول، لدلالة العقل والسياق عليه وليس هذا ببدع من طريقة القرآن، وأنت مضطر إلى تخصيصة ولا بد بأنواع من التخصيصات:

أحدها: أن كثيراً من ثمار الجنة وهي التي لا نظير لها في الدنيا لا يقال فيها ذلك.

الثاني: أن كثيراً من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التي لها نظير في الجنة.

الثالث: أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد، كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هذا الذي رزقنا في الدنيا ويستمرون على هذا الكلام دائما إلى غير نهاية والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يعتني بهم من نعيمهم ولدتهم، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من المخاطب.

ومعناه: أنه يشبه بعضه بعضاً ليس أوله خيراً من آخره ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمرها وغير ذلك، بل أوله مثل أخره وآخره مثل أوله؛ هو خيار كله يشبه بعضه بعضاً، فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه، والذي يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه والله أعلم.

بقي معنا من الشعر أبيات:

هذا ونوع ما له في هذه	**الدنيا نظير كي يرى بعيان**
يكفي من التعجاج قول الهنا	**من كل فاكهة بها زوجان**
وأتوا به متشابها في اللون	**مختلف الطعوم فذاك ذو ألوان**
أو أنه متشابه في الاسم	**مختلف الطعوم فذاك قول ثان**
أو انه وسط خيار كله	**فالفحل منه ليس ذا ثنيان**
أو أنه لثمارنا ذي مشبه	**في اسم ولون ليس يختلفان**
لكن لبهجتها ولذة طعمها	**أمر سوى هذا الذي تجدان**
فيلذها في الأكل عند منالها	**وتلذها من قبله العينان**
قال ابن عباس وما بالجنة	**العليا سوى أسماء ما تريان**
يعني الحقائق لا تماثل هذه	**وكلاهما في الاسم متفقان**

الزراعة في الجنة

قال تعالى: **{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**[140].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: "أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَوْماً يُحَدِّثُ، وعِنْدَهُ رَجُلٌ مِن أهْلِ البَادِيَةِ: **"أنَّ رَجُلًا مِن أهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ في الزَّرْعِ، فَقَالَ له: ألَسْتَ فِيما شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، ولَكِنِّي أُحِبُّ أنْ أزْرَعَ، قَالَ: فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ واسْتِوَاؤُهُ واسْتِحْصَادُهُ، فَكانَ أمْثَالَ الجِبَالِ، فيَقولُ اللَّهُ: دُونَكَ يا ابْنَ آدَمَ، فإنَّه لا يُشْبِعُكَ شيءٌ"** ، فَقَالَ الأعْرَابِيُّ: واللَّهِ لا تَجِدُهُ إلَّا قُرَشِيّاً، أوْ أنْصَارِيّاً، فإنَّهُمْ أصْحَابُ زَرْعٍ، وأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ"[141].

وهذا يدل على أن في الجنة زرعاً وذلك البذر منه، وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع.

فإن قيل: فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غنية عنه.
قيل: لعله استأذنه في زرع يباشره ويزرعه بيده، وقد كان في غنية عنه وقد كفى مؤونته، ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث والله أعلم.

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال: "بينما رجل في الجنة فقال في نفسه: لو أن الله يأذن لي لزرعت فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون: سلام عليكم يقول لك ربك تمنّيت في نفسك شيئاً فقد علمته، وقد بعث الله معنا البذر فيقول: ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه: كل ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع" والله أعلم.

---

140 _[الزخرف: 71].
141 _[حديث صحيح أخرجه البخاري].

أنهار الجنة وأصنافها

قد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله تعالى: **{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهار}**([142]).

وفي موضع: **{تَجْرِي تَحْتَهَا الأنهار}**([143]) .

وفي موضع: **{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنهار}**([144]).

وهذا يدل على أمور:
أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقية.

الثاني: أنهار جارية لا واقفة.

الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار الدنيا، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاؤوا، كأن الذي حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجري في غير أخدود، فهي جارية على وجه الأرض حملوا قوله: **{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهار}** ؛ على أنها تجري بأمرهم إذ لا يكون فوق المكان تحته، وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم؛ فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أخدود فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار، وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها؛ وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال: **{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أهلكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأنهار}**([145]) .

فهذا على ما هو المعهود والمتعارف، وكذلك ما حكاه من قول فرعون: **{وَهَذِهِ الأنهار تَجْرِي مِنْ تَحْتِي}**(**[146]**) .

وقال تعالى: **{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}**([147]).

قال ابن أبي شيبة: حدثنا يحيى بن يمان عن أشعب عن جعفر عن سعيد قال: نضاختان بالماء والفواكة.

و روى ابن يمان عن أبي إسحاق عن أبان عن أنس قال: نضاختان بالمسك والعنبر، ينضخان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا.

و روى عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي إسحاق عن البراء قال: اللتان تجريان أفضل من النضاختين.
وقال تعالى: **{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أنهار مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأنهار مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأنهار مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأنهار مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ}**([148]).

[142] _[البقرة: 25].
[143] _[التوبة: 100].
[144] _[الأعراف: 43].
[145] _[الأنعام: 6].
[146] _[الزخرف: 51].
[147] _[الرحمن: 66].
[148] _[محمد: 15].

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا؛ فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغيّر طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي في اللذة وشربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول والإنزاف وعدم اللذة، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزي والندامة والفضيحة وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو هلاكه ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له ولم يلزمه مؤونته، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمأثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى وأذلت من عزيز ووضعت من شريف وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة وفسخت من مودة ونسجت من عداوة، وكم فرّقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة، وكم أغلقت في وجه شاربها باباً من الخير وفتحت له بابا من الشر، وكم أوقعت في بلية وعجلت من منيته، وكم أورثت من خزية وجرت على شاربها من محبة وجرت عليه من سفلة فهي جماع الإثم ومفتاح الشر وسلابة النعم وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه أنه قال: **"مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ"**([149]).
لكفى وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة.

فإن قيل: فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله: **{غَيْرِ آسِنٍ}**.

قيل: الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال.

تأمّلات:
تأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا للذتهم وسرورهم وهذا لشفاعتهم ومنفعتهم والله أعلم.

إنّ أنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها، كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"إنَّ في الجنةِ مِائةَ درجةٍ أعدَّهَا اللهُ للمجاهدِينَ في سبيلِ اللهِ ، ما بين الدَّرجتيْنِ كمَا بين السماءِ و الأرضِ، فإذا سألتُمُ اللهَ فسَلُوهُ الفِردوْسَ، فإنَّهُ أوسَطُ الجنةِ وأعلى الجنةِ، و فوْقَهُ عرشُ الرحمنِ، و مِنهُ تفَجَّرُ أنْهارُ الجنةِ"**([150]).

وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الفِرْدَوسُ رَبْوَةُ الجنةِ وأعْلَاهَا وأوْسَطُهَا، ومنها تَفَجَّرُ أنهارُ الجنةِ"**([151]).

---

149 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي ومالك].
150 _[حديث صحيح أخرجه البخاري والنسائي والألباني والوادعي].
151 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي والطبراني والبزار مختصراً بزيادة وأبو نعيم باختلاف يسير والألباني].

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"رُفِعتُ إلى سِدْرةِ المُنْتَهَى مُنتَهاها في السماءِ السابعةِ نَبَقُها مِثلُ قِلالِ هَجَرَ وورَقُها مِثلُ آذانِ الفِيلَةِ فإذا أربعةُ أنْهارٍ نهْرانِ ظاهِرانِ، ونهرانِ باطِنانِ. فأمّا الظَّاهِرانِ: فالنِّيلُ والفُراتُ. وأمّا الباطِنانِ: فنَهْرانِ في الجنةِ، وأُتيتُ بثلاثةِ أقْداحٍ قدَحٌ فيه لَبنٌ وقدَحٌ فيه عسَلٌ وقدَحٌ فيه خمْرٌ، فأخذتُ الّذي فيه الّلبَنَ فشَرِبْتُ فقِيلَ لِي: أَجَبْتَ الفِطرةَ أنتَ وأُمَّتُكَ"([152]).**

وفي صحيحه أيضاً من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"بينَما أنا أسيرُ في الجنةِ إذا بنهرٍ حافتاهُ قِبابُ اللؤلؤِ المجوفِ، قلْتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّكَ فضربَ الملكُ بيدِهِ فإذا طينُهُ مِسكٌ أذفَرُ"([153]).**

قرَأ أنسُ بنُ مالكٍ: **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}** قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **"الكوثرُ نَهَرٌ في الجنَّةِ يجري على وجهِ الأرضِ حافَتاه قِبابُ الدُّرِّ"** قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **"فضرَبْتُ بيدي فإذا طِينُه مِسْكٌ أَذْفَرُ وإذا حَصباؤُه اللُّؤلؤُ"([154]).**

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "بيْنَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ذَاتَ يَومٍ بيْنَ أَظْهُرِنَا إذْ أَغْفَى إغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، فَقُلْنَا: ما أَضْحَكَكَ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: **"أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ: بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ * إنَّ شَانِئَكَ هو الأَبْتَرُ}** ، ثُمَّ قالَ: **"أَتَدْرُونَ ما الكَوْثَرُ؟"** فَقُلْنَا اللَّهُ ورَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: **"فإنَّه نَهْرٌ وعَدَنِيهِ رَبِّي عزَّ وجلَّ، عليه خَيْرٌ كَثِيرٌ، هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتي يَومَ القِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فيُخْتَلَجُ العَبْدُ منهمْ، فأقُولُ: رَبِّ، إنَّه مِن أُمَّتي فيَقولُ: ما تَدْرِي ما أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ". زَادَ ابنُ حُجْرٍ، في حَديثِهِ: بيْنَ أَظْهُرِنَا في المَسْجِدِ. وقالَ: "ما أَحْدَثَ بَعْدَكَ".**
وفي رواية: أَغْفَى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ إغْفَاءَةً، بنَحْوِ حَديثِ ابْنِ مُسْهِرٍ غيرَ أنَّه قالَ: **"نَهْرٌ وعَدَنِيهِ رَبِّي عزَّ وجلَّ في الجَنَّةِ عليه حَوْضٌ".** ولَمْ يَذْكُرْ "آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ"(**155**).

وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"الكَوْثَرُ نهرٌ في الجنةِ حافَتَاهُ من ذهبٍ ومَجْرَاهُ على الدُّرِّ والياقوتِ تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ من المِسْكِ وماؤُهُ أَحْلَى من العَسَلِ وأَبْيَضُ من الثَّلْجِ"([156]).**

وقال أبو نعيم الفضل: حدثنا أبو جعفر هو الرازي حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهدا: "**{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر}** ، قال: الخير الكثير".

وقال أنس بن مالك: نهر في الجنة.

وقالت عائشة: "هو نهر في الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر".

وهذا معناه والله أعلم أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي سمعه حين يدخل إصبعيه في أذنيه.

---

152 _[حديث صحيح أخرجه البخاري وأحمد والنسائي والألباني].
153 _[حديث صحيح أخرجه البخاري والترمذي وأحمد].
154 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان والأرناؤوط].
155 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد].
156 _[حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه].

وفي جامع الترمذي من حديث وعن معاوية بن حيدة القشيري عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: **"إنَّ في الجنَّةِ بَحرَ الماءِ، وبَحرَ العَسلِ، وبَحرَ اللَّبنِ، وبَحرَ الخمرِ، ثمَّ تُشقَّقُ الأنـهارُ بعدُ"(**[157]**).**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"من سرَّهُ أن يسقيَهُ اللَّهُ الخمرَ في الآخرةِ فليترُكها في الدُّنيا ومن سرَّهُ أن يَكْسوَهُ اللَّهُ الحريرَ في الآخرةِ فليترُكْهُ في الدُّنيا"(**[158]**).**

وعن مسروق بن الأجدع بن مالك عن عبدِ اللَّهِ قالَ : "إنَّ أنهارَ الجنةِ تَفجَّرُ مِن جبلِ مِسكٍ"([159]).

وعن أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"جِنانُ الفردوسِ أربعٌ، ثِنتانِ من ذهبٍ، حِلْيَتُهما وآنيتُهما وما فيهما، وثِنتانِ من فِضةٍ، آنيتُهما وحِلْيَتُهما وما فيهما، وليس بين القومِ وبين أن ينظروا إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ إلَّا رداءُ الكِبرياءِ على وجهه في جنةِ عَدنٍ، وهذه الأنـهارُ تَشْخَبُ من جنةِ عَدنٍ، ثم يَصْدَعُ بعد ذلك أنْهاراً"(**[160]**).**

وعن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لعلَّكُم تظنُّونَ أنَّ أنهارَ الجنَّةِ أُخدودٌ في الأرضِ؟ لا واللهِ، إنَّها لسائحةٌ على وجهِ الأرضِ، إحدَى حافَّتَيْها اللؤلؤُ، والأخرَى الياقوتُ، وطينةُ المِسْكِ الأذْفَرِ" قال: قلتُ: ما الأذْفَرُ؟ قال: "الَّذي لا خلْطَ لهُ"([161]).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّه قَرأَ هذه الآيةَ: {**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**} ، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **"أُعطيتُ الكَوثرَ، فإذا هو نَـهرٌ يَجري، ولم يُشَقَّ شَقّاً، فإذا حافَتاهُ قِبابُ اللُّؤلؤِ، فضرَبْتُ بيَدي إلى تُربتِه، فإذا مِسْكةٌ ذَفِرةٌ، وإذا حَصاهُ اللُّؤلؤُ"(**[162]**).**

وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق في قوله تعالى: "{**وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ**} قال: أنهار تجري في غير أخدود قال: {**وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ**} قال: من أصلها إلى فروعها أو كلمة نحوها".

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"سَيْحانُ وجَيْحانُ، والْفُراتُ والنِّيلُ كُلٌّ مِن أنْـهارِ الجَنَّةِ"(**[163]**).**

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"أنزلَ اللَّهُ منَ الجنَّةِ إلى الأرضِ خمسةَ أنْهارٍ: سيحونَ وَهوَ نَـهرُ الْهندِ، وجَيحونَ وَهوَ نَـهرُ بَلخٍ، ودجلةَ والفراتَ وَهما نَـهرا العراقِ، والنِّيلَ وَهوَ نَـهرُ مصرَ، أنزلَـها اللَّهُ من عينٍ واحدةٍ من عيونِ الجنَّةِ من أسفلِ درجةٍ من درجاتِها على جناحي جبريلَ، فاستودعَها الجبالَ وأجراها في الأرضِ وجعلَـها منافعَ للنَّاسِ في أصنافِ معايشِهِم، فذلِكَ قولُهُ: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ} فإذا كانَ عندَ خروجِ يأجوجَ ومأجوجَ أرسلَ اللَّهُ جبريلَ فيرفعَ منَ الأرضِ القرآنَ والعلمَ كلَّهُ والحجرَ من رُكنِ البيتِ ومقامَ**

---

157 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي والسيوطي والأرناؤوط وأبو نعيم والألباني].
158 _[حديث حسن حدّث به العراقي وأخرجه الطبراني والبيهقي وابن عساكر].
159 _[حديث موقوف صحيح، أخرجه ابن القيم وابن كثير].
160 _[حديث ضعيف أخرجه أحمد والطيالسي وابن أبي الدنيا].
161 _[حديث صحيح أخرجه المنذري في الترغيب والألباني في السلسلة الصحيحة].
162 _[حديث صحيح أخرجه الأرناؤوط في المسند والألباني في السلسلة الصحيحة وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم].
163 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد وأبو يعلى والسيوطي وأبو نعيم والألباني].

إبراهيمَ وتابوتَ موسى بما فيهِ وَهذِهِ الأنْهارَ الخمسةَ فيرفعُ كلَّ ذلِكَ إلى السَّماءِ، فذلِكَ قولُهُ: {وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} فإذا رُفِعت هذِهِ الأشْياءُ منَ الأرضِ فقدَ أَهلُها خيرَ الدُّنيا والآخرةِ"(164).

وعن ابنِ عبَّاسٍ قال: "إنَّ في الجنَّةِ نهرًا يُقالُ لهُ: البَيدَخُ علَيهِ قِبابٌ مِن ياقوتٍ تحتَهُ جَوارٍ يقولُ أهلُ الجنَّةِ: انطلِقوا بنا إلى البَيدَخِ فيجيبونَ فيتصفحونَ تلكَ الجواري فإذا أعجبَ رجلٌ منهُم جاريةً جسَّ مِعصمَها فتَتبعُهُ وتثبُت مكانَها أُخرَى"(**165**).

توضيح:

وأما العيون فقد قال تعالى: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}**(166).

وقال تعالى: **{إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً}**(167).

قال بعض السلف: معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم، وقد اختلف في قوله: **{يَشْرَبُ بِهَا}.**

فقال الكوفيون: الباء بمعنى من أي يشرب منها.

وقال آخرون: بل الفعل مضمن ومعنى يشرب بها: أي يروى بها فلما ضمنه معناه عداه تعديته وهذا أصح وألطف وأبلغ.

وقالت طائفة: الباء للظرفية والعين أسم للمكان كما تقول كنا بمكان كذا وكذا ونظير هذا التضمين قوله تعالى: **{مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ}**(168).

ضمن معنى يهم فعدى تعديته وقال تعالى: **{وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً}**(169).

فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً أن شراب الأبرار يمزج منها، لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم ونظير هذا قوله تعالى: **{إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}**(170).

فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين، ويجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله.

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان لذيذان من الشراب:

أحدهما: مزج بكافور.

والثاني: مزج بزنجبيل.

---

164 _[حديث ضعيف أخرجه السيوطي والخطيب البغدادي وابن عدي].
165 _[حديث حسن موقوف أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم والسيوطي في البدور السافرة وقال: رجاله ثقات].
166 _[الذاريات: 15].
167 _[الانسان: 5-6].
168 _[الحج: 25].
169 _[الإنسان: 17-18].
170 _[المطففين: 22-28].

وأيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها وهو ما أوجبه الله عليهم ولهذا قال: **{وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً}**([171]).

فإنّ في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم، من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور، وهذا جمال ظواهرهم وهذا حال بواطنهم كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان، ونظيره قوله في آخر السورة: **{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ}**([172]) .

فهذه زينة الظاهر ثم قال: **{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً}**([173]) .

فهذه زينة الباطن المطهّر لهم من كل أذى ونقص، ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام: **{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى}**([174]).

فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ولا ذل الظاهر بالعري، وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ولا حر الظاهر بالضحى، ونظير هذا ما عدّده على عباده من نعمة أنه أنزل عليهم لباساً يواري سوءاتهم ويزين ظواهرهم ولباسا آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباس التقوى، وأخبر أنه خير اللباسين وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد، فزيّن ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ثم أخبر أن خير الزاد الباطن وهو التقوى وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف: **{فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ}**([175]) .

فأرتهن حسنه وجماله ثم قالت: **{وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ}**([176]).

فأخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة وهذا كثير في القرآن لمتأمّله.

بقي معنا من الشعر أبيات:

أنهارها في غير أخدود جرت ... سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شاءوا ... مفجرة وما للنهر من نقصان
عسل مصفى ثم ماء ثم ... خمر ثم أنهار من الألبان
والله ما تلك المواد كهذه ... لكن هما في اللفظ مجتمعان
هذا وبينهما يسير تشابه ... وهو اشتراك قام بالأذهان

---

171 _[الإنسان: 12].
172 _[الإنسان: 21].
173 _[الإنسان: 21].
174 _[طه: 118-119].
175 _[يوسف: 32].
176 _[يوسف: 32].

طعامهم وشرابهم ومصرفه

قال الله تعالى: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}**([177]).

وقال تعالى: **{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}**([178]).

وقال تعالى: **{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ}**([179]).

وقال تعالى: **{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهار أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا}**([180]).

وقال تعالى: **{وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ}**([181]).

وقال تعالى: **{يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}**([182]).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يأكلُ أهلُ الجنَّةِ فيها ويشرَبونَ، ولا يَمْخُطونَ، ولَا يتَغَوَّطونَ، ولَا يبولونَ، وإنَّما طعامُهم جشاءٌ، ورشْحٌ كرشْحِ المسْكِ، يُلْهَمُونَ التسبيحَ والحمدَ كما يُلْهمونَ النفَسَ"([183]).**

ورواه أيضاً من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه قالوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ قَالَ: **"جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ"**([184]) .

وعن زيد بن أرقم قال: جاء رجلٌ من أهلِ الكتابِ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قال: يا أبا القاسمِ، تزعمُ أنَّ أهلَ الجنَّةِ يأكلونَ ويشربونَ؟ قال: **"نعم والذي نفسُ محمدٍ بيدِه إنَّ أحدَهم ليُعطى قوةَ مائةِ رجلٍ في الأكلِ والشُّربِ والجماعِ والشَّهوةِ"** ، قال: فإنَّ الذي يأكلُ ويشربُ تكونُ له حاجةٌ وليسَ في الجنَّةِ أذى، قال: **"تكونُ حاجةُ أحدِهم رشحًا يفيضُ من جلودِهم كرشحِ المسكِ فيضمرُ بدنُه"([185]).**

وعن ثمامة بن عقبة المحلمي قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ"** فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمُرَ"([186]).**

فهيا بنا إلى مطاعم الجنة، فَفي الجنة مطاعم ومشارب مما لذ وطاب.

---

177 _[المرسلات: 41-43].
178 _[الحاقة: 19-24].
179 _[الزخرف: 72-73].
180 _[الرعد: 35].
181 _[الطور: ٢٢- 23].
182 _[المطففين: 25-26].
183 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والبخاري وأحمد وابن حبان].
184 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والمنذري وأبو نعيم].
185 _[حديث صحيح أخرجه ابن القيم والسيوطي].
186 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والدارمي والنسائي والألباني].

نعم إنه بوفيه مفتوح حار وبارد ومالح وحلو وحلويات وشراب، من جميع الأصناف مما لذ منها وطاب، من كل ما تشتهيه نفسك وليس ممنوع عن بعض المأكولات التي تسبب السمنة أو نصحك الطبيب بالحمية، لأن معك مرض السكر أو الضغط أو غيره، ولا ممنوع لحساسية من بعض أنواع المأكولات ونحو ذلك، فَأنت في دار النعيم ودار المقامة التي لا يمسك فيها نصب ولا سقم ولا لغوب.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظلة وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء .. ".

يعني أن بين ذلك بوناً عظيماً وفرقاً بيّناً في التفاصيل.
فطعامك في الجنة لا ينفذ فهو دائم لك لتتنعم بهذا النعيم الذي لا ينفذ ولا ينقطع.
ففي الجنة أصناف الأكل من الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وغيرها، وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.

إنّ ما ذُكر لنا في نصوص الوحي عن نعيم الجنة من الثمار والأشجار والأنهار والسرر والفرش والأكواب، مخالف لما في الدنيا أي: ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء.

وإنما ذكر لنا بتلك الأسماء التي نعرف من باب التقريب للأذهان، وإلا فإن في الجنة من النعيم المقيم الأبدي ما لا يمكن وصفه، ولا يمكن لعقولنا أن تتخيله ولا للغة التخاطب عندنا أن تعبر عنه، قال الصنعاني في التنوير شرح الجامع الصغير: "ليس في الجنة شيء مما في الدنيا من الطيبات: إلا الأسماء وإلا، فالذوات غير الذوات، واللذات غير اللذات".

وقال المناوي: "ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر، فمطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها إنما يشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات، وتسمى بأسمائها على منهج الاستعارة والتمثيل ولا يشاركها في تمام حقيقتها".

عن عبد الله ابن مسعود قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إنَّكَ لتنظُرُ إلى الطَّيرِ في الجنَّةِ فيخرُّ بينَ يديكَ مشويّاً"**([187]).

وفي الحديث الذي رواه أبي سعيد الخدري قال: **"تكونُ الأرضُ يومَ القيامَةِ خُبْزَةً واحدةً، يتكفَّأُها الجبارُ بيدِهِ، كما يتكفَّأُ أحدُكم خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهلِ الجنةِ"**([188]).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"إِنَّ طَيْرَ الْجَنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ تَرْعَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ"** فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ فَقَالَ: **"أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا قَالَهَا ثَلَاثًا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ"**([189]).

وعن قتادة عن أيوب عن رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى: "**{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ}** ، قال: يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس في الأخرى".

---

187 _[حديث ضعيف أخرجه ابن القيسراني والمنذري والدمياطي والهيثمي والبوصيري والعراقي].
188 _[حديث صحيح أخرجه البخاري مطولاً ومسلم باختلاف يسير وابن منده].
189 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والمنذري والهيتمي و الأرناؤوط والألباني].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا الْكَوْثَرُ قَالَ: **"ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ - يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ- أَشَدُّ بَيَاضاً مِنْ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ"** قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَكَلَتُهَا أَحْسَنُ مِنْهَا"**([190]).

و روى عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن عباس في قوله تعالى: "**{وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ}**، يقول: الخمر لا فيها غول ويقول: ليس فيها صداع وفي قوله تعالى: **{وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ}**، يقول لا تذهب عقولهم وقوله تعالى: **{وَكَأْساً دِهَاقاً}**، يقول: ممتلئة وقوله: **{رَحِيقٍ مَخْتُومٍ}**، يقول: الخمر ختم بالمسك".

وقال علقمة عن ابن مسعود: "**{خِتَامُهُ مِسْكٌ}** قال: خلطه وليس بخاتم ثم يختم".

فيريد والله أعلم أن أخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة ليس من الخاتم.

وقال زيد بن معاوية: "سألت علقمة عن قوله تعالى: **{خِتَامُهُ مِسْكٌ}**،فقرأتها خاتمه مسك فقال لي: ليست خاتمه ولكن اقرأه **{خِتَامُهُ مِسْكٌ}**،قال علقمة: ختامه خلطه ألم ترَ أن المرأة من نسائكم تقول للطيب أن خلطه من مسك لكذا وكذا".

وذكر سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق: الرحيق الخمر المختوم يجدون عاقبتها طعم المسك وبهذا الإسناد عن مسروق عن عبد الله في قوله تعالى: **{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}** قال: تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا".

وكذلك قال ابن عباس: "يشرب منها المقربون صرفا وتمزج لمن دونهم".

وقال مجاهد: ختامه مسك يقول طينة.

وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير ولفظ الآية أوضح منه وكأنه والله أعلم يريد ما يبقى في أسفل الإناء من الدري.

و روى الحاكم من حديث أبي الدرداء في قوله: "**{خِتَامُهُ مِسْكٌ}** قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها".

قال آدم: وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال: "التسنيم اسم العين التي يمزج بها الخمر".

و روى الإمام أحمد عن ابن عباس في قوله: "**{وَكَأْسًا دِهَاقًا}** قال: هي المتتابعة الممتلئة قال: ربما سمعت العباس يقول: اسقنا وأدهق لنا".

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: **{إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً}**([191]).

---

190 _[حديث حسن، أخرجه الترمذي وأحمد والنسائي وابن حجر والهيتمي والأرناؤوط والمنذري].

191 _[الانسان: 5-6].

وعلى قوله: {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً}([192]).

فقالت فرقة: سلسبيلا جملة مركبة من فعل وفاعل، وسلسبيلا منصوب على المفعول؛ أي سل سبيلا إليها وليس هذا بشيء وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهي اسم للعين نفسها باعتبار صفتها.

ولقد شفى قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة فقال قتادة: سلسة فهم يصرفونها حيث شاؤا وهذا من الاشتقاق الأكبر.
وقال مجاهد: سلسة السيل حديدة الجرية.
وقال أبو العالية: والمقابلان تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم وهذا من سلاستها وحدة جريتها.
وقال آخرون: معناها طيبة الطعم والمذاق.
وقال أبو إسحاق: سلسبيل صفة لما كان في غاية السلاسة فسميت العين بذلك.

وقال ابن الأنباري: "الصواب في سلسبيل أنه صفة للماء وليس باسم للعين واحتج على ذلك بحجتين:
إحداهما: أن سلسبيلا مصروف ولو كان اسما للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية.

الثانية: أن ابن عباس قال: معناه أنها تنسل في حلوقهم انسلالاً.

يقول ابن القيم: ولا حجة له في واحدة منهما أما الصرف فلا اقتضاء رؤوس الآي له كنظائره.
وأما قول ابن عباس فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة، فقد تضمّنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر.
فإن قيل: فأين يشوي اللحم وليس في الجنة نار فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوي بـ: "كن".

وأجاب آخرون: بأنه يشوى خارج الجنة ثم يؤتي به إليهم.

والصواب: أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه، كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئاً.

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"مجامِرُهم الأَلُوَّةُ"([193]).**

و**"المجامر"** جمع جمرة وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه والإلوة العود المطري فأخبر أنهم يتجمرون به أي يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته.

وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالاً، والظلال لا بد أن تفيء مما يقابلها فقال: **{هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ}**([194]) .
وقال: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ}**([195]).

---

192 _[الإنسان: 17-18].
193 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن حبان وابن ماجه].
194 _[يس: 56].
195 _[المرسلات: 41].

وقال: {وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً}([196]).

فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعي أسباب تتم بها، والله سبحانه خالق السبب والمسبب وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه وذاك سبب إنضاجه، وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحا وجشاء وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها فرب الدنيا والآخرة واحد وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلقه في الدنيا والآخرة والأسباب مظهر أفعاله وحكمته ولكنها تختلف، ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة، وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر وذلك محض لجهل والظلم، وإلا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشئها منها كما لا تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته وليس هذا بأهون عليه من ذلك.

ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب، ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها؛ أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها.

ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن قيء ذباب، أعجب من إجرائها أنهاراً في الجنة بأسباب أخر، ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر، ولعل إخراج الحرير من لعاب دودة القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء، أعجب من إخراجه من أكمام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشئ منها ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود.

تأملات:

فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه وعلى توحده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينهما وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار، تجد هذه أدل شيء على تلك شاهدة لها وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ومالك واحد فبعداً لقوم لا يؤمنون.

بقي معنا من الشعر أبيات:

وطعامهم ما تشتهيه نفوسهم	**ولحوم طير ناعم وسمان**
وفواكه شتى بحسب مناهم	**يا شبعة كملت لذي الايمان**
لحم وخمر والنسا وفواكه	**والطيب مع روح ومع ريحان**
وصحافهم ذهب تطوف عليهم	**بأكف خدام من الولدان**
وانظر إلى جعل اللذاذة للعيون	**وشهوة للنفس في القرآن**
للعين منها لذة تدعو إلى	**شهواتها بالنفس والأمران**
سبب التناول وهو يوجب لذة	**أخرى سوى ما نالت العينان**
يسقون فيها من رحيق ختمه	**بالمسك أوله كمثله الثاني**
مع خمرة لذت لشاربها بلا	**غول ولا داء ولا نقصان**
والخمر في الدنيا فهذا وصفها	**تغتال عقل الشارب السكران**
وبها من الأدواء ما هي أهله	**ويخاف من عدم لذي الوجدان**
فنفى لنا الرحمن أجمعها عن	**الخمر التي في جنة الحيوان**
وشرابهم من سلسبيل مزجه	**الكافور ذاك شراب ذي الإحسان**

[196] _[النساء: 57].

هذا شرب أولي اليمين ولكن الأبرار شربهم المقرب خيرة الرحمن
صفى المقرب سعيه فصفا له ذاك الشراب فتلك تصفيتان
لكن أصحاب اليمين فأهل مزج بالمباح وليس بالعصيان
مزج الشراب لهم كما مزجوا هم الأعمال ذاك المزج بالميزان
هذا وذو التخليط مزجا أمره والحكم فيه لربه الديان
هذا وتصريف المآكل منهم عرق يفيض لهم من الأبدان
كروائح المسك الذي ما فيه خلط غيره من سائر الألوان
فتعود هاتيك البطون ضوامرا تبغي الطعام على مدى الأزمان
لا غائط فيها ولا بول ولا مخط ولا بصق من الإنسان
ولهم جشاء ريحه مسك يكون به تمام الهم بالإحسان

أول طعام يأكله أهل الجنة

أعدّ الله لأهل الجنة أنواعاً كثيرةً من الطعام؛ لا حصر للبشر بها، ممّا علمها الإنسان وممّا لا يعلمها، ومن كثرتها يظنّ أهل الجنة أنّهم قد رأوها من قبل فإذا هي أصنافٌ جديدةٌ متشابهةٌ في الشكل واللون، ففي الجنة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن طعامهم عند بداية دخولهم الجنة وأوله هو زيادة كبد الحوت، كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المَدِينَةَ فأتَاهُ، فَقالَ: إنِّي سَائِلُكَ عن ثَلَاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلَّا نَبِيٌّ قالَ: ما أوَّلُ أشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وما أوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أهْلُ الجَنَّةِ؟ ومِنْ أيِّ شيءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إلى أبِيهِ؟ ومِنْ أيِّ شيءٍ يَنْزِعُ إلى أخْوَالِهِ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: **"خَبَّرَنِي بهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ"** قالَ: فَقالَ عبدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلَائِكَةِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: **"أمَّا أوَّلُ أشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ، وأَمَّا أوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وأَمَّا الشَّبَهُ في الوَلَدِ: فإنَّ الرَّجُلَ إذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كانَ الشَّبَهُ له، وإذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كانَ الشَّبَهُ لَهَا"** قالَ: أشْهَدُ أنَّكَ رَسولُ اللَّهِ"([197]).

فهذا أول طعام يُتحِف الله به أهل الجنة عند دخولهم لها.

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَجَاءَ حِبْرٌ مِن أحْبَارِ اليَهُودِ فَقالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ منها فَقالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلتُ: أَلَا تَقُولُ يا رَسولَ اللهِ، فَقالَ اليَهُودِيُّ: إنَّما نَدْعُوهُ باسْمِهِ الذي سَمَّاهُ به أَهْلُهُ. فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: **"إنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الذي سَمَّانِي به أَهْلِي"** ، فَقالَ اليَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقالَ له رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: **"أَيَنْفَعُكَ شيءٌ إنْ حَدَّثْتُكَ؟"** قالَ: أَسْمَعُ بأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بعُودٍ معهُ، فَقالَ: **"سَلْ"** فَقالَ اليَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكونُ النَّاسُ يَومَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسَّمَوَاتُ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: **"هُمْ في الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ"** قالَ: فمَن أَوَّلُ النَّاسِ إجَازَةً؟ قالَ: **"فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ"** قالَ اليَهُودِيُّ: فَما تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ؟ قالَ: **"زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ"** ، قالَ: فَما غِذَاؤُهُمْ علَى إثْرِهَا؟ قالَ: **"يُنْحَرُ لهمْ ثَوْرُ الجَنَّةِ الذي كانَ يَأْكُلُ مِن أَطْرَافِهَا"** قالَ: فَما شَرَابُهُمْ عليه؟ قالَ: **"مِن عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا"** قالَ: صَدَقْتَ"([198]).

إن زيادة كبد الحوت هي أطيب ما في الحوت كله وأثمنها وألذّها وأشهاها، وأما عن الحكمة في اختيار الله للحوت وزيادة كبده على الرغم من أن العرب لم يعهدوا أكل السمك نظرا لبعدهم عن المسطحات المائية؛ هي أن الحوت من الكائنات البحرية أو المائية والماء دليل على ازدهار الحياة وعلى جمال المكان وهو الجنة، وأما عن زيادة كبد الحوت من الناحية العلمية والطبية فأثبت العلم الحديث أنها تتمتع بأعلى قيمة غذائية بين جميع المأكولات، وأنها الأشهى والألذ طعماً في الجنة.

وقال بعض العلماء في الحكمة من اختيار زيادة كبد الحوت خاصة، فقال بعضهم: "إن في ذلك إشارة إلى نهاية الدنيا التي هي دار الزوال، والانتقال إلى الجنة التي هي دار القرار، لأن الحوت من الحيوانات المائية التي تشير إلى عنصر الحياة في الأرض، والثور من الحيوانات البرية التي تشير إلى الحرث والكسب في الأرض، فاستطعام أهل الجنة منهما إشارة إلى نهاية الدنيا وبداية الآخرة"([199]).

---

197 _[حديث صحيح أخرجه البخاري والأرناؤوط].
198 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان والأرناؤوط].
199 _[الآلوسي في كتابه روح المعاني، (94/7)].

الكأس والإبريق والكوب

قال تعالى: **{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ}**([200]) .

فالصحاف: جمع صحفة.

قال الكلبي: بقصاع من ذهب.

وقال الليث: الصحفة قصعة مسطحة عريضة الجمع صحاف قال الأعشى:

والمكاكيك والصحاف من الفضة   والضامرات تحت الرجال

وأما الأكواب: فجمع كوب.

قال الفراء: الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له وأنشد العدي:

متكئاً تصفق أبوابه   يسعى عليه العبد بالكوب

وقال أبو عبيد: الأكواب الأباريق التي لا خراطيم لها.

قال أبو إسحاق: واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له.

وقال ابن عباس: هي الأباريق التي ليست لها آذان.

وقال مقاتل: هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى.

وقال البخاري في صحيحه: "الأكواب والأباريق التي لها خراطيم".

وقال تعالى: **{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ}**([201]).

الأباريق: هي الأكواب التي لها خراطيم فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب، وإبريق إفعيل من البريق وهو الصفاء فهو الذي يبرق لونه من صفائه، ثم سمى كل ما كان على شكله إبريقاً وإن لم يكن صافياً، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير يرى من ظاهرها ما في باطنها، والعرب تسمي السيف إبريقا لبريق لونه ومنه قول ابن أحمر:

تعلقت إبريقاً وعلقت جفنه   ليهلك حيا ذا زهاء وخامل

وفي نوادر اللحياني امرأة إبريق إذا كانت برّاقة.

وقال تعالى: **{وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً}**([202]).

فالقوارير: هي الزجاج فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفاء الزجاج وشفافيته وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال: **{قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ}**.

قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي: قوارير الجنة من الفضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير.

قال ابن قتيبة: كل ما في الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها، مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد كما قال ابن عباس: "ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء".

---

[200] _[الزخرف: 71].

[201] _[الواقعة: 17-18].

[202] _[الإنسان: 15-16].

والأكواب في الدنيا قد تكون من فضة وتكون من قوارير فأعلمنا الله أن هناك أكواباً لها بياض الفضة وصفاء القوارير، قال: "وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة" وهذا كقوله تعالى: **{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}**([203]).

أي لهن ألوان المرجان في صفاء الياقوت، وهذا مردود عليه فإن الآية صريحة أنها من فضة ومن ههنا لبيان الجنس كما تقول: خاتم من فضة ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة بل جنسه ومادته الفضة، ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير وهو الزجاج وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه.

وقوله: **{قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا}**([204]).

التقدير: جعل الشيء بقدر مخصوص فقدرت الصناع هذه الآنية على قدر ريهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وهذا أبلغ من لذة الشارب فلو نقص عن ربه لنقص التذاذه ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي، هذا قول جماعة من المفسرين.

قال الفراء: قدروا الكأس على قدر ريِّ أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن ريه وهو ألذ الشراب.
وقال الزجاج: جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه.
وقال أبو عبيدة: يكون التقدير الذين يسقون يقدرونها ثم يسقون يعني أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الري فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فطلبت النفس الزيادة كما تقدم.

وقالت طائفة: الضمير يعود على الشاربين أي قدروا في أنهم شيئا فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه.
وقول الجمهور: أحسن وأبلغ وهو مستلزم لهذا القول والله أعلم.

وأما الكأس فقال أبو عبيدة: هو الإناء بما فيه.
وقال أبو إسحاق: الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه.

والمفسرون فسروا الكأس بالخمر وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل حتى قال الضحاك: كل كأس في القرآن فإنما عني به الخمر وهذا نظر منهم إلى المعنى والمقصود فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء نفسه، وأيضاً فإن من الأسماء ما يكون اسماً للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس فإن النهر اسم للماء ولمحلة معاً، ولكل منهما على انفراده وكذلك الكأس والقرية ولهذا يجيء لفظ القرية مراداً به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معاً.

وقد ورد في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"جنَّتان من فضَّةٍ آنيتُهما وما فيهما من فضَّةٍ ، وجنَّتان من ذهبٍ آنيتُهما وما فيهما من ذهبٍ ، وما بين القومِ بين أن ينظُروا إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ إلَّا رداءُ الكبرياءِ على وجهِه في جنَّةِ عدنٍ"([205]).**

وفي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ علَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ علَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إضَاءَةً، لا يَبُولونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتْفُلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، أَخْلَاقُهُمْ علَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ علَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا في السَّمَاءِ"([206]).**

---

[203] _[الرحمن: 58].
[204] _[الانسان: 16].
[205] _[حديث صحيح أخرجه البخاري مطولاً ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي وأبو نعيم].
[206] _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان وابن ماجه].

وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تَشْرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ والدِّيبَاجَ، فإنَّهَا لهمْ في الدُّنْيَا ولَكُمْ في الآخِرَةِ"**([207]).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم تُعْجِبُه الرؤيا، فربما رأى الرجلُ الرؤيا فسأل عنهُ إذا لم يكن يعرفُه، فإذا أثنى عليه معروفاً كان أعجبَ لرؤياه إليهِ، فأتتْهُ امرأةٌ فقالت: يا رسولَ اللهِ! رأيتُ كأني أتيتُ فأُخرجتُ من المدينةِ وأُدخلتُ الجنةَ، فسمعتُ وجبةً ارتجَّتْ لها الجنةُ، فنظرتُ فإذا فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ -فسمَّت اثنيْ عشرَ رجلاً، كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بعث سريةً قبل ذلكَ-، فجيءَ بهم عليهم ثيابُ طلسٍ تشخُبُ أوداجُهم، فقيل اذهبوا بهم إلى نهرٍ (البيدخِ) قال: فغُمِسُوا فيه، قال: فخرجُوا ووجوهُهم كالقمرِ ليلةَ البدرِ، فأُتُوا بصحفةٍ من ذهبٍ فيها بُسْرَةٌ، فأكلوا من بُسْرِه ما شاؤوا، ما يقلبُونها من وجهٍ إلا أكلوا من الفاكهةِ ما أرادوا، وأكلتُ معهم.
فجاء البشيرُ من تلك السريةِ فقال: كان من أمْرِنَا كذا وكذا، فأُصيبَ فلانٌ وفلانٌ، حتى عدَّ اثنيْ عشرَ رجلاً، فدعا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بالمرأةِ فقال: **"قُصِّي رؤياكِ"** ؛ فقصَّتْها وجعلت تقولُ: جيءَ بفلانٍ وفلانٍ كما قال الرجلُ"([208]).

---

207 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن حبان].
208 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى].

اللباس

قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ * أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ}([209]).

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ}([210]).

قال جماعة من المفسرين: السندس مارق من الديباج والإستبرق ما غلظ منه.

وقالت طائفة: ليس المراد به الغليظ ولكن المراد بن الصفيق.

وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير وأحسن الألوان الأخضر والين لباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به.

وقال تعالى: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ}([211]) .

وهاهنا مسألة وهذا موضع ذكرها، وهي أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ"([212]).**

وقد اختلف في المراد بهذا الحديث فقالت طائفة من السلف والخلف: أنه لا يلبس الحرير في الجنة ويلبس غيره من الملابس.

قالوا: وأما قوله تعالى: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ}.

فمن العام المخصوص.

وقال الجمهور: وهذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التي تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم وقد يتخلف عنه لمانع.

وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضاً الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين، وشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة فيه وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه فهذا الحديث نظير الحديث الآخر: **"مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ"([213]).**

قال الله تعالى: {وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا}([214]).

وقال: {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ}([215]).

تأمّلات:

وتأمل ما دلت عليه لفظة: "عاليهم" من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجمّل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن، بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال.

---

209 _[الدخان: 51-53].
210 _[الكهف: 30-31].
211 _[الحج: 23].
212 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه].
213 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي ومالك].
214 _[الانسان: 12].
215 _[الإنسان: 21].

وقد اختلف القراء السبعة في نصب عاليهم ورفعه على قراءتين.
واختلف النحاة في وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال على قولين.
واختلف المفسرون هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون وعليهم ثياب السندس والإستبرق أو للسادات الذين يطوفون عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم وعلى السادات هذه الثياب، وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع؛ فالصواب أنه منصوب على الظرف فإن عالياً لما كان بمعنى فوق أجرى مجراه.

قال أبو علي: وهذا الوجه أبين وهو أن عالياً صفة فجُعِل ظرفاً كما كان قوله الركب أسفل منكم كذلك.

وكما قالوا: هو ناحية من الدار وأما من رفع عاليهم فعلى الابتداء وثياب سندس خبره ولا يمنع من هذا إفراد عال وجمع الثياب لأن فاعلاً قد يراد به لكثرة كما قال:

ألا إن جيراني العشية رائح　　　دعتهم دواع من هوى ومناوح

وقال تعالى: **{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ}**([216]).
ومن رفع خضراً أجراه صفة للثياب وهو الأقيس من وجوه:
أحدها: المطابقة بينهما في الجمع.

الثاني: موافقته لقوله تعالى: **{وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً}**.

الثالث: تخلّصه من وصف المفرد بالجمع ومن جر أجراه صفة للسندس على إرادة الجنس كما يقال: أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض، وتترجح القراءة الأولى **بوجه رابع أيضا:**
وهو أن العرب تجيء بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى: **{الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارا}**([217]).
وكقوله: **{كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}**([218]).
فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فإفراد صفة الواحد وإن كان في معنى الجمع أولى.

بقي معنا من الشعر أبيات:

ولباسهم من سندس خضر ومن　　　استبرق نوعان معروفان
ما ذلك من دود بنى من فوقه　　　تلك البيوت وعاد ذا الطيران
كلا ولا نسجت على المنوال　　　نسـج ثيابنا بالقطن والكتان
لكنها حلل تشق ثمارها　　　عنها رأيت شقائق النعمان
بيض وخضر ثم صفر ثم　　　حمـر كالرباط بأحسن الألوان

[216] _[المؤمنون: 67].
[217] _[يس: 80].
[218] _[القمر: 20].

لا تقرب الدنس المقرب للبلى ما للبلى فيهن من سلطان
ونصيف إحداهن وهو خمارها ليست له الدنيا من الأثمان
سبعون من حلل عليها لا تعوق الطرق عن مخ ورا الساقان
لكن يراه من ورا ذا كله مثل الشراب لذي زجاج أوان

الحليّ والأساور

وفي إستبرق قراءتان الرفع عطفاً على ثياب والجر عطفاً على سندس.

جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريباً، فحمل البواطن بالشراب الطهور والسواعد بالأساور والأبدان بثياب الحرير.
قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهار يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ}**([219]).

واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه فمن نصبه ففيه وجهان:
أحدهما: أنه عطف على موضع قوله: **{مِنْ أَسَاوِرَ}**.

والثاني: أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول.
أي: ويحلون لؤلؤا ومن جره فهو عطف على الذهب، ثم يحتمل أمرين:
أحدهما: أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ.

الثاني: يحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معا الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم بما أراد.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن رزق حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني عتبة بن سعد قاضي الري عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال: "إن لله عز وجل ملكا منذ يوم خلق يصوغ حلي أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة لو أن قلبا من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعد هذا عن حلي أهل الجنة".

روى الحسن بن يحيى بن كثير العنبري حدثنا أبي عن أشعث عن الحسن قال: "الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء".

وقال الحسن بن يحيى بن كثير العنبري: حدثنا أبي، عن أشعث عن الحسن قال: "الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء".
وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ خَوَافِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَتْ أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ"**([220]).

وعن أبي حازم قال: كُنْتُ خَلْفَ أبِي هُرَيْرَةَ وهو يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاةِ، فَكانَ يَمُدُّ يَدَهُ حتَّى تَبْلُغَ إبْطَهُ فَقُلتُ له: يا أبا هُرَيْرَةَ ما هذا الوُضُوءُ؟ فقالَ: يا بَنِي فَرُّوخَ أنتُمْ هاهُنا؟ لو عَلِمْتُ أنَّكُمْ هاهُنا ما تَوَضَّأْتُ هذا الوُضُوءَ، سَمِعْتُ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: **"تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الوَضُوءُ"**([221]).

---

219 _[الحج: 23].
220 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي والمنذري].
221 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي].

وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته.
والصحيح أنه لا يستحب وهو قول أهل المدينة، وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على الإطالة فإن الحلية إنما تكون في زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف، وأما قوله فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليقل فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة، لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بين ذلك غير واحد من الحفاظ؛ وفي مسند الإمام أحمد في هذا الحديث قال نعيم: فلا أدري قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو شيء قاله أبو هريرة من عنده.
و هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله فإن الغرة لا تكون في اليد لا تكون إلا في الوجه وإطالته غير ممكنة إذ تدخل في الرأس فلا تسمى ذلك غرة.
وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثِيابُهُ ولا يَفْنَى شَبابُهُ".([222])**.

وقوله: لا تبلى ثيابه الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى ويحتمل أن يراد به الجنس بل لا يزال عليه الثياب الجدد، كما أنها لا ينقطع أكلها في جنسه بل كل مأكول يخلفه أخر والله أعلم.

عن عبد الله بن عمرو قال: "جَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَوِيٌّ جَرِيءٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَخْبِرْنَا عَنْ الْهِجْرَةِ إِلَيْكَ أَيْنَمَا كُنْتَ أَوْ لِقَوْمٍ خَاصَّةً أَمْ إِلَى أَرْضٍ مَعْلُومَةٍ أَمْ إِذَا مُتَّ انْقَطَعَتْ قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ يَسِيراً ثُمَّ قَالَ: **"أَيْنَ السَّائِلُ"** قَالَ: هَا هُوَ ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: **"الْهِجْرَةُ أَنْ تَهْجُرَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ثُمَّ أَنْتَ مُهَاجِرٌ وَإِنْ مُتَّ بِالْحَضَرِ"**.
ثم قال عبدُ اللهِ بن عمرو ابتداءً من نفسهِ: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال: يا رسولَ اللهِ أخبرْنا عن ثيابِ أهلِ الجنةِ خَلْقاً تُخلقُ أم نَسجاً تُنسجُ فضحِك بعضُ القومِ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: **"ممَّ تضحكون من جاهلٍ يسألُ عالماً"** ثم أَكَبَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثم قال: **"أين السائلُ"** قال: هو ذا أنا يا رسولَ اللهِ قال: **"لا بلْ تَشَقَّقُ عنها ثمرُ الجنةِ ثلاثَ مراتٍ"([223])**.

و روى الطبراني في معجمه عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"أَوَّلُ زُمرةٍ يدخلون الجنَّةَ كأنَّ وجوهَهم ضوءُ القمرِ ليلةَ البدرِ، والزُّمرةِ الثَّانيةِ على لونِ أحسنِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السَّماءِ، لكلِّ واحدٍ منهم زوجتان من الحورِ العينِ، على كلِّ زوجةٍ سبعون حُلَّةً، يُرَى مخُّ سوقِهما من وراءِ لحومِهما وحُلَلِهما كما يُرَى الشَّرابُ الأحمرُ في الزُّجاجةِ البيضاءِ"([224])**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"لَقَيْدُ سَوطِ أَحدِكم مِن الجَنَّةِ؛ خَيرٌ مِمَّا بيْنَ السَّماءِ والأَرضِ"([225])**.

و روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"قَيدُ سَوطِ أحدِكم مِن الجنَّةِ؛ خَيرٌ مِنَ الدُّنيا ومِثلِها معها، ولَقابُ قَوسِ أحدِكم مِنَ الجنَّةِ؛ خَيرٌ مِنَ الدُّنيا ومِثلِها معها، ولَنَصيفُ امرأةٍ مِنَ الجنَّةِ؛ خَيرٌ مِنَ الدُّنيا ومِثلِها معها"**. قال: قُلتُ: يا أبا هُرَيرةَ: ما النَّصيفُ؟ قال: الخِمارُ"([226]).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إنَّ الرَّجُلَ في الجنَّةِ لَيتَّكئُ سَبعينَ سَنةً قبْلَ أنْ يتحوَّلَ ثمَّ تأتيه المرأةُ فتقرُبُ منه فينظُرُ في خَدِّها أصفى مِن المِرآةِ فتُسلِّمُ عليه فيرُدُّ السَّلامَ ويسألُها مَن**

---

[222] _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد والترمذي والمنذري والدارمي وابن أبي الدنيا والهيثمي].
[223] _[حديث صحيح أخرجه أحمد والهيثمي والبوصيري].
[224] _[حديث صحيح أخرجه المنذري وابن القيم والطبراني والهيثمي].
[225] _[حديث صحيح أخرجه الترمذي والنسائي بنحوه مطولاً وأحمد باختلاف يسير وابن حبان والسيوطي والأرناؤوط].
[226] _[حديث صحيح لغيره، أخرجه البخاري بعضه بنحوه في أثناء حديث، والترمذي بعضه في أثناء حديث، وأحمد واللفظ له].

أنتِ؟ فتقولُ: أنا مِن المَزيدِ وإنَّه يكونُ عليها سبعونَ ثوباً فينفُذُها بصَرُه حتَّى يرى مُخَّ ساقِها مِن وراءِ ذلكَ وإنَّ عليهنَّ التِّيجانَ وإنَّ أدنى لؤلؤةٍ عليها لَتُضيءُ ما بَيْنَ المَشرِقِ والمَغرِبِ"([227]).

عن هُدْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ عَنْ ثَابِتٍ قَالَ: "بَلَغَنَا أَنَّ الرَّجُلَ يَتَّكِئُ فِي الْجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً، عِنْدَهُ مِنْ أَزْوَاجِهِ وَخَدَمِهِ، وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ، فَإِذَا حَانَتْ مِنْهُ نَظْرَةٌ إِذَا أَزْوَاجٌ لَهُ لَمْ يَكُنْ رَآهُنَّ قَبْلَ ذَلِكَ يَقُلْنَ: قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ نَصِيباً"([228]).

و روى ابن أبي الدنيا عن أبا أمامة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ما مِنكُم من أحدٍ يدخلُ الجنَّةَ إلَّا انطُلِقَ به إلى طوبى، فتُفتَّحُ لَه أَكمامُها يأخُذُ من أيِّ ذلِك، إن شاءَ أبيضَ، وإن شاءَ أخضَرَ، وإن شاءَ أصفَرَ، وأن شاءَ أسوَدَ، مِثلَ شَقائقِ النُّعمانِ، وأرقُّ وأحسنُ"**([229]).

وروى أيضاً ابن أبي الدنيا عن خالد الزميل أنه سمع أباه قال: قلت لابن عباس: ما حلل الجنة قال: "فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان ثم تنطبق ترجع كما كانت".

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِمَنْ رَآكَ وَآمَنَ بِكَ قَالَ: **"طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي"** قَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَمَا طُوبَى قَالَ: **"شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا"**([230]).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بإصبعيه وأشار بالسبابة والإبهام سبعين حلة منطقة باللؤلؤ والمرجان".

عن شريح بن عبيد قال: قال كعب: "لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم".

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر بن كعب أو غيره قال: "ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من شقيقكم هذا، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم".

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُهديَ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ثَوبُ حَريرٍ، فجَعَلْنا نَلمَسُه ونَعجَبُ منه، ونقولُ: ما رَأَيْنا ثَوباً خيراً منه وألْيَنَ، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: **"أيُعجِبُكم هذا؟"** ، قُلْنا: نعمْ، قال: **"لَمَناديلُ سعدِ بنِ مُعاذٍ في الجنَّةِ أحسنُ مِن هذا وألْيَنُ!"**([231]).

فلا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه هاهنا، فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين واهتز لموته العرش وكان لا يأخذه في الله لومة لائم وختم الله له بالشهادة، وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وخلفائه ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سماوات، ونعاه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم موته فحق له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك.

---

227 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان والهيثمي].

228 _[حديث ضعيف مقطوع، أخرجه أبي حاتم الرازي وابن كثير والسيوطي].

229 _[حديث حسن غريب كما قال ابن كثير، وأخرجه في البداية والنهاية، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة].

230 _[حديث حسن أخرجه أحمد وابن حبان وأبو يعلى وابن حجر].

231 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي وأحمد واللفظ له].

بقي معنا من الشعر أبيات:

والحلى أصفى لؤلؤ وزبرجد ... وكذاك أسورة من العقيان
ما ذاك يختص الإناث وإنما ... هو للإناث كذاك للذكران
التاركين لباسه في هذه ... الدنيا لأجل لباسه بجنان
أو ما سمعت بأن حليتهم إلى ... حيث انتهاء وضوئهم بوزان
وكذا وضوء أبي هريرة كان قد ... فازت به العضدان والساقان
وسواه أنكر ذا عليه قائلا ... ما الساق موضع حلية الإنسان
ما ذاك إلا موضع الكعبين ... والزندين لا الساقان والعضدان
وكذاك أهل الفقه مختلفون في ... هذا وفيه عندكم قولان
والراجح الأقوى انتهاء وضوئنا ... للمرفقين كذلك الكعبان
هذا الذي قد حده الرحمن في ... القرآن لا تعدل عن القرآن

الفرش والوسائد

وأما الفرش فقد قال تعالى: **{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}**([232]).

وقال تعالى: **{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}**([233]).

فوصف الفرش بكونها مبطّنة بالإستبرق وهذا يدل على أمرين:
أحدهما: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة.
روى سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي هبيرة ابن مريم عن عبد الله في قوله: "**{بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}** قال: هذه البطائن قد خبرتم بها فكيف بالظهائر".

الثاني: يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة.

وقد روى في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة فالمراد ارتفاع محلها كما رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "**{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}** ، قال: **ارتفاعُها كما بين السَّماءِ والأرضِ، ومسيرةُ ما بينهما خمسُمائةِ عامٍ"**([234]).

قيل: ومعناه إن ارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها.
وقد قال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "**{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}** قال: "مَا بَيْنَ الفَرَّاشِينَ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ"(**[235]**).

و روى الطبراني عن كعب في قوله عز وجل: "**{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}** قال: مسيرة أربعين سنة".

و روى الطبراني عن أبي أمامة قال: "سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الفَرْشِ المَرْفُوعَةِ قَالَ: **"لَوْ طَرَحَ فِرَاشٌ مِنْ أَعْلَاهَا لِهُوَى إِلَى قَرَارِهَا مِائَةَ خَرِيفٍ"**([236]).

وأما البسط والزرابي فقد قال تعالى: **{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}**([237]).

وقال تعالى: **{فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِي مَبْثُوثَةٌ}**(**[238]**).

وذكر هشام عن أبي بشر عن سعد بن جبير قال: "الرفرف رياض الجنة والعبقري عتاق الزرابي".

---

[232] _[الرحمن: 54].
[233] _[الواقعة: 34].
[234] _[حديث ضعيف أخرجه أحمد والترمذي والمنذري والشوكاني].
[235] _[حديث ضعيف، أخرجه ابن القيم وقال فيه: أشبه أن يكون هو المحفوظ فالله أعلم].
[236] _[حديث ضعيف، رواه الطبراني وابن أبي الدنيا والمنذري والهيثمي، وفي رفع هذا الحديث نظر فقد قال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا معاذ ابن هشام قال: وجدت في كتاب أبي القاسم عن أبي أمامة في قوله عز وجل: {وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ} قال: لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفا"].
[237] _[الرحمن: 76].
[238] _[الغاشية: 13-16].

وذكر إسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تعالى: "**{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}** قال: هي البسط قال وأهل المدينة يقولون هي البسط".

وأما النمارق فقال الواحدي: "هي الوسائد في قول الجميع وأحدها بضم النون".
وحكى الفراء: "نمرقة بكسرها".
وأنشد أبو عبيدة:

إذا ما بساط الله ومد وقربت   للذاته أنماطه ونمارقه

قال الكلبي: وسائد مصفوفة بعضها إلي بعض.
وقال مقاتل: هي الوسائد مصفوفة على الطنافس، وزرابي بمعنى البسط والطنافس وأحدها زريبة في قول جميع أهل اللغة والتعبير ومبثوثة مبسوطة منشورة.

وأما الرفرف فقال الليث: ضرب من الثياب خضر تبسط الواحد رفرفة.
وقال أبو عبيدة: الرفارف البسط وأنشد لابن مقبل:

وأنا لنازلون تغشى نعالنا   سواقط من أصناف ريط ورفرف

وقال أبو إسحاق: قالوا الرفرف ههنا رياض الجنة.
وقالوا الرفرف الوسائد.
وقالوا: الرفرف المحابس.
وقالوا: فضول المحابس للفرش.
وقال المبرد: هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره.
وقال الواحدي: وكأن الأقرب هذا، لأن الغرب تسمى كسر الخباء والخرقة التي تخاط في أسفل الخباء رفرفاً.

قال ابن الأعرابي: الرفرف هاهنا طرف البساط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمى رفرفاً.

وأصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب فمنه الرفرف في الحائط ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطير إذا حرّك جناحه حول الشيء يريد أن يقع عليه، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة وكل ما فضل من شيء فثنى وعطف فهو رفرف.
وفي حديث ابن مسعود في قوله عز وجل: "**{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}** ، قال: رأى رفرفا أخضر سد الأفق".

وأما العبقري فقال أبو عبيدة: كل شيء من البسط عبقري؛ قال: ويرون أنها أرض توشى فيها.
وقال الليث: عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال كأنهم جن عبقر.
قال أبو عبيدة: في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عمر **"فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يُفَرِّي فَرِيَّهُ"**([239]) .

وإنما أصل هذا فيما يقال: إنه نسب إلى عبقر وهي أرض يسكنها الجن، فصار مثلاً منسوباً إلى شيء رفيع وأنشد لزهير:

---

[239] _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].

نخال عليها جبة عبقرية　　　جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

وقال أبو الحسن الواحدي: وهذا القول هو الصحيح في العبقري، وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم، ومنه قول لبيد:
جن البدي رواسيا أقدامها.

وقال آخر يصف امرأة:

جنية ولها جن يعلمها　　　رمي القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب، ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم هذا هو الأصل ثم صار العبقري اسماً ونعتاً لكل ما بولغ في صفته، ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله في صفة عمر: عبقرياً.
وروى سلمة عن الفراء قال: "العبقري السيد من الرجال وهو الفاخر من الحيوان والجوهر" فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى لما نسب إليها غير الموشى، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفة.
قال ابن عباس: "وعبقري يريد البسط الطنافس".
وقال الكلبي: هي الطنافس المجملة.
وقال قتادة: هي عتاق الزرابي.
وقال مجاهد: الديباج الغليظ وعبقري جمع واحدة عبقرية ولهذا وصف بالجمع.

تأمّلات:
وتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة والزرابي بأنها مبثوثة والنمارق بأنها مصفوفة، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها وبث الزرابي دال على كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره، وجوانبه وصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت والله أعلم.

بقي معنا من الشعر أبيات:

والفرش من استبرق قد بطنت　　　ما ظنكم بظهارة لبطان
مرفوعة فوق الأسرّة يتكئ　　　هو والحبيب بخلوة وأمان
يتحدثان عن الأرائك ما ترى　　　حبين في الخلوات ينتجيان
هذا وكم زريبة ونمارق　　　ووسائد صفت بلا حسبان

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يَقُومُ بِهِ آناء اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَحُلُّ حَلَالَهُ وَيَحْرُمُ حَرَامَهُ حَرَمُ اللهِ لِحَمِّهِ وَدَمُهِ عَلَى النَّارِ وَجَعْلُهِ رَفِيقِ السُّفْرَةِ الكِرَامُ البَرَرَةُ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَانَ القُرْآنُ حُجَّةً لَهُ"([240]).**

وعن بريدة بن الحصيب الأسلمي قال: كنتُ جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فسمعتُهُ يقول: **"تعلّموا سورةَ البقرةِ، فإنّ أخذها بركةٌ، وتركُها حسرةٌ، ولا يستطيعُها البطلةُ"** ثم سكتَ ساعةً، ثم قال: **"تعلّموا سورةَ البقرةِ وآل عمرانِ، فإنّهما الزهراوانِ، وإنهما تُظلّانِ صاحبهما يومَ القيامةِ، كأنهما غمامتانِ، أو غيايتانِ، أو فرقانِ من طيرٍ صوافٍّ، وإن القرآنَ يأتي صاحبهُ يومَ القيامةِ حين ينشقّ عنهُ قبرهُ كالرجلِ الشاحبِ، فيقولُ له: هل تعرفني؟ فيقولُ: ما أعرفكَ، فيقول: أنا صاحبكَ القرآنُ الذي أظمأتُكَ بالهواجرِ، وأسهرتُ ليلكَ، وإن كل تاجرٍ من وراءِ تجارتهِ، وإنكَ اليومَ من وراءِ كلِّ تجارةٍ، فيُعْطَى الملكَ بيمينهِ، والخلدَ بشمالهِ، ويوضعُ على رأسهِ تاجُ الوقارِ، ويُكسَى والداهُ حلتينِ لا يقومُ لهما أهلُ الدنيا، فيقولانِ: بم كسينا هذا؟ فيقالُ لهما: بأَخذِ ولدكُما القرآنَ، ثم يقالُ: اقرأ واصعِدْ في درجِ الجنةِ وغرفِها، فهو في صُعُودٍ ما دامَ يقرأ هذا كانَ أو ترتيلاً"([241]).**

و عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قوله عز وجل: **"{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ}** فقال: **"إنَّ عليهمُ التِّيجانَ أدنى لُؤلؤةٍ منها لَتضيءُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ"([242]).**

240 _[حديث ضعيف أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد].
241 _[حديث حسن أخرجه البغوي وأحمد والدارمي والمنذري والبزار مختصراً].
242 _[حديث حسن أخرجه ابن حجر والترمذي وأحمد].

الخيام والأرائك في الجنة

قال تعالى: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}([243]).

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إنَّ لِلْمُؤْمِنِ في الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِن لُؤْلُؤَةٍ واحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُها سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فيها أهْلُونَ، يَطُوفُ عليهمِ المُؤْمِنُ فلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً"([244]).**

وفي لفظ لهما: "فِي الجَنَّةِ خَيْمَةٌ مِن لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُها سِتُّونَ مِيلًا، في كُلِّ زاوِيَةٍ مِنْها أهْلٌ، ما يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عليهمِ المُؤْمِنُ"**([245]).**

وفي لفظ آخر لهما أيضاً: "الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ، طُولُها في السَّماءِ سِتُّونَ مِيلًا، في كُلِّ زاوِيَةٍ مِنْها أهْلٌ لِلْمُؤْمِنِ، لا يَراهُمُ الآخَرُونَ"**([246]).**

وللبخاري وحده في لفظ: **"طُولُهَا في السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ مِيلًا"([247]).**

وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل هي خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبي الحوري قال: سمعت أبا سليمان قال: "ينشأ خلق الحور العين إنشاءاً فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام".

وقال بعضهم: "لمّا كن أبكاراً وعادة البكر أن تكون مقصورة في خدرها حتى يأخذها بعلها أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن في خدور الخيام حتى يجمع بينهن وبين أوليائه في الجنة".

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: "لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لا مزجات ولا زفرات ولا بخرات ولا طماحات حور عين كأنهن بيض مكنون".

قال علي بن الجعد: حدثنا شعبة عن عبد الله بن ميسرة قال: سمعت أبا الأحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: "{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} قال: در مجوف".

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا سليمان التيمي عن قتادة عن خليد القصري عن أبي الدرداء قال: "الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها من درة".

قال ابن المبارك: وأخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة الآف مصراع من ذهب".

---

[243] _[الرحمن: 72].
[244] _[حديث صحيح أخرجه مسلم والبخاري وابن حبان والبوصيري والترمذي].
[245] _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].
[246] _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والأرناؤوط].
[247] _[حديث صحيح أخرجه البخاري].

و عن مجاهد: "{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} قال: في خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة".

وقال محمد بن جعفر: حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله: "{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} قال: الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخاً يدخل عليه من كل باب منها ملك بهديه من عند الله عز وجل وذلك قوله: {وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ}".

وأما السرر فقال تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}([248]).

وقال تعالى: {ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ}([249]).

وقال تعالى: {فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ}([250]).

فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض.

وأخبر أنها موضونة والوضن في اللغة النضيد والنسج المضاعف يقال وضمن فلان الحجر أو الآجر بعضه فوق بعض فهو موضون.

وقال الليث: الوضن نسج السرير وأشباهه ويقال درع موضونة مقاربة النسج.

وقال رجل من العرب لامرأته: ضني متاع البيت؛ أي: قاربي بعضه من بعض.

قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة: موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها فوق بعض على بعض كما توضن حلق الدرع ومنه سمي الوضين، وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها في بعض وأنشدوا للأعمش:

ومن نسج داود موضونة   تساق مع الحي عيرا فغيرا

قالوا موضونة: منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد.

قال هشيم: أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال: مرمولة بالذهب.

وقال مجاهد: موصولة بالذهب.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: "موضونة مصفوفة فأخبر سبحانه أنها مرفوعة".

قال عطاء عن ابن عباس قال: "سرر من ذهب مكلّلة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين مكة وأيلة".

وقال الكلبي: طول السرير في السماء مائة ذراع فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه، تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه.

توضيح:

وأما الأرائك فهي جمع أريكة.

قال مجاهد عن ابن عباس: "{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ} قال: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة فإذا كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة فإذا اجتمعا كانت أريكة".

---

248 _[الطور: 20].
249 _[الواقعة: 13-16].
250 _[الغاشية: 13].

وقال أيضاً: هي الأسرة في الحجال.
قال الليث: الأريكة سرير حجلة فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك.
وقال أبو إسحاق: الأرائك الفرش في الحجال.
و ها هنا ثلاثة أشياء:
أحدها: السرير.

والثانية: الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه.

والثالثة: الفراش الذي على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله.

وفي الحديث: **"الأريكةَ فإذا عليها سريرٌ، على السَّريرِ سبعون فراشاً"([251]).**

فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع الأرائك.
وفي الحديث أن خاتم النبي صلى الله عليه وسلم بين كتفيه كان: **"مِثْلَ زِرِّ الحَجَلَةِ"([252]).**

وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها والله أعلم.

بقي معنا من الشعر أبيات:

للعبد فيها خيمة من لؤلؤ ... قد جُوّفت هي صنعة الرحمن
ستون ميلا طولها في الجو في ... كل الزوايا أجمل النسوان
يغشى الجميع فلا يشاهد بعضهم ... بعضا وهذا لاتساع مكان
فيها مقاصير بها الأبواب من ... ذهب ودر زين بالمرجان
وخيامها منصوبة برياضها ... وشواطئ الأنهار ذي الجريان
ما في الخيام سوى التي لو ... قابلت للنيرين لقلت منكسفان
له هاتيك الخيام فكم بها ... للقلب من علق ومن أشجان
فيهن حور قاصرات الطرف ... خيرات حسان من خير حسان
خيرات أخلاق حسان أوجها ... فالحسن والإحسان متفقان
فيها الأرائك وهي من سرر ... عليهن الحجال كثيرة الألوان
لا تستحق اسم الأرائك دون ... هاتيك الحجال وذاك وضع لسان
بشخنانة يدعونها بلسان فارس ... وهو ظهر البيت ذي الأركان

251 _[حديث ضعيف أخرجه المنذري وابن القيم].
252 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].

الخدم والحشم

قال تعالى: **{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ}**([253]).

وقال تعالى: **{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً}**([254]).

قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط أنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد.

وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون أي في آذانهم القرطة وفي أيديهم الأساور، وهذا اختيار ابن الأعرابي قال: مخلدون مقرطون بالخلدة وجمعها خلد وهي القرطة.

وروى عمرو عن أبيه: خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهي القرطة وخلد إذا أسن ولم يشب.

وكذلك قال سعيد بن جبير: مقرطون واحتج هؤلاء بحجتين:

إحداهما: أن الخلود عام لكل من دخل الجنة فلا بد أن تكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة.

الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما   أعجازهن رواكد الكثبان

وقال الأولون: الخلد هو البقاء.

قال ابن عباس: غلمان لا يموتون وقول ترجمان القرآن في هذا كاف، وهو قول مجاهد والكلبي ومقاتل قالوا: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيّرون.

وجمعت طائفة بين القولين وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفي آذانهم القراطة فمن قال: مقرطون أراد هذا المعنى أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة، وفي كونه منثوراً فائدتان:

إحداهما: الدلالة على أنهم غير معطّلين بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

والثانية: أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعاً في مكان واحد.

وقد اختلف في هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله في الجنة إنشاءً على قولين:

القول الأول: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري: هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم؛ يكونون خدم أهل الجنة وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها.

روى الحاكم عن الحسن في قوله: "**{وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ}** ، قال: لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع".

القول الثاني: ومن أصحاب القول من قال: هم أطفال المشركين فجعلهم الله خدماً لأهل الجنة، واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن الفاري عن أبي حازم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"سألتُ ربي اللاهينَ من ذُرِيَّةِ البَشَرِ أن لا يُعذِّبَهم، فأعطانيهم، فهم خَدَمُ أهلِ الجَنَّةِ"([255]).**

اللاهين: أي الأطفال.

---

[253] _[الواقعة: 17-18].

[254] _[الإنسان: 19].

[255] _[حديث حسن بطرقه، أخرجه أبو يعلى والطبراني وابن عدي].

قال ابن قتيبة: واللاهون من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت.

وأصحاب القول الأول: لا يقولون أن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها وإنما يقولون: هم غلمان أنشأهم الله في الجنة كما أنشأ الحور العين.

قالوا: وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين، لما رواه أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من ماتَ من أَهلِ الجنَّةِ من صغيرٍ أو كبيرٍ يُرَدُّونَ بني ثلاثينَ في الجنَّةِ لا يزيدونَ عنها أبداً وَكذلِك أَهلُ النَّارِ"**([256]).

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدما لهم وغلماناً كما قال تعالى: **{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}**([257]).

وهؤلاء غير أولادهم فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلماناً لهم.

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"أنا أَوَّلُ النَّاسِ خروجًا إذا بُعِثوا وأنا قائدُهم إذا وفدوا وأنا خطيبُهم إذا أنصتوا وأنا مستشفِعُهم إذا حُبِسوا وأنا مبشِّرُهم إذا أيِسوا الكرامةُ والمفاتيحُ يومئذٍ بيدي ولواءُ الحمدِ يومئذٍ بيدي وأنا أَكرمُ ولدِ آدمَ على ربِّي يطوفُ عليَّ ألفُ خادمٍ كأنَّهنَّ بيضٌ مُكنونٌ أو لؤلؤٌ منثورٌ"**([258]).

والمكنون المستور المصون الذي لم تبتذله الأيادي، وإذا تأملت لفظة الولدان ولفظة ويطوف عليهم واعتبرتها بقوله: **{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ}**.

وضممت ذلك إلى حديث أبي سعيد المذكور آنفا علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى في الجنة خدماً لأهلها والله أعلم.

256 _[حديث حسن أخرجه ابن حجر والبغوي والترمذي].
257 _[الطور: 24].
258 _[حديث حسن أخرجه ابن حجر والبزار والبيهقي].

زيارة أهل الجنة بعضهم وتذاكر ما كان بينهم في الدنيا

قال الله تعالى: **{فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ}**.

وقال تعالى: **{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}**([259]).

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أنس يرفعه: **"إذا دخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ اشتاقوا إلى الإخوانِ، فيَسيرُ سريرُ هذا إلى سريرِ هذا، وسريرُ هذا إلى سريرِ هذا، حتَّى يَلتَقِيا، فيتَّكِئُ هذا ويتَّكِئُ هذا، فيُحَدِّثانِ بما كان في الدُّنيا، حتَّى يقولَ أحدُهما لصاحبِه: تَدري يومَ غفَرَ اللهُ لنا يومَ كنَّا في موضعِ كذا وكذا فدَعَوْنا اللهَ فغفَرَ لنا؟"([260]).**

وإذا تذاكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الأحاديث أولى وأحرى، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع، فتذاكر في الجنة أعظم لذة وهذه لذة يختص بها أهل العلم ويتميّزون بها على من عداهم.

وقال تعالى: **{فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَدِينُون * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ}**([261]).

فأخبر الله سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوال كانت في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول ما حكاه الله عنه يقول: أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى وكنا تراباً وعظاماً ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه.

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران:
أحدهما: إن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضاً: هل أنتم مطلعون رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: أنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم: هل أنتم مطلعون والصحيح القول الأول وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه والسياق كله والأخبار عنه وعن حال قرينه قال كعب: "بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى".
وقوله: فاطلع أي أشرف.

---

259 _[الطور: 25-27].
260 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا والبزار والعقيلي باختلاف يسير].
261 _[الصافات: 50-57].

قال مقاتل: لمّا قال لأهل الجنة: هل أنتم مطلعون قالوا له: أنت أعرف به منا فاطلع أنت، فأشرف فرأى قرينه في سواء الجحيم ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيّره العذاب أشد تغيير فعندها قال الله تعالى: **{إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ}**.

أي: إن كدت لتهلكني ولولا أن أنعم الله علي بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب.

وقال تعالى: **{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ}**([262]).

روى الطبراني عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله أيتزاور أهل الجنة قال: **"يَتَزَاوَرُ أَهْلُ الجَنَّةِ عَلَى نُوقٍ عَلَيْهَا خشايا يَزُورُ أَهْلُ عَلَيِّيِّنَ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، وَلَا يُزورُ الأَسْفَلُ الأَعْلَى إِلَّا المُتَحَابِّينَ فِي اللهِ، فَإِنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ حَيْثُ شَاءوا"([263]).**

وقال الدورقي: حدثنا أبو سلمة التبوذكي حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: "بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى".

و روى الطبراني عن أبي أيوب يرفعه: **"إِنَّ أهلَ الْجنَّةِ يتَزَاورُونَ علَى النَجائِبِ"([264]).**

النجائب: جمع نجيبة وهى خيار الإبل.
كأنهن الياقوت: أي الأبيض.

فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضاً وبذلك تتم لذتهم وسرورهم، ولهذا قال حارثةُ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أنا مؤمنٌ حقًّا ؟ قال: **"وما حقيقةُ إيمانِك؟"** قال: عزفتُ نفسي عن الدُّنيا، فاستوَى عندي حَجَرُها وذهبُها، وكأنِّي بالجنَّةِ والنَّارِ، وكأنِّي بعرشِ ربِّي بارزًا فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **"عرفتَ فالزَمْ، عبدٌ نوَّر اللهُ قلبَه بالإيمانِ"([265]).**

و روى أيضاً عن شفي بن ماتع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إنَّ مِنْ نعيمِ أهْلِ الجنَّةِ؛ أنَّهم يتَزَاورُونَ على المطايا والنُّجُبِ، وأنَّهم يُؤْتَونَ في الجنَّةِ بِخَيْلٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ، لا تَرُوثُ ولا تَبُولُ، فيركبُونَهَا، حتى يَنْتَهوا حيثُ شاءَ الله عزَّ وجلَّ، فَتَأْتيهِمْ مثلُ السحَابةِ؛ فيها ما لا عَيْنٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سمعَتْ، فيقولون: أَمْطِرِي عَلَيْنا، فما يزالُ المَطَرُ عليهم حتى يَنْتَهِيَ ذلك فَوْقَ أَمانِيهِمْ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله ريحاً غَيْرَ مُؤْذِيَةٍ، فتَنْسِفُ كُثْباناً مِنَ المِسْكِ عَنْ أيْمانِهِمْ وعَن شَمائِلِهِمْ، فيأْخُذُ ذلك المسْكُ في نَواصِي خُيولِهِمْ، وفي مَعارِفِها، وفي رؤوسِهِم، وَلِكُلِّ رجُلٍ منهم جُمَّةٌ على ما اشْتَهَتْ نَفْسُه، فيَتَعَلَّقُ ذلك المسْكُ في تلكَ الجمامِ، وفي الخَيْلِ، وفيما سِوى ذلك منَ الثياب، ثُمَّ يُقْبِلونَ؛ حتى يَنْتَهوا إلى ما شاءَ الله، فإذا المرْأَةُ تُنادي بعْضَ أولئك: يا عَبْدَ الله! أما لَكَ فينا حاجَةٌ؟ فيقول: ما أنْتِ، ومَنْ أنْتِ؟ فتقول: أنا زَوْجَتُك وحِبُّكَ، فيقول: ما كنتُ علِمْتُ بمَكانِك، فتقولُ المرْأَةُ: أوَ ما تَعْلَمُ أنَّ الله تعالى قال: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ**

---

[262] _[الطور: 25-28].
[263] _[حديث ضعيف أخرجه ابن كثير في جامع المسانيد والسنن والطبراني في المعجم الكبير].
[264] _[حديث ضعيف أخرجه ابن كثير والسيوطي والطبراني والألباني].
[265] _[حديث ضعيف أخرجه العراقي في الإحياء وابن تيمية في الاستقامة وقال: مرسل وروي مسنداً من وجه ضعيف لا يثبت].

أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فيقولُ: بلى وربِّي! فلَعلَّه يُشْغَلُ عنها بعدَ ذلك الموقِفِ أرْبعين خَريفاً؛ لا يَلْتَفِتُ ولا يعودُ، ما يُشْغِلُه عنها إلا ما هو فيه مِنَ النعيمِ والكَرامَةِ"([266]).

و روى أيضاً عن أبا هريرة رضي الله عنه قال: "إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون عليها رحال الميس تثير مناسمها غبار المسك خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها".

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: "سأل جبريل عن هذه الآية: **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ}** قال: هم الشُّهداءُ يبعثهم اللهُ متقلِّدِين أسيافَهم حولَ عرشِه، فأتاهم ملائكتُه من المحشرِ بنجائبَ من ياقوتٍ، أزِمَّتُها الدُّرُّ الأبيضُ، برحالِ الذهبِ، أَعِنَّتُها السندسُ والإستبرقُ، ونمارقُها ألينُ من الحريرِ، مَدُّ خُطاها مَدُّ أبصارِ الرجالِ، يسيرون في الجنَّةِ على خيولٍ، يقولون عند طولِ النُّزهةِ: انطلِقوا بنا إلى رَبِّنَا ننظر كيف يقضي بين خلقِه، يضحك اللهُ إليهم، وإذا ضحك اللهُ إلى عبدٍ في موطنٍ فلا حسابَ عليه"([267]).

أزمتها: جمع زمام ككتاب.
قال الجوهري: الزمام: الخيط الذي يشد في البُرة أو في الخشاش، ثم يشد في طرفه المقود، وقد يسمى المقود زماماً.
أعنّتها: جمع عنان، وزن كتاب أيضاً، فإنه سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

وروى ابن أبي الدنيا عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله يقول: **"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَخْرُجُ مِنْ أَعْلَاهَا حُلَلٌ، وَمِنْ أَسْفَلِهَا خَيْلٌ مِنْ ذَهَبٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ مِنْ يَاقُوتٍ وَدُرٍّ، لَا تَرُوثُ وَلَا تَبُولُ، لَهَا أَجْنِحَةٌ خَطْوُهَا مَدُّ بَصَرِهَا فَيَرْكَبُهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَتَطِيرُ بِهِمْ حَيْثُ شَاءُوا، فَيَقُولُ الَّذِي أَسْفَلُ مِنْهُمْ دَرَجَةً: يَا رَبِّ مَا بَلَّغَ عِبَادَكَ هَذِهِ الْكَرَامَةَ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ اللَّيْلَ وَأَنْتُمْ تَنَامُونَ، وَكَانُوا يَصُومُونَ وَكُنْتُمْ تَأْكُلُونَ، وَكَانُوا يُنْفِقُونَ وَكُنْتُمْ تَبْخَلُونَ، وَكَانُوا يُقَاتِلُونَ وَكُنْتُمْ تَجْبُنُونَ"([268]).**

توضيح:
ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجلّ، وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ويحل عليهم رضوانه وسيمرّ بك ذكر هذه الزيارة في ثنايا الكتاب إن شاء الله تعالى.

---

266 _[حديث ضعيف أخرجه المنذري وابن أبي الدنيا والألباني].
267 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا والمنذري وأبي يعلى والألباني].
268 _[حديث قال بعضهم فيه: ضعيف وبعضهم قال: حديث موضوع وأصل الحديث موجود أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة و المنذري في الترغيب والترهيب ونبيل جرار في الإيماء وابن القيم في الموضوعات وحادي الأرواح والدمياطي في المتجر والألباني في ضعيف الترغيب وقال: حديث موضوع، وأوردته هنا للاستئناس، ولأنه مختلف في حكمه بين الضعيف والموضوع، ولو كان حكمه ثابتاً متفقاً عليه بين العلماء بالوضع، لما أوردته في الكتاب والله أعلى وأعلم بالصواب].

فارس الأحلام من بني الإنسان

كم حلمتِ يا أختاه المسلمة بفارس وزوج بأوصاف خاصة.
وكم تمنيّتِ أيتها المتزوجة أن يبقى زوجك برشاقته وجماله.

في الجنة سيكون بصورة من الوسامة والجمال لم تريها ولم تتخيليها من قبل، وجه مضيء كأنه وجه القمر ليلة البدر على تقاسيم جمال صورة يوسف عليه السلام.
ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: **"إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ"**(269).

تعالِ معي أختي المسلمة لتعجبي من حسن يوسف عليه السلام.
نسوة من علية القوم لا يمنعهن حياء ولا حشمة من رؤية الرجال والخلطة بهم رأين الكثير فلما رأين يوسف عليه السلام وجماله: **{أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}**(270).
والله لم يقل قطعن إنما قال قطّعن، وأي جمال أشغلهن عن تلك الآلآم وتلك الأعصاب التي قُطّعت**!**
فعندما خلق الله الجمال شطره نصفين، نصف إلى جميع الناس من آدم إلى أن تقوم الساعة، ونصف ذهب إلى يوسف عليه السلام، فلك أن تتخيلي، ما تلك العيون، وكيف رجولته، وكيف هو جماله وجاذبيته، هكذا هو جمال زوجك في الجنة.

واعلمي أيتها المؤمنة أن رجال الجنة "جرد مرد" فهم جرد ليس في أجسادهم شعر، ومرد ليس في وجوههم شعر ولا لحى ولا ذقون، ومكحّلون.

ألوانهم بيض وليس لهم لحى	جعد الشعور مكحّلوا الأجفان
هذا كمال الحسن في أبشارهم	وشعورهم وكذلك العينان

وكلهم يدخل الجنة في عمر القوّة والفتوّة والشباب، أبناء ثلاث وثلاثين وعلى لسان محمد النبي العربي الفصيح عليه الصلاة والسلام.
أما طوله فهو التناسق، إنهم على طول آدم عليه السلام ستين ذراعاً.

وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا كعب الأحبار قال: **"إِنَّ الرَّجلَ من أَهْلِ علِّيِّينَ ليخرجُ فيسيرُ في ملكِهِ فلا تبقى خيمةٌ من خيامِ الجنَّةِ إلَّا دخلَها من ضوءِ وجهِهِ فيستبشِرونَ بريحِهِ فيقولونَ واهًا لِهَذا الرِّيحِ هذا رجلٌ من أَهْلِ علِّيِّينَ قد خرجَ يسيرُ في ملكِهِ"**(271).

فينتظر الفارس زوجته المشتاقة هناك على سرير من زبرجد أحمر عليه قبة من نور.
فلا مشاكل طبية وضعف جنسي عند الرجل فينغص حياة الزوجة؛ إذ يعطى فارس المشتاقة زوجها في الجنة قوة مائة رجل، قال النبي عليه الصلاة والسلام: **"يُعطَى المؤمنُ في الجنَّةِ قوَّةَ كذا وَكَذا منَ الجماعِ"** ، قيلَ: يا رسولَ اللَّهِ أوَ يطيقُ ذلِكَ ؟ قالَ: **"يعطى قوَّةَ مائةٍ"**(272).

---

269 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والمنذري وابن حجر].
270 _[يوسف: 31].
271 _[حديث حسن أخرجه ابن القيم والأرناؤوط والطبراني والحاكم وابن أبي الدنيا والمنذري].
272 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي والطيالسي والبيهقي والألباني].

بقي معنا من الشعر أبيات:

يعطي المجامع قوة المائة التي ... اجتمعت لأقوى واحد الإنسان
لا أن قوّته تضاعف هكذا ... إذ قد يكون لأضعف الأركان
ويكون أقوى منه ذا نقص من ... الإيمان والأعمال والإحسان
ولقد روينا أنه يغشى بيوم ... واحد مائة من النسوان
هذا ودليل أن قدر نسائهم ... متفاوت بتفاوت الإيمان
وبقوة المائة التي حصلت له ... أفضى إلى مائة لا خوران
غاب الرقيب وغاب كل منكد ... وهما بثوب الوصل مشتملان
أتراهما ضجرين من ذا العيش لا ... وحياة ربك ما هما ضجران
ويزيد كل منهما حبا ... لصاحبه جديدا سائر الأزمان
ووصاله يكسوه حبا بعده ... متسلسلا لا ينتهي بزمان
فالوصل محفوف بحب سابق ... وبلاحق وكلاهما صنوان
فرق لطيف بين ذاك وبين ذا ... يدريه ذو شغل بهذا الشان
ومزيدهم في كل وقت حاصل ... سبحان ذي الملكوت والسلطان

الأزواج من الحور الحسان

قال تعالى: **{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**([273]).

فانظر جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه.

والأزواج: جمع زوج والمرأة زوج للرجل وهو زوجها، هذا هو الأفصح وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله: **{اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}**([274]).

ومن العرب من يقول: زوجة وهو نادر لا يكادون يقولونه، وأما المطهّرة فإن جرت صفة على الواحد فيجرى صفة على جمع التكسير إجراءً له مجرى جماعة كقوله تعالى: **{وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً}**.

وقرى ظاهرة ونظائره، والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"{لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ}** قال: **"مِنَ الحيضِ والغائِطِ والنُّخامَةِ والبُزَاقِ"**([275]).

وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس: "مطهرة لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن".
وقال ابن عباس أيضاً: "مطهرة من القذر والأذى".
وقال مجاهد: "لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يلدن".
وقال قتادة: مطهّرة من الإثم والأذى، طهّرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم.

وعن عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلمَ قال: الْمُطَهَّرَةُ التي لا تَحيضُ قال: وكذلك خُلِقَتْ حواءُ عليها السلامُ حتى عصَتْ فلما عصَتْ قال اللهُ تعالَى: **"إني خلقتُكِ مُطهَّرَةً وسأُدْمِيك كما أَدْمَيْتُ هذه الشجرةَ"**([276]).

وقد استدل البخاري لذلك بعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"إنَّ هذا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ علَى بَنَاتِ آدَمَ"**([277]).

وقال تعالى: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}**([278]).

---

273 _[البقرة: 25].
274 _[الأعراف: 19].
275 _[حديث ضعيف أخرجه ابن حجر وابن الأعرابي وأبو نعيم والحاكم وابن كثير، وأبو إسحاق الحويني].
276 _[حديث ضعيف أخرجه ابن كثير والطبري وابن جرير وابن القيم وابن رجب في تفاسيرهم].
277 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأبي داود وابن حبان والعيني والنسائي وأحمد وابن ماجه والألباني].
278 _[الدخان: 51-56].

جمع الله لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس، وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضاً وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتاً.

والحور: جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين.
قال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار فيها الطرف وعين حسان الأعين.
وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.
وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين.
واختلف في اشتقاق هذه اللفظة فقال ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض.
وكذلك قال قتادة: الحور البيض.
وقال مقاتل: الحور البيض الوجوه.
وقال مجاهد: الحور العين التي يحار فيهن الطرف بادياً مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون، وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة وأصل الحور البياض والتحوير التبييض، والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين.

وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس في بني آدم حور، وإنما قيل للنساء حور العين لأنهن شبهن بالظباء والبقر.

وقال الأصمعي: ما أدري ما الحور في العين فخالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظة، ورد الحور إلى السواد والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد والحور في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر، فعين حوراء إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد.

والعين جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخم العين وامرأة عيناء والجمع عين والصحيح أن العين اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة.

بقي معنا من الشعر أبيات:

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم	**اختر لنفسك يا أخا العرفان**
حور حسان قد كملن خلائقا	**ومحاسنا من أجمل النسوان**
حتى يحار الطرف في الحسن الذي	**قد ألبست فالطرف كالحيران**
ويقول لما أن يشاهد حسنها	**سبحان معطي الحسن والإحسان**
والطرف يشرب من كؤوس جمالها	**فتراه مثل الشارب النشوان**
كملت خلائقها وأكمل حسنها	**كالبدر ليل الست بعد ثمان**
والشمس تجري في محاسن وجهها	**والليل تحت ذوائب الأغصان**
فتراه يعجب وهو موضع ذاك من	**ليل وشمس كيف يجتمعان**
فيقول سبحان الذي ذا صنعه	**سبحان متقن صنعة الإنسان**
لا الليل يدرك شمسها فتغيب	**عند مجيئه حتى الصباح الثاني**
والشمس لا تأتي بطرد الليل بل	**يتصاحبان كلاهما إخوان**

المرأة الحسناء المثالية

قال مقاتل: العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع فيها وخرق أذنها وأنفها وما هنالك.
ويستحب السعة منها في أربعة مواضع:
وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها وجبهتها.

ويستحسن البياض منها في أربعة مواضع:
لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها.

ويستحب السواد منها في أربعة مواضع:
عينها وحاجبها وهدبها وشعرها.

ويستحب الطول منها في أربعة:
قوامها وعنقها وشعرها وبنانها.

ويستحب القصر منها في أربعة:
وهي معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها فتكون قاصر الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله.

وتستحب الدقة منها في أربعة مواضع:
خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها.

الحور الحسان

وتأتيك الأزواج المطهرة، والعين الغنجات، بوشح الكرامة متزينات، بالمسك متزملات، حدق أعينهن كاحلات، وأطرافهن خاشعات، وفروقهن مكللة بالدر، مركّبة بالياقوت، ينادين بأصوات غنجة رخيمة لذيذة، فعن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"... مُجتَمَعُ الحور العين، يرفعن أصواتاً لم يسمعِ الخلائق بمثلهنّ، يقلن: نحن الناعماتُ فلا نبؤس أبدًا، ونحن الخالداتُ فلا نموتُ، ونحن الراضياتُ فلا نسخط أبداً، فطُوبى لمن كان لنا وكنّا له"([279]).**

ويقلن أيضاً: **"إنَّ الحُورَ في الجنَّةِ يَتَغَنَّينَ يَقُلْنَ: نَحْنُ الحُورُ الحِسَان هدِينا لأزواجٍ كرام"([280]).**

أنشأهن الله إنشاءً، فجعلهن أبكاراً، عاشقات لأزواجهن، مستويات في الأسنان، حسان جمال، كأمثال اللؤلؤ المكنون، كأنهن الياقوت والمرجان، مشيها هرولة، ونغمتها شهية بهية، فائقة وامقة، لزوجها عاشقة، وعليه محبوسة، وعن غيره محجوبة، قاصرة الطرف عن الرجال، فلا تنظر إلى غير زوجها.
لم يطمثها إنس قبله ولا جان، كلما أصابها زوجها وجدها عذراء، عليها سبعون حلة، مختلفة الوُشِيِّ والألوان، حملها أهون عليها وأخف من شعرها.

فما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوّجه اثنتين وسبعين زوجة، اثنتين من الحور العين، وسبعين من ميراثه من أهل النار -قول ضعيف- ، (ميراثه من أهل النار يعني رجالاً دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءهم كما وُرِثَتْ امرأة فرعون للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، ما منهن واحدة إلا ولها قُبُل شهي، وله ذكر لا ينثني، ويعطى قوة مائة شاب في الجماع، فيجامع مقدار أربعين سنة، وله في كل يوم مائة عذراء، بذَكَرٍ لا يمل ولا ينثني، وفرْج لا يحثى ولا يمنى، على كل واحدة منهن سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الثياب.

بقي معنا من الشعر أبيات:

وكلاهما مرآة صاحبه إذا	**ما شاء يبصر وجهه يريان**
فيرى محاسن وجهه في وجهها	**وترى محاسنها به بعيان**
حمر الخدود ثغورهن لآلئ	**سود العيون فواتر الأجفان**
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها	**فيضيء سقف القصر بالجدران**
ولقد روينا أن برقا ساطعا	**يبدو فيسأل عنه من بجنان**
فيقال هذا ضوء ثغر صاحبك	**في الجنة العليا كما تريان**
لله لاثم ذلك الثغر الذي	**في لثمه إدراك كل أمان**
ريانة الأعطاف من ماء الشباب	**فغصنها بالماء ذو جريان**
لما جرى ماء النعيم بغصنها	**حمل الثمار كثيرة الألوان**
فالورد والتفاح والرمان في	**غصن تعالى غارس البستان**

279 _[حديث ضعيف أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والترمذي والمروزي وعبد الله بن أحمد وأبو يعلى وابن عدي والمحاملي وأبو نعيم والبيهقي والبغوي والذهبي].
280 _[حديث صحيح أخرجه البخاري وابن أبي داود والطبراني والمنذري والسيوطي والهيثمي والألباني].

أصناف الحـور العـين

ولك يا ولي الله ما اشتهت نفسك من الحور العين، فهن أصناف:

الأولى: حوراء يقال لها اللُّعبة فعن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً قال:
"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ حَوْرَاءَ يُقَالُ لَهَا: اللُّعْبَةُ كُلُّ حُورِ الْجِنَانِ يُعْجَبْنَ بِهَا يَضْرِبْنَ بِأَيْدِيهِنَّ عَلَى كَتِفِهَا وَيَقُلْنَ: طُوبَى لَكِ يَا لُعْبَةُ لَوْ يَعْلَمُ الطَّالِبُونَ لَكِ لَجَدُّوا، بَيْنَ عَيْنَيْهَا مَكْتُوبٌ: مَنْ كَانَ يَبْتَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلِي فَلْيَعْمَلْ بِرِضَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ"([281]).

الثانية: حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها، ولولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها:
عن مالك ابن دينار قال: "فِي الْجَنَّةِ حَوْرَاءُ يَتَبَاهَى بِهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ حُسْنِهَا لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ لَا يَمُوتُوا لَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ مِنْ حُسْنِهَا"([282]).

الثالثة: حوراء يقال لها العيناء:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: **"إِنْ فِي الجَنَّةِ حَوْرَاءُ يُقَالُ لَهَا العَيْنَاءَ إِذَا مَشَتْ مَشى حَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ وَصِيفَةً عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا كَذَلِكَ، وَهِيَ تَقُولُ أَيْنَ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ والناهون عَنْ المُنْكَرِ"**([283]).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : **"فِي الجَنَّةِ حَوْرَاءُ يُقَالُ لَهَا العَيْنَاءَ لَوْ بَزَقَّتْ فِي البَحْرِ لَعذبَ مَاؤُهُ"**([284]).

فتختارَ -يا عبد الله- منهن أو من غيرهن من تشاء، وتجامعها مقدار عمرك في الدنيا، فلا مقطوعة ولا ممنوعة.

---

281 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا].
282 _[أثر منقطع أخرجه ابن أبي الدنيا].
283 _[أثر موقوف أخرجه العيني في شرح البخاري].
284 _[أثر موقوف أخرجه العيني في شرح البخاري].

أول لقاء بالحوراء

فأنت -يا ولي الله- عندما تخرج من قبرك، تتلقاك النجائب، فتركب وتأكل وتشرب وتتنخم، حتى تصل إلى باب الجنة، فترى عينين من عيون الجنة، فتشرب من أحدهما، وتتوضأ من الأخرى، فإذا أنت على طول آدم؛ ستون ذراعاً في السماء، وعلى صبر أيوب، وعلى جمال يوسف، وعلى سن عيسى، ثلاثة وثلاثون عاماً، وعلى أخلاق محمد، عليهم جميعاً الصلاة والسلام.
فإذا جئتَ لتدخل من باب الجنة، جاءتْ أزواجك من الحور العين يتلقونك بالغناء والمعانقة والتقبيل.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **"والذي نَفسي بيدِهِ، إنَّهُمْ إذا خَرَجُوا من قُبُورِهِم اسْتُقْبِلوا بِنُوقٍ بيضٍ، لها أَجْنِحَةٌ عليْها رِحالُ الذَّهَبِ، شُرُكُ نِعَالِهِمْ نورٌ يَتَلأْلأُ، كلُّ خُطْوَةٍ مِنْها مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ويَنْتَهونَ إلى بابِ الجنةِ، فإذا حَلْقَةٌ من ياقُوتَةٍ حمراءَ على صَفَائحِ الذَّهَبِ، وإذا شجرةٌ على بابِ الجنةِ ينبعُ من أصلِها عينانِ، فإذَا شربُوا من أَحَدِهما جرَتْ في وجوهِهِمْ بنضرةِ النعيمِ، وإذا توضَئُوا مِنَ الأُخْرَى لمْ تشعثْ أشعارُهُمْ أبداً، فيضربونَ الحلقةَ بالصفيحةِ، فلَوْ سمِعْتَ طنينَ الحلقةِ يا عليُّ ! فيبلغُ كلَّ حوراءِ أنْ زوجَها قد أقبلَ، فَتَسْتَخِفُّها العَجَلَةُ، فَتَبْعَثُ قَيِّمَها فيفتحَ لهُ البابَ، فَلَوْلا أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عَرَّفَهُ نفسَهُ؛ لَخَرَّ ساجِداً مِمَّا يَرَى مِنَ النُّورِ والبَهاءِ، فيقولُ: أنا قَيِّمُكَ الذي وُكِّلْتُ بِأَمْرِكَ، فيتبعُهُ فيقفُوا أثَرَهُ فيأتي زوجتَهُ، فَتَسْتَخِفُّها العَجَلَةُ، فتخرجُ مِنَ الخَيْمَةِ، فَتُعَانِقُهُ، وتَقُولَ: أنتَ حِبِّي وأنا حِبُّكَ، وأنا الرَّاضِيَةُ فلا أَسْخَطُ أبداً وأنا النَّاعِمَةُ فلا أَبْؤُسُ أبداً، وأنا الخَالِدَةُ فلا أَظْعَنُ أبداً، فَيدخلُ بَيْتاً من أَساسِه إلى سَقْفِهِ مِئَةُ أَلْفِ ذِرَاعٍ، مَبنِيٌّ على جَنْدَلِ اللُّؤْلُؤِ والياقُوتِ، طَرَائِقُ حُمْرٌ، وطَرَائِقُ خُضْرٌ، وطَرَائِقُ صُفْرٌ، ما مِنْها طَرِيقَةٌ تُشَاكِلُ صاحبَتَها، فَيأتي الأَرِيكَةَ، فإذا عليْها سَرِيرٌ، على السَّرِيرِ سبعونَ فِرَاشاً، على كلِّ فراشٍ سبعونَ زَوْجَةً، على كلِّ زَوْجَةٍ سبعونَ حُلَّةً، يُرَى مُخُّ ساقِها من باطِنِ الحُلَلِ، يُفضِي جِماعَهُنَّ في مِقْدَارِ ليلةٍ، تَجري من تَحْتِهِمُ الأنْهارُ مُطَّرِدَةً، أنْهارٌ من ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ، صافٍ ليس فيهِ كَدَرٌ، وأنْهارٌ من عَسَلٍ مُصَفًّى لمْ يَخْرُجْ من بُطُونِ النَّحْلِ، وأنْهارٌ من خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبينَ لمْ تَعْصِرْهُ الرِّجَالُ بِأَقْدَامِها، وأنْهارٌ من لَبَنٍ لمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، لمْ يَخْرُجْ من بُطُونِ الماشِيَةِ، فإذا اشْتَهَوُا الطَّعَامَ، جاءتْهُمْ طَيْرٌ بيضٌ فترفعُ أَجْنِحَتَها، فَيأكلونَ من جُنُوبِها من أَيِّ الألْوَانِ شاؤُوا ثُمَّ تَطِيرُ فَتَذْهَبُ، وفيها ثِمارٌ مُتَدَلِّيَةٌ إذا اشْتَهَوْها انبعثَ الغُصْنُ إليهِمْ فَيأكلونَ من أَيِّ الثِّمارِ شاؤُوا، إنْ شاءَ قائِماً، وإنْ شاءَ مُتَّكِئاً"**([285]).

وبين يديك خدم كاللؤلؤ، يطيعونك، ولا يعصون لك أمراً.

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"يُساقُ الَّذين اتَّقَوْا ربَّهم إلى الجنَّةِ زُمَراً حتَّى إذا انتهَوْا إلى بابٍ من أبوابِها وجَدوا عنده شجرةً يخرُجُ من تحتِ ساقِها عينان تجريان فعمَدوا إلى إحداهما كأنَّما أُمِروا بها فشربوا منها فأذهبتْ ما في بطونِهم من أذىً أو قذىً أو بأسٍ ثمَّ عمَدوا إلى الأخرَى فتطهَّروا منها فجَرَتْ عليهم بنضْرةِ النَّعيمِ فلن تتغيَّرَ أبشارُهم تغيُّراً بعدها أبداً، ولن تشعَثَ أشعارُهم كأنَّما دُهِنوا بالدِّهانِ، ثمَّ انتهَوْا إلى خزَنةِ الجنَّةِ فقالوا: سلامٌ عليكم طِبتم فادخلوها خالدين.**
قال: ثمَّ تلقَّاهم أو يلقاهم الوِلدانُ يُطيفون بهم كما يُطيفُ وِلدانُ أهلِ الدُّنيا بالحميمِ، يقدُمُ من غيبتِه فيقولون: أبشِرْ بما أعدَّ اللهُ لك من الكرامةِ.
قال: ثمَّ ينطلِقُ غلامٌ من أولئك الوُلدانِ إلى بعضِ أزواجِه من الحورِ العينِ، فيقولُ: قد جاء فلانٌ باسمِه الَّذي يُدعَى به في الدُّنيا، فتقولُ: أنت رأيتَه؟ فيقولُ: أنا رأيتُه وهو ذا بإثري، فيستخِفُّ إحداهنَّ الفرَحُ حتَّى تقومَ على أسكُفَّةِ بابِها، فإذا انتهَى إلى منزلِه نظر إلى أيِّ شيءٍ أساسُ بنيانِه، فإذا جندَلُ اللُّؤلؤِ فوقه صرحٌ أخضرُ وأصفرُ وأحمرُ ومن كلِّ لونٍ، ثمَّ رفع رأسَه فنظر إلى سقْفِه، فإذا مثلُ البرقِ لولا أنَّ اللهَ قدَّر له لألمَّ أن يذهبَ ببصرِه، ثمَّ طأطأ رأسَه فنظر إلى

---

285 _[حديث ضعيف، أخرجه المنذري وابن القيم وابن كثير والألباني].

أزواجِه، وأكوابٍ موضوعةٍ، ونمارقَ مصفوفةٍ، وزرابيَّ مَبثوثةٍ فنظروا إلى تلك النِّعمةِ، ثمَّ اتَّكئوا وقالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} ، ثمَّ يُنادي منادٍ تحَيْون فلا تموتون أبداً، وتُقيمون فلا تظعنون أبداً وتصحون. أراه قال: فلا تمرَضون أبداً"(286).

وعندما تدخل يا ولي الله من باب الجنة، يتلقاك غلمانك، فيقولون: مرحباً بسيدنا، قد آن لك أن تزورنا، فعن عبد الله بن عمر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَسْفَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَرَجَةً؟"** قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **"رَجُلٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ بَابِ الْجَنَّةِ فَيَتَلَقَّاهُ غِلْمَانُهُ فَيَقُولُونَ مَرْحَبًا بِسَيِّدِنَا قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا قَالَ: فَتُمَدُّ لَهُ الزَّرَابِيُّ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَيَرَى الْجِنَانَ فَيَقُولُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ لَكَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى رُفِعَتْ لَهُ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ وَزَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ لَهَا سَبْعُونَ شِعْبًا فِي كُلِّ شِعْبٍ سَبْعُونَ غُرْفَةً فِي كُلِّ غُرْفَةٍ سَبْعُونَ بَابًا فَيَقُولُونَ اقْرَأْ وَارْقَهْ، فَيَرْقَى حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ اتَّكَأَ عَلَيْهِ سَعَتُهُ مِيلٌ فِي مِيلٍ لَهُ فِيهِ فُصُولٌ فَيُسْعَى إِلَيْهِ بِسَبْعِينَ صُحْفَةً مِنْ ذَهَبٍ لَيْسَ فِيهَا صُحْفَةٌ مِنْ لَوْنِ أُخْتِهَا يَجِدُ لَذَّةَ آخِرِهَا كَمَا يَجِدُ لَذَّةَ أَوَّلِهَا ثُمَّ يُسْعَى عَلَيْهِ بِأَلْوَانِ الْأَشْرِبَةِ فَيَشْرَبُ مِنْهَا مَا اشْتَهَى ثُمَّ يَقُولُ الْغِلْمَانُ: اتْرُكُوهُ وَأَزْوَاجَهُ فَيَنْطَلِقُ الْغِلْمَانُ ثُمَّ يَنْظُرُ فَإِذَا حَوْرَاءُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ جَالِسَةٌ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهَا عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً لَيْسَ مِنْهَا حُلَّةٌ مِنْ لَوْنِ صَاحِبَتِهَا فَيَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَالدَّمِ وَالْعَظْمِ وَالْكِسْوَةُ فَوْقَ ذَلِكَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مِنَ اللَّاتِي خُبِّئْنَ لَكَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَصْرِفُ بَصَرَهُ ثُمَّ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى الْغُرَفِ فَوْقَهُ فَإِذَا أُخْرَى أَجْمَلُ مِنْهَا فَتَقُولُ: أَمَا آنَ لَكَ أَنْ يَكُونَ لَنَا فِيكَ نَصِيبٌ فَيَرْتَقِي إِلَيْهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَنْهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ النَّعِيمُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ وَظَنُّوا أَنْ لَا نَعِيمَ أَفْضَلُ مِنْهُ تَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلِّلُونِي فَيَتَجَاوَبُونَ بِتَهْلِيلِ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا دَاوُدُ قُمْ فَمَجِّدْنِي كَمَا كُنْتَ تُمَجِّدُنِي فِي الدُّنْيَا فَيُمَجِّدُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"(287).**

---

286 _[حديث صحيح أخرجه المنذري والدمياطي].

287 _[حديث ضعيف أخرجه المنذري وابن أبي الدنيا والألباني].

صفة جسم الحور العين

وإنك -يا ولي الله- لتتكئ في الجنة سبعين سنة، قبل أن تتحول، ثم تأتيك امرأتك، فتضرب على منكبيك، فترى وجهك في خدها أصفى من المرآة، وتنظر إلى بياض ساقها من وراء سبعين حلة، حتى ترى مخها، كأنهن الياقوت والمرجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتُسَلِّم عليك، فترد السلام، وتسألها: من أنتِ؟ فتقول لك: أنا من المزيد، عليها سبعون ثوبا، أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصرك حتى ترى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"إنَّ الرَّجُلَ في الجنَّةِ لَيتَّكئُ سَبعينَ سَنَةً قبْلَ أنْ يتحوَّلَ ثمَّ تأتيه المرأةُ فتقرُبُ منه فينظُرُ في خَدِّها أصفى مِن المِرآةِ فتُسلِّمُ عليه فيرُدُّ السَّلامَ ويسأَلُها مَن أنتِ؟ فتقولُ: أنا مِن المَزيدِ وإنَّه يكونُ عليها سبعونَ ثوباً فينفُذُها بصَرُه حتَّى يرى مُخَّ ساقِها مِن وراءِ ذلكَ وإنَّ عليهِنَّ التِّيجانَ وإنَّ أدنى لؤلؤةٍ عليها لَتُضيءُ ما بَيْنَ المَشرِقِ والمَغرِبِ"([288]).**

والذي نفسي بيده، لو اطلعتْ الحور العين على أهل الأرض لأضاءتْ ما بينهما، ولملأتْ ما بينهما بريحها، ولنصيفها -أي: خمارها- على رأسها خير من الدنيا وما فيها.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"لو أنَّ امْرَأَةً مِن نِسَاءِ أهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إلى الأرْضِ لَأَضَاءَتْ ما بيْنَهُمَا، ولَمَلَأَتْ ما بيْنَهُما رِيحاً، ولَنَصِيفُهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا"([289]).**

فإن سألتَ عن أزواجك وحبيباتك يا عبد الله، فاعلم أنهن الكواعب الأتراب، اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت.

إذا قابلتْ حِبَّها فقل ما تشاء في تقابل النورين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين، ولسان الحال للقاء الأول والنظرة الأولى:

أيها المشتاق الذي أفقده الشوق صبره وقراره ..
يبدو أنك مثلي فيما أقاسيه من شوق و وله واحتراق ..
إذن فادنو مني فقد سئمت الانتظار فهيت لك ...
قم فقد آن الآوان أن تذوق بعد الذي عانيته في الدنيا نعيم الوصال.

قم فإن شمعتك مثلك في الانتظار ..
تقاسي مثل ما تقاسيه جوانحك وجوارحك من نار الاصطبار ...
حسبك مثلي ذوباً واحتراقاً ...
وكفاك مثلي دموعاً و تسكاباً.

إن ذلك النور الذي ضاع ورائه قلبك، هو ذا أمامك اليوم، فلترتم في أحضانه، كما تفعل الفراشة الملتاعة، إذ تنثر روحها على أذيال اللهب.

---

288 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والمنذري والحاكم باختلاف يسير].
289 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي وأحمد باختلاف يسير].

أيها الساعي للحور الحسان ... طالما أتعبت قدميك ابتغاء الوصول إلى هذا المطاف ..
أيها العاشق السعيد .. قم لتطوف حول الخصر وتلتزم .. وتقبّل الثغر وتستلم ...
أيها العاشق الظمآن .. قم، فالكأس مترعة .. وخمرتك في الانتظار.
حيث خمرة: **{لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ}**([290]).

ودخل ولي الله إلى الغرفة المجوفة من اللؤلؤ، ليجد زوجه من الحور العين جالسة بانتظاره حديث الحب والعناق والوصال .. حيث تصافحت عيناهما في سكون حالم وتعانق قلباهما في ذهول طويل، وتبدلت نار ضلوعهما شهداً وخمراً، وباركت لهما تلك الشموع التي تحترق كؤوساً مترعة من الرحيق .. وشهدت وحدها أحد أجمل لحظات الجنة لدى الأحبة وعشّاق الحور الحسان.
هذا ما سيكون من حالهما ولقائهما.

فإن ضمّها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يُرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويَرى مخ ساقها من وراء اللحم، ولا يستره جلدها، ولا عظمها، ولا حللها.

لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً، وأفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً، ولتزخرفت لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوءَ الشمس كما تطمس الشمسُ ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم، ولَنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، و وصالها أشهى إليك من جميع أمانيها.

ولا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً، ولا تزداد لها طول المدى إلا محبةً ووصالاً، مبرأة من الحبل والولادة، والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق، والمذي والمني، والبول والغائط، وسائر الأدناس.

مطهرة من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، والفحش والبذاء، ومن النظر إلى غير زوجها، فلا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلِق ثوب جمالها، ولا يُمَل طيب وصالها، قد قصرت على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه، وقصر طرفك عليها، فهي غاية أمنيتك وهواك، إن نظرتَ إليها سرتك، وإن أمرتها بطاعتك أطاعتك، وإن غبتَ عنها حفظتك، فأنتَ منها في غاية الأماني، لم يطمثها قبلك إنس ولا جان، كلما نظرتَ إليها ملأتْ قلبك سروراً، وكلما حدثتْك ملأتْ أذنك لؤلؤاً منظوماً، وإذا برزتْ ملأت القصر والغرفة نوراً.

واسمع -يا عبد الله- وصف الحور العين، التي قصّ الله عليك ذكرها، وبيّن لك النبي صلى الله عليه وسلم وصفها، ولنأخذ في وصفها عضواً عضواً، ما استطعنا إلى هذا سبيلاً، وما وجدنا نصاً ودليلاً، ولنبدأ بأعلاها حتى ننتهي إلى أسفلها.

أما طولها فيتناسب مع طول حبيبها، وأما عرضها فيتلاءم مع عرض زوجها، وأما الحلل التي عليها فهي من سندس وإستبرق وحرير، بألوان خضراء وحمراء وغير ذلك، مع الشفافية والصفاء، مكللة بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ.

أما التيجان على رأسها فخير من الدنيا وما فيها، عليه ألوان وأنواع لا تحصى من الجواهر.

وخمارها على رأسها خير من الدنيا وما فيها.

[290] _[الصافات: 47].

وشعرها طويل ناعم، صُفَّ بطريقة فاتنة ساحرة، ينفجر منه الريح، وينبثق منه النور والجمال، لو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها.

وأما وجهها فيعجز اللسان عن وصفه، ويعجز الكلام عن بيانه، ويعجز العقل عن تصوره، فلو أخرجتِ الحور وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض، فنور وجوههن من نور الله عز وجل.

ولو أن يداً من الحور، بياضها وخواتيمها، دُلِّيَتْ من السماء، لأضاءتْ لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، هذه يدها، فكيف بالوجه بياضه وحسنه وجماله، وتاجه وياقوته، ولؤلؤه وزبرجده.

وما أدراك ما الجبهة اتساعاً وجمالاً ونوراً، ثم ما أدراك ما العين، إنها الحوراء العيناء، شديدة بياض بياض العين، شديدة سواد سواد العين، يحار الطرف في حسن عينها، عظيمة العين مع اتساع، ومع كل هذا فهي قاصرة الطرف على زوجها.

أما الحاجب فرقيق واسع أسود، والأنف ضيق، والفم أيضا، فمجمع الجمال والحسن، جمال الشفة، وجمال الأسنان، وجمال الصوت والنغمات.

يسطع نور في الجنة، لم يبق موضع من الجنة إلا دخله من ذلك النور، فإذا رفعوا رؤوسهم وجدوه من ثغر حوراء، ضحكت في وجه زوجها.

وأما ريقها فعذب، أحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، لو أن حوراء بزقت في بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها، بل لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر، لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل.

وأما كلامها فهو السحر الحلال، وهي قصيرة اللسان عن كثرة الكلام.

وأما صوتها وغناؤها، فلو أن الله كتب على أوليائه الموت لماتوا جميعاً من جمال صوتها، فيا لروعة نغماتها، ويا لجماله.

وأما رائحة فمها، فلو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرقتْ لملأتْ الأرض ريح مسك، ولأذهبتْ ضوء الشمس والقمر.

وأما عنقها، فكأنه الياقوت والمرجان، ترى وجهك في جيدها، أصفى من المرآة، وإن لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً، ينفذها بصرك حتى ترى مخ ساقها من وراء ذلك.

وأما الثدي، فكواعب أتراباً، فثدي الحوراء لا يتدلى، وإنما هو كالتفاح، مكعب بدون زوايا، نواهد مستديرة كالرمان.

وأما الكبد فمرآة صافية، كبدك لها مرآة، وكبدها لك مرآة.

وأما صدرها ووسطها وسرتها، أعلاها وأسفلها، وفخذاها، وكتفاها، وعضدها، ومرفقاها، وساعداها، وركبتاها، وقدمها، فشيء يعلو على الخيال، ولذا لم يرد فيه وصف عن الكبير المتعال، ولا النبي سيد الرجال.

وأما أصابعها، فأحدها أجمل وأشد ضوءاً من الشمس والقمر، لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوؤُه ضوءَ الشمس والقمر.

وأما أسفلها -أي: الدبر أو المؤخرة- فهي عظيمة جسم المقعدة، مع رقة وصفاء، ولين ولطف، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدتها قدر ميل.
الميل: واحد ونصف كيلو متر.

فالحور العين خُلِقتْ من ثلاثة أشياء: أسفلهن من المسك، وأوسطهن من العنبر، وأعلاهن من الكافور، وشعورهن وحواجبهن سواد خط من نور.

يخلقهن الله من قضبان العنبر والزعفران، مضروبات عليهن الخيام.

أول ما يخلق الله منهن نهداً من مسك أذفر أبيض، عليه يلْتامُ البدن.

ومنهن من خَلَقَ اللهُ من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض، عليها سبعون ألف حلة، مثل شقائق النعمان. إذا أقبلت يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا، وإذا أدبرت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها، في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر، لكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها.

معاني بعض الكلمات:
الزعفران: صبغ أصفر ذهبي أو أحمر زاهي اللون.
المسك الأذفر: نوع من الطيب، وهو مادة دهنية عطرة سمراء اللون، تتخذ من بعض أنواع الغزلان.
العنبر الأشهب: العنبر مادة تخرج من جوف الحوت المعروف باسم حوت العنبر، والعنبر مادة رمادية أو بيضاء أو سوداء أو صفراء، وأجود أنواع العنبر هو الأشهب.
الكافور الأبيض: عبارة عن بلورات بيضاء شفافة لها رائحة قوية.
شقائق النعمان: جمع شقيقة وهي زهرة برية حمراء جميلة.

مكتوب في نحرها: "أنت حبي وأنا حبك، لست أبغي بك بدلا، ولا عنك معدلا" ؛ كبدها مرآتك، وكبدك مرآتها، ترى مخ ساقها من وراء لحمها وحليها، كما ترى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وكما ترى السلك الأبيض في جوف الياقوتة الصافية.

وإنّ نساءً من الحور العين في خيمة من درة مجوفة، حورُ مقصوراتٌ في الخيام، على كل امرأة منهن سبعون حلة، ليس منها حلة على لون الأخرى، وتعطى سبعين لوناً من الطيب، ليس منهن لون على ريح الآخر، لكل امرأة منهن سبعون سريراً من ياقوتة حمراء، موشحة بالدر والياقوت، على كل سرير سبعون فراشاً، على كل فراش أريكة، ولكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها، وسبعون ألف وصيف، مع كل وصيف صحفة من ذهب، فيها لون من طعام، تجد لآخر لقمة لذة ما لا تجد لأوله، وتُعطى يا زوجها مثل ذلك، على سرير من ياقوت أحمر، عليك سواران من ذهب، موشح بياقوت أحمر، هذا بكل يوم صمتَه من شهر رمضان، سوى ما عملتَ من الحسنات.

بقي معنا من الشعر أبيات:

يا خاطب الحور الحسان   وطالبا لوصالهن بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن   طلبت بذلت ما تحوي من الأثمان
أو كنت تدري أين مسكنها جعلت   السعي منك لها على الأجفان
ولقد وصفت طريق مسكنها فإن   رمت الوصال فلا تكن بالواني
أسرع وحدث السير جهدك   إنما مسراك هذا ساعة لزمان
فاعشق وحدّث بالوصال النفس   وابذل مهرها ما دمت ذا إمكان
واجعل صيامك قبل لقياها ويوم   الوصل يوم الفطر من رمضان
واجعل نعوت جمالها الحادي وسر   تلقي المخاوف وهي ذات أمان
والقد منها كالقضيب اللدن في   حسن القوام كأوسط القضبان
في مغرس كالعاج تحسب أنه   عالي النقا أو واحد الكثبان
لا الظهر يلحقها وليس ثديها   بلواحق للبطن أو بدوان
لكنهن كواعب ونواهد   فثديهن كألطف الرمان
والجيد ذو طول وحسن في   بياض واعتدال ليس ذا نكران
يشكو الحليّ بعاده فله مدى   الأيام وسواس من الهجران
والمعصمان فإن تشأ شبههما   بسبيكتين عليهما كفان
كالزبد لينا في نعومة ملمس   أصداف در دورت بوزان
والصدر متسع على بطن لها   حفت به خصران ذا أثمان
وعليه أحسن سرة هي مجمع   الخصرين قد غارت من الأعكان
حق من العاج استدار وحوله   حبات مسك جل ذو الاتقان

الغنج ودلال الحور العين

وبينما أنت يا ولي الله في الجنة مع زوجتك من الحور العين، على سرر من ياقوت أحمر، وعليك قبة من نور، فتقول لها: قد اشتقت إلى مشيتك، فقد روي عن الحسن بن علي عليهما السلام: **"بَيْنَمَا وَلِيُّ الله فِي الجَنَّةِ مَعَ زَوْجَتِهِ مِنْ الحَوْرِ العِينِ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ياقوتٍ أَحْمَرُ وَعَلَيْهِ قُبَّةٌ مِنْ نُورٍ، إذْ قَالَ لَهَا: قَدْ اِشْتَقْتُ إِلَى مِشْيَتِكَ، قَالَ: فَتَنْزِلُ مِنْ سَرِيرٍ ياقوتٍ أَحْمَرَ إِلَى رَوْضَةٍ مُرْجَانٍ أَخْضَرَ، وَيُنْشِئُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهَا فِي تِلْكَ الرَّوْضَةِ طَرِيقَيْنِ مِنْ نُورٍ أَحَدُهُمَا نَبتُ الزَّعْفَرَانِ، وَالآخَرُ نَبتُ الكَافُورِ، فَتَمْشِي فِي نَبْتِ الزعفرانِ، وَتَرْجِعُ فِي نَبْتِ الكَافُورِ، وتَمْشِي بِسَبْعِينَ أَلْفَ لَوْنٍ مِنَ الغَنَجِ"**([291]).

وتضحك في وجهك، فيسطع نور من بين ثناياها يملأ الجنة.

ما هو الغنج:

في اللغة:

تحريك العنق والبدن، والغنج في الجارية: تكسُّر وتدلُّل.

وفي الاصطلاح:

هو التعبيرات والأصوات والحركات التي تصدر عن بعض النساء أثناء اللقاء الجنسي، والغنج بعيداً عن التعقيدات اللغوية هو الترقق والتدلل والذهول وتفتير العيون وتمريض الجفون وإرخاء المفاصل من غير سكوت حركة والتعلل من غير انزعاج والتوجع من غير ألم، وترخيم الكلام يعني مخاطبة الرجل بما يحب فتارة تتألم منه وتارة تستزيده بأشجى صوتها ولين نغمتها.

ولابد في أثناء الجماع من نخير رقيق وشخير دقيق وعضة فى أثر قبلة، أو قبلة في أثر عضة منه أو منها، فإن ذلك كله مما يقوي شهوة النكاح ويحث على المعاودة خاصة إذا طُرح الحياء جانباً بين الرجل والمرأة.

بقي معنا من الشعر أبيات:

وإذا بدت في حلة من لبسها — وتمايلت كتمايل النشوان
تهتز كالغصن الرطيب وحمله — ورد وتفاح على رمان
وتبخرت في مشيها ويحق — ذاك لمثلها في جنة الحيوان
ووصائف من خلفها وأمامها — وعلى شمائلها وعن أيمان
كالبدر ليلة تتمة قد حف في — غسق الدجى بكواكب الميزان
فلسانه وفؤاده والطرف في — دهش وإعجاب وفي سبحان
فالقبل قبل زفافها في عرسه — والعرس من أثر العرس متصلان
حتى إذا ما واجهته تقابلا — أرأيت إذ يتقابل القمران
فسل المتيّم هل يحل الصبر عن — ضم وتقبيل وعن فلتان
وسل المتيّم أين خلّف صبره — في أي واد أم بأي مكان
وسل المتيم كيف حالته وقد — ملئت له الأذنان والعينان
من منطق رقت حواشيه ووجه — كم به للشمس من جريان
وسل المتيم كيف عيشته إذا — وهما على فرشيهما خلوان
يتساقطان لآلئ منثورة — من بين منظوم كنظم جمان

---

291 _[حديث ضعيف، أخرجه ابن القيم في كتابه بستان الواعظين ورياض السامعين ص:١٣٧ ، ومحمود المصري في كتابه رحلة إلى الدار الآخرة ص: ٦٣٩].

وسل المتيم كيف مجلسه مع		المحبوب في روح وفي ريحان
وتدور كاسات الرحيق عليهما		بأكف أقمار من الولدان
يتنازعان الكأس هذا مرة		والخود أخرى ثم يتكئان
فيضمها وتضمه أرأيت		معشوقين بعد البعد يلتقيان

جماع الحـور العين

وتلقى امرأةً أجمل من القمر، جمعتْ لك كل دواعي الجماع، ومع هذا تُعطَى قوة مائة رجل في الجماع، وكما أن الحوراء طاهرة مطهرة، فأنتَ أيضا طاهر مطهَّر، لا تلحقك الأمراض، ولا تنزل عليك المصائب، ولا يلحقك ضعف ولا انحلال قوة، ولو جامعتها مليار مرة.
إنه وطء التلذذ، ومتعة ونعيم، لا آفة فيه بوجه من الوجوه، شهوتك دفعاً دفعاً، لا تنقطع أبداً، ولا مني ولا موت، ولا جنابة ولا ملل، وهذه المتعة شغلك الشاغل، وهذه الشهوة عملك الدائم، مع غيره من الشهوات والنعيم المقيم، **{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ}**([292]).
فشغلهم الشاغل افتضاض الأبكار.

وكيف لا تُشغَل عن الغموم والهموم، والكروب والمصائب، وعذاب أهل النار، وما هم فيه من عقاب أليم، وقد أُعطيتَ كل وسائل الترف والتمتع، ومُنع عنك أبدياً كل آفة ونقص وشقاء، وملل وتعب.
وكيف لا تُشغَل بوطء الحور العين، وقد اجتمع فيك كل ما يدعو إلى هذه المتعة: من راحة الصدر، وسلامة القلب، وهدوء البال، وقوة البدن، وطول الجسد، مع قوة مائة رجل في الجماع، وشهوتك تجري في جسدك سبعين عاماً، فتطأها دحماً دحماً، وإذا قُمتَ عنها رجعتْ مطهرة بكراً.

وكيف لا تُشغَل بلذة جماع الحوراء وهي من هي في جمالها؟ وهي من هي في حسنها؟ لو أخرجت كفها على الدنيا لأفتتن الخلائق بحسنها، ولو ظهرتْ أدنى لؤلؤة من اللؤلؤ الذي عليها لأضاءتْ ما بين المشرق والمغرب، ولو اطلعتْ إلى الأرض لملأَتْها ريحاً، وترى بياض ساقها من وراء سبعين حلة، إنها الحوراء العيناء، البيضاء الحسناء، الرقيقة اللطيفة الرشيقة، الممتلئة بالجمال البارع البارق.

وكيف لا تُشغَل الحوراء بك وأنتَ على جمال يوسف، أمرد أكحل، لا يفنى شبابك، ولا تبلى ثيابك، على قلب أيوب، وعلى طول آدم، ستون ذراعاً في السماء، ابن ثلاث وثلاثين عاماً.
تعود إليك الحور مطهّرة من الجنابة، مطهرة من النجاسة، مطهرة من الحدث الأصغر والأكبر، مطهرة من البول والغائط، مطهرة من الحيض والنفاس، مطهرة من المني والمذي والودي، مطهرة من التفل والبصاق والنخامة، مطهرة من النظر إلى غيرك، مطهرة من الفحش والتفحش، والبذاء واللعن والسّب، مطهرة من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، ومطهرة من كل أذى وقذر.

وأكمل الناس في هذه اللذة أصونهم لنفسه في الدنيا، عن الزنا و اللواط، والمعانقة والتقبيل، والمس والمصافحة، والنظر إلى الحرام، فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة، فهي للكفار في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة؛ فكذلك من لم يصن نفسه في الدنيا عن الزنا ومقدماته يُحرَم أن يكون كمن عفّ واستعفّ، وصان نفسه وزكاها.
فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاها هنا حُرِمَها هناك، أو نقص كمالها، فلا يجعل الله لذة من وقع في معاصيه، كلذة من ترك شهوته لله أبداً.

[292] _[يس: 55-56].

والذي بعث نبيه بالحق، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم؛ حيث تدخل -يا عبد الله- على اثنتين وسبعين زوجة مما يُنشئ الله، واثنتين من ولد آدم، لهما فضل على من أنشأ الله، لعبادتهما الله عز وجل في الدنيا.
تدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب، مكلل باللؤلؤ، عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، فتضع يدك بين كتفيها، ثم تنظر إلى يدك من صدرها، ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وتنظر إلى وجهك في خدها، أصفى من المرآة، وإنك لتنظر إلى مخ ساقها، كما تنظر إلى السلك في قصبة الياقوت، كبدك لها مرآة، وكبدها لك مرآة.

فبينما أنت عندها لا تملّها ولا تملّك، ولا تأتيها مرة إلا وجدتها عذراء، لا يفتر ذكرك، ولا يشتكي قُبُلها، فتناديك: إنا قد عرفنا أنك لا تَمِلُّ ولا تُمَل، إلا أنه لا مني ولا منية، إلا أن تكون لك أزواج غيرها، فتخرج إليهن، فتأتيهن واحدة واحدة، كلما جاءتْ واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إلي منك.

وهل أتاك نبأ شهوتك يا ولي الله، إن شهوتك لتجري في جسدك سبعين عاماً، تجد اللذة، ولا يلحقك بذلك الجنابة، ولا ضعف، ولا انحلال قوة، ولا يلحقك تعب ولا مشقة، بل وطؤك وطء التلذذ، ونعيم لا آفة فيه.
وهل أتاك أن شهوتك عند اللقاء بحبيبتك لا تنقطع أبداً، فتجامع بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع، دحماً دحماً، بلا مني ولا منية؛ أي لا إنزال ولا موت.

فيا حسن مواقعتها وملاطفتها عند الجماع، ويا حسن عشقها وطاعتها لزوجها، ويا حسن صورتها وعشرتها لحبيبها، ويا حلاوة حبها وغنجها لبعلها.
لم لا، ونحن نعلم أن هذا غاية ما نطلب من النساء، وبه تكتمل لذتنا بهن.
فالعجب العجاب لو ترى عيناك الحوراء المشحونة بأسرار لا تستطيع لها إحاطة، ولو حاولت تفسيراً لها لما استطعت، ومن هذا أنك بعد أن تجامعها تعود بكراً.

بقي معنا من الشعر أبيات:

وإذا انحدرت رأيت أمرا هائلا	**ما للصفات عليه من سلطان**
لا الحيض يغشاه ولا بول ولا	**شيء من الآفات في النسوان**
فخذان قد جفا به حرسا له	**فجنابه في عزة وصيان**
قاما بخدمته هو السلطان	**بينهما وحق طاعة السلطان**
وهو المطاع أميره لا ينثني	**عنه ولا هو عنده بجبان**
وجماعها فهو الشفا لصبها	**فالصبّ منه ليس بالضجران**
وإذا يجامعها تعود كما أتت	**بكرا بغير دم ولا نقصان**
فهو الشهي وعضوه لا ينثني	**جاء الحديث بذا بلا نكران**
ولقد رأينا أن شغلهم الذي	**قد جاء في يس دون بيان**
شغل العروس بعرسه من بعدما	**عبثت به الأشواق طول زمان**
بالله لا تسأله عن أشغاله	**تلك الليالي شأنه ذو شان**
واضرب لهم مثلا بصب غاب عن	**محبوبه في شاسع البلدان**
والشوق يزعجه إليه وما له	**بلقائه سبب من الإمكان**
وافى اليه بعد طول مغيبه	**عنه وصار الوصل ذا إمكان**

أتلومه إن صار ذا شغل به لا والذي أعطى بلا حسبان
يا رب غفرا قد طغت أقلامنا يا رب معذرة من الطغيان

صفات الحور العين العامة

قال تعالى: **{وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}**(293).

قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين.
وقال يونس: قرناهم بهن وليس من عقد التزويج قال والعرب لا تقول تزوجت بها وإنما تقول: تزوجتها.

قال بن نصر: "هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى: **{فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا}** ، ولو كان على تزوجت بها لقال: زوجناك بها".

وقال ابن سلام: تميم تقول: تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكى الكسائي أيضاً.
وقال الأزهري: "تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة وقوله تعالى: **{وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}** أي قرناهم".

وقال الفراء: هي لغة في أزد شنوءة.
قال الواحدي: وقال أبي عبيدة: في هذا أحسن لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجاً لا بمعنى عقد النكاح، ومن هذا يجوز أن يقال: كان فرداً فزوجته بآخر كما يقال شفعته بآخر، وإنما تمتنع الباء عند من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج.

ولا يمتنع أن يراد الأمران معاً، فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد: أنكحناهم الحور، ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم.
وقال تعالى: **{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ أنس قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}**(294).
وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع:
أحدها: هذا.

والثاني: قوله تعالى: في الصافات **{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ}**(295).

والثالث: قوله تعالى: **{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ}**(296).

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم.
وقيل: قصرن طرف أزواجهن كلهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن، وهذا صحيح من جهة المعنى، وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن أي ليس بطامح متعد.

293 _[الطور: 20].
294 _[الرحمن: 56-58].
295 _[الصافات: 48].
296 _[ص: 52].

قال آدم: حدثنا ورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: "{قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} قال: يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن".

قال آدم: وحدثنا المبارك بن فضلة عن الحسن قال: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات.
وقال منصور عن مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم.
وفي تفسير سعيد عن قتادة قال: وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم.

وأما الأتراب: فجمع ترب وهو لذة الإنسان.
قال أبو عبيدة وأبو إسحاق: أقران أسنانهن واحدة.
قال ابن عباس: وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلاد واحد وبنات ثلاث وثلاثين سنة.
وقال مجاهد: أتراب أمثال.
قال إسحاق: هن في غاية الشباب والحسن وسمي سن الإنسان وقرنه تربه، لأنه مس تراب الأرض معه في وقت واحد، والمعنى من الأخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم.
وقد اختلف في مفسر الضمير في قوله: {فِيهِنَّ}.
فقالت طائفة: مفسره الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام.
وقالت طائفة: مفسره الفرش المذكورة في قوله: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَق}([297]).
وفي بمعنى على وقوله تعالى: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ أنس قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}.
قال أبو عبيدة: لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير حبل قط أي ما مسه.
وقال يونس: تقول العرب هذا جمل ما طمثه حبل قط أي ما مسه.
وقال الفراء: الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية والطمث هو الدم، وفيه لغتان طمث يطمث.
قال الليث: طمثت الجارية إذا افترعتها والطامث في لغتهم هي الحائض.
قال أبو الهيثم: يقال للمرأة طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض، وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ما تحيض فهي طامث.
وقال في قول الفرزدق:

خرجن إلى لم يطمثن قبلي ... وهن أصح من بيض النعام

أي: لم يمسسن.
قال المفسرون: لم يطأهن ولم يغشهن يجامعهن هذه ألفاظهم، وهم مختلفون في هؤلاء فبعضهم يقول: هن اللواتي أنشئن في الجنة من حورها.
وبعضهم يقول: يعني نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً كما وصفهن.
قال الشعبي: نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقاً.
وقال مقاتل: لأنهن خلقن في الجنة.
وقال عطاء عن ابن عباس: هن الآدميات اللاتي متن أبكاراً.

[297] _[الرحمن: 54].

وقال الكلبي: لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه أنس ولا جان.

وظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا، وإنما هن من الحور حور العين، وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك.

قال أبو إسحاق: "وفي الآية دليل على أن الجن يغشي كما أن الأنس يغشى ويدل على أنهن الحور اللاتي خلقن في الجنة أنه سبحانه جعلهن مما أعده الله في الجنة لأهلها من الفاكهة والثمار والأنهار والملابس وغيرها، ويدل عليه أيضاً الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: **{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}** ، ثم قال: **{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ أنس قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}**".

قال الإمام أحمد: والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور لأنهن خلقن للبقاء، وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور أن مؤمن الجن في الجنة كما أن كافرهم في النار وبوب عليه البخاري في صحيحه فقال: باب ثواب الجن وعقابهم ونص عليه غير واحد من السلف قال ضمرة بن حبيب: وقد سئل هل للجن ثواب فقال: نعم وقرأ هذه الآية ثم قال: الإنسيات للإنس والجنيات للجن.
وقال مجاهد في هذه الآية: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله -أي: ذكره- فجامع معه والضمير في قوله قبلهم للمعنيين بقوله: متكئين وهم أزواج هؤلاء النسوة.

قال الله سبحانه في كتابه الكريم: **{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}**.

قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان شبههن في صفاء اللون وبياضه وبالياقوت والمرجان.
ويدل عليه ما قاله عبد الله: "إن المرأة من النساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله يقول:**{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}** ؛ ألا وإنّ الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر".

توضيح:
قال تعالى في وصفهن: **{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}**([298]).

المقصورات: المحبوسات.
قال أبو عبيدة: خدرن في الخيام وكذلك قال مقاتل.
وفيه معنى آخر: وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم وهم في الخيام وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم وذكره الفراء.
قال ابن القيم: وهذا معنى قاصرات الطرف، ولكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات.
وقوله في الخيام على هذا القول صفة لحور؛ أي هن في الخيام وليس معمولاً لمقصورات، وكأن أرباب هذا القول فسروا بأن يكن محبوسات في الخيام وليس لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات وذلك أجمل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات، لا يمنعن أن يخرجن في سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها.

---

[298] _[الرحمن: 72].

وأما مجاهد فقال: مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقصورات والوصفان لكلا النوعين فإنهما صفتا كمال فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج، وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور.

وقال تعالى: **{فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ}**([299]) .

فالخيرات: جمع خيرة وهي مخففة من خيره كسيدة ولينة.
وحسان: جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم وحسان الوجوه.
قال وكيع: حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها في كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا ترحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طامحات.

وقال تعالى: **{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً * لأَصْحَابِ الْيَمِينِ}**([300]).

أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر، لأن الفرش دلت عليهن إذ هي محلهن وقيل الفرش في قوله: **{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}**([301]).

كناية عن النساء كما يكنى عنهن بالقوارير والأزر وغيرها، ولكن قوله: مرفوعة يأبى هذا إلا أن يقال المراد رفعة القدر وقد تقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للفرش وارتفاعها فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء لأنها محلهن غالباً.
قال قتادة وسعيد بن جبير: خلقناهن خلقاً جديداً.
وقال ابن عباس: يريد نساء الآدميات.

وقال الكلبي ومقاتل: يعني نساء أهل الدنيا العُجز الشمط يقول تعالى: خلقناهن بعد الكبر والهرم وبعد الخلق الأول في الدنيا.

ويؤيده ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "أنَّ النَبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أَتَتْه عجوزٌ مِن الأنصارِ فقالت: يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ أنْ يُدخِلَني الجنَّةَ فقال نَبيُّ اللهِ: **"إنَّ الجنَّةَ لا يدخُلُها عجوزٌ"** فذهَب نَبيُّ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فصلَّى ثمَّ رجَع إلى عائشةَ فقالت عائشةُ: لقد لقِيَتْ مِن كلِمتِكَ مشقَّةً وشِدَّةً فقال نَبيُّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **"إنَّ ذلكَ كذلكَ إنَّ اللهَ إذا أدخَلَهنَّ الجنَّةَ حوَّلهنَّ أبكاراً"**.
وفي رواية أخرى: **"لا يدخلُ الجنَّةَ عَجوزٌ"([302])**.

وذكر مقاتل قولاً آخر وهو اختيار الزجاج؛ إنهن الحور العين التي ذكرهن.
قيل أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة.
والظاهر أن المراد أنشأهن الله تعالى في الجنة إنشاء ويدل عليه وجوه:
أحدها: أنه قد قال في حق السابقين: **{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ}** إلى قوله: **{كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ}**([303]).

---

[299] _[الرحمن: 70].
[300] _[الواقعة: 35-38].
[301] _[الواقعة: 34].
[302] _[حديث صحيح أخرجه الطبراني وأبو نعيم والترمذي وابن كثير والألباني].
[303] _[الواقعة: 17-23].

فذكر سردهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم والحور العين، ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفراشهم ونساءهم، والظاهر أنهن مثل نساء من قبلهم خلقن في الجنة.

الثاني: أنه سبحانه قال: **{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً}**.

وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان، لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيده بذلك كقوله: **{وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى}**([304]).

وقوله: **{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى}**([305]).

الثالث: إن الخطاب بقوله: **{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً}**([306]) إلى آخره للذكور والإناث والنشأة الثانية عامة أيضاً للنوعين

وقوله: **{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً}** ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء.

وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف، بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات، بل هنّ أحق به منهن فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم.

وقوله: **{عُرُباً}** جمع عروب: وهن المتحببات إلى أزواجهن، قال ابن الأعرابي: العروب من النساء: المطيعة لزوجها، المتحببة إليه.

وقال أبو عبيدة: العروب الحسنة التبعل.

قال ابن القيم: يريد حسن مواقعها وملاطفتها لزوجها عند الجماع.

وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها وأنشد للبيد:

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ... ريا الروادف يعشي دونها البصر

وذكر المفسرون في تفسير العرب أنهن: العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات كل ذلك من ألفاظهم.

وقال البخاري في صحيحه: عرباً مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر وتسميها أهل مكة العربة، وأهل المدينة الغنجة، وأهل العراق الشكلة، والعرب والمتحببات إلى أزواجهن هكذا ذكره في كتاب بدء الخلق.

وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة عرباً مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة.

قال ابن القيم: فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن

وفي قوله: **{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ أنس قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}**([307]).

إعلام بكمال اللذة بهن فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها، وكذلك هي أيضاً.

---

304 _[النجم: 47].
305 _[الواقعة: 62].
306 _[الواقعة: 7].
307 _[الرحمن: 74].

قال تعالى: {**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً**}([308]).

فالكواعب: جمع كاعب وهي الناهد.
قال قتادة ومجاهد والمفسرون وقال الكلبي: هن الفلكات اللواتي تكعب ثديهن وتفلكت.
وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب.

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لَغَدْوَةٌ في سبيلِ اللهِ أوْ روْحَةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولَقابُ قوْسِ أحدِكمْ أوْ موْضِعِ قدَمِه في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولَوِ اطَّلَعَتِ امْرأةٌ من نِساءِ أهْلِ الجنةِ إلى أهْلِ الأرْضِ لَمَلَأَتْ ما بينَهُما رِيحاً، ولَأَضاءَتْ ما بينَهُما، ولَنَصِيفُها على رأْسِها خيرٌ من الدنيا وما فِيها"([309]).**

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ على صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّتي تَلِيهَا علَى أَضْوَإِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ منهمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِما مِن وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَما في الجَنَّةِ أَعْزَبُ؟"([310]).**

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ زَوْجَتَانِ مِنْ حُورِ الْعِينِ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ الثِّيَابِ"([311]).**

عن أم سلمة هند بنت أبي أمية قالت: قلْتُ يا رسولَ اللهِ أخبرْني عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ:
{**وَحُورٌ عِينٌ**} قال: **"حُورٌ بيضٌ عِينٌ ضِخَامُ العيونِ شَفْرُ الحوراءِ بمنزلةِ جَنَاحِ النسورِ"** قلتُ: يا رسولَ اللهِ أخبرني عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: {**كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ**} قال: **"صَفَاؤُهُنَّ صَفَاْءُ الدُّرِّ الَّذِي فِي الْأَصْدَافِ الَّذِي لَمْ تَمَسَّهُ الْأَيْدِي"** قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ أخبرني عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: {**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**} قال: **"خيراتُ الأخلاقِ حِسَانُ الوجوهِ"** قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فأخبرْني عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: {**كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**} قال: **"رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الجِلْدِ الذي رأيتَ في داخلِ البيضةِ مِمَّا يَلِي القِشْرَ وهو الغِرْقِيُّ"** قلتُ: يا رسولَ اللهِ أخبرْني عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: {**عُرُباً أَتْرَاباً**} قال: **"هُنَّ اللَّواتِي قُبِضْنَ في دارِ الدنيا عجائزَ رُمْصًا شُمْطًا خَلَقَهُنَّ اللهُ بعدَ الكِبَرِ فجَعَلَهُنَّ عَذَارَى عُرُبًا مُتَعَشِّقَاتٌ مُتَحَبِّبَاتٌ أَتْرَابًا على ميلادٍ واحدٍ"** قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ أنِسَاءُ الدنيا أفضلُ أمِ الحورُ العينُ قال: **"بلْ نساءُ الدنيا أفضلُ منَ الحورِ العينِ كفضلِ الظهارَةِ على البطانَةِ"** قلْتُ: يا رسولَ اللهِ وبما ذاكَ قال: **"بصلاتِهِنَّ وصيامِهِنَّ وعبادتِهِنَّ اللهَ أَلْبَسُ اللهُ وُجُوهَهُنَّ النورَ وأجسادَهُنَّ الحريرَ بيضُ الألوانِ خُضْرُ الثيابِ صفْرُ الحُلِيِّ مَجَامِرُهُنَّ الدرُّ وأمْشَاطُهُنَّ الذهبَ يقلْنَ ألَا ونحنُ الخالداتُ فلا نموتُ أبدًا ألَا ونحنُ الناعماتُ فلا نَبْؤُسُ أبدًا ألَا ونحنُ المُقِيمَاتُ فلا نَظْعَنُ أبدًا ألَا ونحنُ الرَّاضِياتُ فَلَا نَسْخَطُ أبَدَا طُوبَى لِمَنْ كُنَّ له وكان لنا"** قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ المرأةُ منا تَتَزَوَّجُ الزوجينِ والثلاثةَ والأربعةَ ثم تموتُ فتدخلُ الجنةَ ويدخلونَ معها من يكونُ زوجَها قال: **"يا أم سلمةَ إنها تُخَيَّرُ فتختارُ أحسنَهم خُلُقًا فتقولُ يا ربِّ إنَّ هذا كانَ أحسَنَهُم خُلُقًا في دارِ الدنيا فزَوِّجْنِيهِ يا أمَّ سلَمَةَ ذهبَ حسْنُ الخلُقِ بخيرِ الدنيا والآخرةِ"([312]).**

روى أبو يعلى الموصلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فذكر حديث الصور وفيه فأقول: **"يَا رَبِّ، وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ فَشَفِّعْنِي فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ**

308 _[النبإ: 31-33].
309 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم مختصراً، وأحمد والترمذي مطولاً وابن ماجه والألباني].
310 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن حبان وابن ماجه والترمذي والسيوطي والألباني].
311 _[حديث صحيح أخرجه أحمد].
312 _[حديث قال بعضهم فيه: ضعيف وبعضهم قال: منكر؛ أخرجه الهيثمي وابن القيم].

عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ شَفَّعْتُكَ وَأَذِنْتُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ". فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَزْوَاجِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، فَيَدْخُلُ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةٍ فِيمَا يُنْشِئُ وثنتين وسبعين مِنْ وَلَدِ آدَمَ لَهُمَا فَضْلٌ عَلَى مَا أنشأ الله بعبادتهم اللَّهَ فِي الدُّنْيَا فَيُدْخِلُ اللَّهُ الْأُولَى مِنْهُنَّ فِي غُرْفَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِاللُّؤْلُؤِ عَلَيْهِ تِسْعُونَ زَوْجًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَإِنَّهُ لَيَضَعُ يَدَهُ بينَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى يَدِهِ فِي صَدْرِهَا مِنْ وَرَاءِ ثِيَابِهَا وَجِلْدِهَا وَلَحْمِهَا، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى مُخِّ سَاقِهَا كَمَا يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى السِّلْكِ فِي قَصَبَةِ الْيَاقُوتِ، كَبِدُهُ لَهَا مِرْآةٌ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهَا لَا يَمَلُّهَا وَلَا تَمَلُّهُ لَا يَأْتِيهَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَجَدَهَا عَذْرَاءَ مَا يفتر ذكره ولا تشتكي قبلها، فبينا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نُودِيَ: قَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ لاتمل وَلَا تُمَلُّ إِنَّهُ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةً إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَزْوَاجٌ غَيْرَهَا، فَيَخْرُجُ فَيَأْتِيهِنَّ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا جَاءَ وَاحِدَةً قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا فِي الْجَنَّةِ شَيْء أَحْسَنَ مِنْكَ وَمَا فِي الْجَنَّةِ شَيْء أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ"([313]).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إنَّ أدنى أهلِ الجنَّةِ منزلةً الَّذي له ثمانونَ ألفَ خادمٍ واثنانِ وسبعونَ زوجًا ويُنصَبُ له قبَّةٌ مِن لؤلؤٍ وزبرجدٍ وياقوتٍ كما بَيْنَ الجَابِيَةِ إلى صنعاءَ"([314]).**

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: **{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}**

قال: **"ينظُرُ إلى وجهِه في خدِّها أصفَى من المرآةِ، وإنَّ أدنَى لؤلؤةٍ عليها لتُضيءُ ما بين المشرقِ والمغربِ وإنَّه ليكونُ عليها سبعون حُلَّةً ينفُذُها بصرُه حتَّى يرَى مُخَّ ساقِها من وراءِ ذلك"([315]).**

المرجان: جنْس حَيَوانات بَحْريّة ثَوابت مِن طائفة المَرْجانيّات، تُفْرز هَيْكلًا كِلْسيًّا مُتشعّبًا أحمر، وقليلًا ما يكُون وَرْديًّا أو أبيض، وهو يُعَدّ من الحِجَارة الكريمة ويُستَعْمل حُلِيًّا.

و عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ما من عبدٍ يدخلُ الجنةَ إلا ويزوّجَ اثنتينِ وسبعينَ زوجةً اثنتانِ من الحور العينِ وسبعونَ من أهلِ ميراثهِ من أهلِ الدنيا ليسَ منهنّ امرأةٌ إلا ولها قبلٌ شَهِيّ وله ذكَرٌ لا ينْثنِي"([316]).**

و روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل نصل إلى نسائنا في الجنة فقال: **"إنَّ الرَّجلَ ليصلُ في اليومِ إلى مائةِ عذراءَ"([317]).**

وعن ابن عباس قال: قيلَ: يا رسولَ اللَّهِ أنُفضي إلى نِسائِنا في الجنَّةِ كما نُفضي إليهنَّ في الدُّنيا ؟ قالَ: **"والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ إنَّ الرَّجلَ ليُفضي في الغداةِ الواحدةِ إلى مائةِ عذراءَ"([318]).**

والأحاديث الصحيحة إنما فيها إن لكل منهم زوجتين من بني آدم وليس في الصحيح زيادة على ذلك، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان.

---

313 _[حديث ضعيف مشهور، بعض ألفاظه فيها نكارة، ولكن أغلبها ثابتة صحيحة بأسانيد أخرى متفرقة وإنما الضعف في المتن بهذا الشكل؛ أخرجه أبو يعلى والبيهقي والمنذري والسيوطي وابن كثير وابن جرير والطبراني وابن القيم، وهذا قطعة من حديث الصور المشهور والذي تفرد به إسماعيل بن رافع وقد روى له الترمذي وابن ماجة وضعفه احمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره: متروك الحديث وقال ابن عدي: عامة أحاديثه فيها نظر وقال الترمذي: ضعفه بعض أهل العلم وسمعت محمدا يعني البخاري يقول: هو ثقة مقارب الحديث.

وقال ابن القيم: قال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد وما تضمنه معروف في الأحاديث والله أعلم].

314 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان والسيوطي والترمذي وأحمد].

315 _[حديث حسن أخرجه المنذري وأحمد وأبو يعلى والحاكم باختلاف يسير].

316 _[حديث ضعيف أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم وابن القيم وابن عدي باختلاف يسير].

317 _[حديث صحيح أخرجه الطبراني والبزار والخطيب وأبو نعيم والألباني].

318 _[حديث صحيح أخرجه السيوطي والخطيب البغدادي وأبو يعلى والبيهقي وأبو نعيم].

وإما أن يراد أنه يعطي قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له: كذا وكذا زوجة.

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يُعْطَى المؤمنُ في الجنَّةِ قوَّةَ كذا وَكذا في الجِماعِ"** قيلَ: يا رسولَ اللَّهِ أوَ يُطيقُ ذلِكَ قالَ: **"يُعْطَى قوَّةَ مائةٍ"([319]).**

فلعل من رواه يفضي إلى مائة عذراء رواه بالمعنى، أو يكون تفاوتهم في عدد النساء من بني الإنسان ومن الحور الحسان بحسب تفاوتهم في الدرجات والله أعلم.

ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين ما بين نساء الدنيا ونساء الجنة لما في الصحيح من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إنَّ لِلْمُؤْمِنِ في الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِن لُؤْلُؤَةٍ واحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُها سِتُّونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فيها أهْلُونَ، يَطُوفُ عليهِم المُؤْمِنُ فلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً"([320]).**

بقي معنا من الشعر أبيات:

أتراب سن واحد متماثل	**سن الشباب لأجمل الشبان**
بكر فلم يأخذ بكارتها سوى	**المحبوب من إنس ولا من جان**
وكذا رواه أبو هريرة أنها	**تنصاغ بكرا للجماع الثاني**
أقدامها من فضة قد ركبت	**من فوقها ساقان ملتفان**
والساق مثل العاج ملموم يرى	**مخ العظام وراءه بعيان**
والريح مسك الجسوم نواعم	**واللون كالياقوت والمرجان**
وكلاهما يسبي العقول بنغمة	**زادت على الأوتار والعيدان**
وهي العروب بشكلها وبدرها	**وتحبب للزوج كل أوان**
وهي التي عند الجماع تزيد في	**حركاتها للعين والأذنان**
لطفا وحسن تبعل وتغنج	**وتحبب تفسير ذي العرفان**
تلك الحلاوة والملاحة أوجبا	**إطلاق هذا اللفظ وضع لسان**
فملاحة التصوير قبل غناجها	**هي أول وهي المحل الثاني**
فإذا هما اجتمعا لصب وأمَقّ	**بلغت به اللذات كل مكان**

319 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد والدارمي وابن القيم والطيالسي والبيهقي والألباني].
320 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والمنذري والألباني].

المادة التي خلقت منها الحور العين ومعرفتهن اليوم بأزواجهن

فأما المادة التي خلقت منها الحور العين فقد روى البيهقي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"الحورُ العينُ خُلِقنَ منَ الزَّعفرانِ"([321])**.

و روى الطبراني عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"خُلِق الحورُ العينِ من الزعفرانِ"([322])**.

وقال أبو سلمى عن ابن عبد الرحمن **"إِنْ لِوَلِيِّ اللهِ فِي الجَنَّةِ عَرُوساً لَمْ يَلِدْهَا آَدَمُ وَلَّا حَوَّاءُ وَلَكِن خُلِقَتْ مِنْ زَعْفَرَان"([323])**.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: **"مَا مِنْ غُدْوَةٍ مِنْ غُدُوَاتِ الْجَنَّةِ قِيلَ: وَلِلْجَنَّةِ غُدُوَاتٌ؟ قَالَ: نَعَمْ إِلَّا يُزَفُّ إِلَى وَلِيِّ اللَّهِ فِيهَا عَرُوسٌ لَمْ يَلِدْهَا آدَمُ وَلَا حَوَّاءُ، إِنَّمَا هِيَ إِنْشَاءٌ خُلِقَتْ مِنْ زَعْفَرَانٍ"([324])**.

و روى أبو نعيم عن أنس يرفعه: **"لَوْ أَنَّ حَوْرَاءَ بَصَقَتْ فِي سَبْعَةِ أَبْحُرٍ لَعَذُبَتِ الْبِحَارُ مِنْ عُذُوبَةِ رِيقِهَا، وَيُخْلَقُ الْحَوْرَاءُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ"([325])**.

وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصور، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي في الجنة.

وقد روى أبو نعيم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"سَطَعَ نُورٌ فِي الْجَنَّةِ فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا هُوَ مِنْ ثَغْرِ حَوْرَاءَ ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا"([326])**.

روى نعمة بن الوليد عن كثير بن مرة قال: "إِنَّ مِنَ الْمَزِيدِ أَنْ تَمُرَّ السَّحَابَةُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، فَتَقُولُ: مَا تُرِيدُونَ أَنْ أُمْطِرَكُمْ؟ فَلا يَتَمَنَّوْنَ شَيْئًا إِلا أُمْطِرُوا" ، قَالَ خَالِدٌ: يقُولُ كَثِيرٌ: "لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللَّهُ ذَلِكَ لأَقُولَنَّ لَهَا أَمْطِرِينَا جَوَارِيَ مُزَيَّنَاتٍ"(**[327])**.

وقد روى في مادة خلقهن صفة أخرى فقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال: **"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهَراً يُقَالُ لَهُ الْبَيْدَخُ عَلَيْهِ قِبَابُ الْيَاقُوتِ تَحْتَهُ جَوَارٍ نَابِتَاتٌ، يَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى الْبَيْدَخِ فَيَجِيئُونَ فَيَتَصَفَّحُونَ تِلْكَ الْجَوَارِيَ، فَإِذَا أَعْجَبَتْ رَجُلاً مِنْهُمْ جَارِيَةٌ مَسَّ مِعْصَمَهَا فَتَبِعَتْهُ وَنَبَتَ مَكَانَهَا أُخْرَى"([328])**.

وورد أيضاً بمتن آخر وسنده صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **"إنَّ في الجنَّةِ نهراً يُقالُ لهُ: البَيدَخُ علَيهِ قِبابٌ مِن ياقوتٍ تحتَهُ جَوارٍ يقولُ أهلُ الجنَّةِ: انطلِقوا بنا إلى البَيدَجِ فيجيبونَ فيتصفحونَ تلكَ الجواري فإذا أعجبَ رجلٌ منهُم جاريةٌ جسَّ مِعصمَها فتتبعُهُ وتثبُت مكانَها أُخرَى"([329])**.

---

[321] _[حديث ضعيف أخرجه البيهقي والخطيب البغدادي والثعلبي والألباني].
[322] _[حديث ضعيف أخرجه الطبراني وأبو نعيم وابن أبي حاتم وابن المقرئ وابن الأعرابي والألباني وابن القيم وقال: وهو أشبه بالصواب].
[323] _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا وابن القيم وقال: هذا مروي عن صاحبين وهما ابن عباس وأنس وعن تابعيين وهما أبو سلمى ومجاهد].
[324] _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم].
[325] _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم وابن أبي حاتم].
[326] _[حديث ضعيف جداً، أخرجه أبو نعيم والخطيب البغدادي وابن عدي].
[327] _[حديث ضعيف مقطوع أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن القيم في حادي الأرواح والسيوطي في البدور السافرة].
[328] _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم].
[329] _[حديث صحيح أخرجه السيوطي وابن أبي الدنيا وأبو نعيم].

وقال الليث بن سعد عن الوليد بن عبدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: **"يَا جِبْرِيلُ قِفْ بِي عَلَى الْحُورِ الْعِينِ"** فَأَوْقَفَهُ عَلَيْهِنَّ فَقَالَ: **"مَنْ أَنْتُنَّ؟"** قُلْنَ: نَحْنُ جَوَارِي قَوْمٍ حَلُّوا فَلَمْ يَظْعَنُوا، وَشَبُّوا فَلَمْ يَهْرَمُوا، وَنُقُّوا فَلَمْ يَدْرَنُوا"([330]).

و روى ابن المبارك عن ابن عباس قال كنا جلوساً مع كعب يوماً فقال: "لو أن يدا من الحور دليت من السماء لأضاءت لنا الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا" ثم قال: إنما قلت يدها فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله".

وقد ورد أن غيرة الحور العين عظيمة كبيرة، تصل للدعاء على زوجات أزواجهن في الدنيا، فعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تُؤْذِي امرأةٌ زَوْجَها في الدنيا، إلَّا قالتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ: لا تُؤْذِيهِ قاتَلَكِ اللهِ، فإنَّما هو عندَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أنْ يُفَارِقَكِ إلَيْنا"**([331]).

وفي مراسيل عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إنَّ الحورَ العِينَ لأكثرُ عددًا منكنَّ، يدعون لأزواجِهنَّ يقُلْنَ: اللهمَّ أَعِنْه على دِينك بعزَّتِك، وأقبِلْ بقلبِه على طاعتِك، وبلِّغْه إلينا بقُرْبِك، يا أرحمَ الراحمينَ"**([332]).

وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ حَوْرَاءَ يُقَالُ لَهَا: اللُّعْبَةُ، كُلُّ حُورِ الْجِنَانِ يُعْجَبْنَ بِهَا يَضْرِبْنَ بِأَيْدِيهِنَّ عَلَى كَتِفِهَا وَيَقُلْنَ: طُوبَى لَكِ يَا لُعْبةُ لَوْ يَعْلَمُ الطَّالِبُونَ لَكِ لَجَدُّوا، بَيْنَ عَيْنَيْهَا مَكْتُوبٌ: مَنْ كَانَ يَبْتَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلِي فَلْيَعْمَلْ بِرِضَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ"**([333]).

وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار: يا أبا يحيى شوّقنا قال: "إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب لها على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها، فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك".

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثني جعفر بن محمد قال: لقي حكيم حكيماً فقال: "أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال: لا فقال: فاشتق إليهن فإن نور وجههن من نور الله عز وجل، فغشي عليه فحمل إلى منزله نعوده شهراً".

وقال ربيعة بن كلثوم: نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: "يا معشر الشباب أما تشتاقون إلى الحور العين".

وقال ابن أبي الحوارى :حدثني الحضرمي قال: "نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت انظر إليه يتقلب على فرشه إلى الصباح فقلت: يا أبا حمزة ما رقدت الليلة فقال: إني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها وقد مس جلدي، فحدثت به أبا سليمان فقال: هذا رجل كان مشتاقاً".

وقال ابن أبي الحوارى سمعت أبا سليمان يقول: "ينشأ خلق الحور العين إنشاءً، فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام".

وذكر ابن أبي الدنيا عن صالح المري عن زيد الرقاشي قال: "بلغني أن نوراً سطع في الجنة موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه فقيل: ما هذا قال: حوراء ضحكت في وجه زوجها قال صالح: فشهق رجل من ناحية المجلس فلم يزل يشهق حتى مات".

---

330 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا وابن كثير وابن القيم].
331 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي والمنذري وابن حجر والمباركفوري والأرناؤوط وأبو نعيم وابن ماجه باختلاف يسير والألباني].
332 _[حديث ضعيف أخرجه المنذري وابن أبي الدنيا وابن القيم].
333 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا وابن القيم].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: **"لو أنَّ حوراءَ أخرَجتْ كفَّها بين السَّماءِ والأرضِ لافتُتِن الخلائقُ بحُسنِها، ولو أخرَجتْ نَصيفَها لكانت الشَّمسُ عند حُسنِها مثلَ الفَتيلةِ في الشَّمسِ، لا ضوءَ لها، ولو أخرَجتْ وجهَها لأضاء حُسنُها ما بين السَّماءِ والأرضِ"([334]).**

عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"سَطَعَ نورٌ فِى الْجَنَّةِ، فَقُلْت: مَا هَذَا؟ فَإِذَا هُوَ مِنْ ثَغْر حَوْرَاءَ ضَحِكَتْ فِى وَجْه زَوْجِهَا"([335]).**

و روى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: "إذا سبّحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة في الجنة إلا وردت".

وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: "أن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طال ما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن والخالدات فلا نموت بأحسن أصوات سمعت وتقول: أنت حبي وأنا حبك ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل".

334 _[حديث ضعيف أخرجه المنذري والدمياطي وابن كثير وابن القيم].
335 _[حديث ضعيف جداً، أخرجه الخطيب البغدادي والحاكم وأبو نعيم والسيوطي وابن القيم].

نكاح أهل الجنة مع الحور العين

عن لقيط بن عامر أنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَى مَا نَطَّلِعُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: **"عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ، مَا بِهَا مِنْ صُدَاعٍ وَلاَ نَدَامَةٍ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَبِفَاكِهَةٍ، لَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تَعْلَمُونَ، وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ، وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ"** ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ لَنَا فِيهَا أَزْوَاجٌ، أَوْ مِنْهُنَّ مُصْلِحَاتٌ؟ قَالَ: **"الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ، تَلَذُّونَهُنَّ مِثْلَ لَذَّاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَلْذَذْنَ بِكُمْ، غَيْرَ أَنْ لاَ تَوَالُدَ"([336]).**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قيل له: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَطَأُ في الجنَّةِ ؟ قال: **"نَعم والَّذي نفسي بيدِه دَحْماً دَحْماً فإذا قام عنها رجَعَتْ مُطهَّرةً بِكْراً"([337]).**

و روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إنَّ أَهْلَ الجنَّةِ إذا جامَعوا نساءَهُم عَادوا أبكاراً"([338]).**

وفي رواية أخرى: **"عُدنَا أبكاراً".**

و روى الطبراني أيضاً عن أبا أمامة أنه قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يتناكحُ أهلُ الجنةِ قال: **"نعم بذَكَرٍ لا يملُّ وشهوةٍ لا تنقطعُ دَحْماً دَحْماً"([339]).**

الدحم: النكاح والوطء بدفع وإزعاج، وانتصابه بفعل مضمر.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سُئِلَ: هل يُجامِعُ أَهْلُ الجنَّةِ؟ قال: **"نعمْ، دَحْمًا دَحْمًا، ولكنْ لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّةَ"([340]).**

الدَّحْمُ: الدَّفْعُ الشَّدِيدُ، وهو النِّكَاحُ، ودَحَمَ المرأَة يَدْحَمُها دَحْماً: نَكَحَهَا.
وقال الأزهري: "أَي يَدْحَمون دَحْماً، وَهُوَ شِدَّةُ الجِمَاع "([341]).

وهذا يدل على شدة الشهوة، مع كمال اللذة، وهذا من تمام النعيم.
قوله: لا مني ولا منية؛ أي لا إنزال ولا موت.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سُئِل رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هل يمَسُّ أهلُ الجنةِ أزواجَهم قال: **"نعم بذَكَرٍ لا يَمَلُّ وفرجٌ لا يحْفى وشهوةٌ لا تنقطِعُ"([342]).**

لا يحفى: أي لا يسترخي ولا يمسك ولا يتعب، ويريد الوطء والنكاح والجماع، لأن المرأة في الدنيا تشتكي إذا كثر الوطء في حقها، وأما في الجنة فذكر لا يمل وفرج لا يسترخي ولا يمسك ولا يتعب بل يطلب المزيد وشهوة لا تنقطع، بل بشهوة تستمتع بلذتها وتسري في جسدك سبعين عاماً.

---

336 _[حديث صحيح أخرجه الحاكم وأحمد وعبد الله بن أحمد وأبو داود والمزي].
337 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان وابن القيم والأرناؤوط وأبو نعيم والضياء المقدسي والهيثمي].
338 _[حديث ضعيف أخرجه أبو نعيم والهيثمي والبزار والطبراني والخطيب البغدادي والضياء المقدسي والألباني].
339 _[حديث ضعيف أخرجه الطبراني والهيثمي والسيوطي].
340 _[حديث ضعيف أخرجه البوصيري وابن عساكر والهيثمي والسيوطي].
341 _[الأزهري في "التهذيب" (4/ 251)].
342 _[حديث صحيح أخرجه الألباني وابن أبي الدنيا والبزار والعقيلي باختلاف يسير].

وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة في قوله تعالى: "{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} قال: في افتضاض الأبكار".

و روى عبد الله بن احمد عن عبد الله بن مسعود في قوله: "{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} قال: شغلهم إفتضاض العذارى".
و روى الحاكم عن الأوزاعي في قوله تعالى: "{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} قال: شغلهم إفتضاض الأبكار".

قال مقاتل: شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم.
وقال أبو الأحوص: شغلوا بافتضاض الأبكار عن السرر في الحجال.
وقال سليمان التيمي عن أبي مجلز: "قلت لابن عباس عن قول الله تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} ما شغلهم، قال: إفتضاض الأبكار".
و روى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس:" {فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} قال: في إفتضاض العذارى".
روى إسحاق ابن إبراهيم عن سعيد بن جبير "أن شهوته لتجري في جسده سبعين عاماً يجد اللذة، ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة، بل وطئهم وطء التلذذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه".

وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"لا تَشْرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ والدِّيبَاجَ، فإنَّهَا لهمْ في الدُّنْيَا ولَكُمْ في الآخِرَةِ"**([343]).

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حرمها هناك كما نعى سبحانه وتعالى على من أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها.
ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف، وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال: "ما هذا" قال: لحم اشتريته لأهلي بدرهم فقال: "أو كلما اشتهى أحدكم شيئا اشتراه أما سمعت الله تعالى يقول: {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا}".

و عن الحسن البصري قال: قدِم على عمرَ وفدٌ من أهلِ البصرةِ مع أبي موسَى، قال: فكنَّا ندخلُ عليه وله كلَّ يومٍ خبزٌ مأْدومٌ بسمنٍ، وربَّما كان بزيْتٍ، وأحيانًا باللَّبنِ، وربَّما وافقنا القدائدَ اليابسةَ قد دُقَّت، ثمَّ أُغلِيَت بالماءِ، وربَّما وافقنا اللَّحمَ الغريضَ وهو قليلٌ، فقال لنا يوماً: إنِّي واللهِ قد أرَى تقذيرَكم وكراهيتَكم طعامي، وإنِّي واللهِ لو شئتُ لكُنتُ أطيبَكم طعاماً وأرقَّكم عيشاً، أما واللهِ ما أجهلُ عن كَراكِرَ وأسنمةٍ وعن صِلاءٍ وصِنابٍ وعن صَلائفَ ولكني سمِعتُ اللهَ عيَّر قوماً فقال: **{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا}"([344]).**

---

343 _[حديث صحيح أخرجه البخاري وابن حبان والبوصيري وأبي داود والترمذي والأرناؤوط].
344 _[أثر ضعيف أخرجه ابن كثير وقال: فيه انقطاع].

فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاها هنا حرمها هناك أو نقص كمالها فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبداً، والله أعلم.

الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

حديث معاذ بن جبل في ذلك وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: **"لا تُؤْذِيهِ، قاتَلَكِ اللهُ، فإِنَّما هُوَ عندَكِ دخيلٌ؛ يوشِكُ أنْ يفارِقَكِ إلينَا"([345]).**

وحديث عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الحور العين: **"اللَّهمَّ أعنهُ على دينِكَ، وأقبِل بقلبِه على طاعتِكَ، وبلِّغهُ إلينا بعزَّتِك، يا أرحَمَ الرَّاحمينَ"([346]).**

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قال: "كان شاباً بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان إن نزلوا فهو يصلي وإن أكلوا فهو صائم فصبر عليه رفيقه ذاهبا وجائيا، فلما أراد إن يفارقه قال له: يا أخي أخبرني ما الذي هيجك إلى ما رأيت قال: رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فلما تم البناء إذا شرافة من زبر جدة وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها عليها ثوب من فضة ينثني عليها معها كلما تثنت، فقالت: جد إلى الله في طلبي فقد والله جددت إليه في طلبك فهذا الذي تراه في طلبها".
قال أبو سليمان: هذا في طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها.

345 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد وأبو نعيم والذهبي وابن حجر و المباركفوري والألباني].
346 _[حديث ضعيف أخرجه المنذري وابن كثير والألباني].

غناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى: **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}**([347]).

روى محمد بن جرير عن عامر بن نساف قال: "سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عز وجل: **{فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}** قال: الحبرة اللذة والسماع".

و روى عبد الله بن محمد الفريابي عن يحيى بن أبي كثير في قوله: "**{يُحْبَرُونَ}** ، قال: السماع في الجنة".

ولا يخالف هذا قول ابن عباس: "يكرمون".

وقال مجاهد وقتادة: "ينعمون فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم".

وروى أبو نعيم في صفة الجنة من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إنَّ في الجنَّةِ شجَرةً جُذوعُها مِنْ ذَهَبٍ، وفروعُها مِنْ زَبَرْجَدٍ ولُؤْلُؤٍ، فتَهُبُّ لها ريحٌ فتَصْطَفِقُ، فما سمعَ السامِعونَ بصَوْتِ شَيْءٍ قَطُّ أَلَذَّ منه"**[348].

و عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ الْحُورَ فِي الْجَنَّةِ يُغَنِّينَ يَقُلْنَ: نَحْنُ الْحُورُ الْحِسَانْ، هُدِينَا لِأَزْوَاجٍ كِرَامْ"([349]).**

روى جعفر الفريابي عن أبي أمامة عن رسول الله قال: **"ما من عبدٍ يدخُلُ الجنَّةَ إلَّا ويجلِسُ عند رأسِه وعند رِجلَيْه اثنتان من الحورِ العينِ يُغنِّيانه بأحسنِ صوتٍ سمِعه الإنسُ والجنُّ وليس بمزمارِ الشَّيطانِ ولكن بتحميدِ اللهِ وتقديسِه"([350]).**

وقال ابن وهب: حدثني سعيد ابن أبي أيوب قال: وقال رجل من قريش لابن شهاب: هل في الجنة سماع فإنه حبب إلي السماع فقال: "إي والذي نفس ابن شهاب بيده إن في الجنة لشجرا حمله اللؤلؤ والزبرجد تحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت يتغنين بألوان فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا فأجبن الحواري فلا ندري أصوات الحواري أحسن أم أصوات الشجر".

قال ابن وهب: وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد: "أن الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن: نحن الخيرات الحسان أزواج شباب كرام، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نطعن، في صدر إحداهن مكتوب: أنت حبي وأنا حبك انتهت نفسي عندك لم ترَ عيناني مثلك".

وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير: "أن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن: طالما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط والمقيمات فلا نظعن والخالدات فلا نموت بأحسن أصوات وتقول: أنت حبي وأنا حبك ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل".

فتأمل -يا ولي الله- ما أنت فيه من النعيم العظيم العميم، من سماع صوتها الذي لا مثيل له في الوجود، و لا نظير له في الخلود، فما أروع صوتها، و ما أجمل طربها.

---

347 _[الروم: 14-15].
348 _[حديث ضعيف جداً أخرجه أبو نعيم والمنذري والألباني].
349 _[حديث صحيح لغيره أخرجه الطبراني والهيثمي والسيوطي وابن أبي الدنيا].
350 _[حديث حسن أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي وابن كثير].

فأنت تستمع لغناء الحور العين عند باب الجنة، فهن: **"يَتَلَقَّيْنَ أَزْوَاجَهُنَّ عِنْدَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُلْنَ طَالَمَا انْتَظَرْنَاكُمْ فَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ وَالْمُقِيماتُ فَلَا نَظْعَنُ، وَالْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ، بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سُمِعَتْ. وَتَقُولُ: أَنْتَ حِبِّي وَأَنَا حِبُّكَ لَيْسَ دُونَكَ قَصْدٌ وَلَا وَرَاءَكَ مَعْدًى"(351).**

فإذا ما دخلتَ قصرك، استمعتَ إلى غناء الحور العين، ففي الجنة مجتمع للحور العين، يرفعن بأصوات لم تَسمع الخلائق بمثلها، فعن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمُجْتَمَعاً لِلْحُورِ الْعِينِ يَرْفَعْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ تَسْمَعِ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا يَقُلْنَ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ طُوبَى لِمَنْ كانَ لنا وَكُنَّا لَهُ"(352).**

وتَستمتع بلذة السماع عند الأنهار وأنتَ تأكل وتشرب، ففي الجنة نهر طوله طول الجنة، حافتاه العذارى، قيام متقابلات، يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **"إنَّ في الجنَّةِ نهراً طولَ الجنَّةِ حافَّتاه العَذارَى قيامٌ مُتقابِلاتٌ يُغنِّين بأحسنِ أصواتٍ يسمَعُها الخلائقُ حتَّى ما يرَوْن أنَّ في الجنَّةِ لذَّةً مثلَها"**، قلنا: يا أبا هريرةَ وما ذاك الغناءُ؟ قال: **"إن شاء اللهُ التَّسبيحُ والتَّحميدُ والتَّقديسُ وثناءٌ على الرَّبِّ عزَّ وجلَّ"(353).**

ولزوجاتك -يا عبد الله- لقاء أسبوعي للطرب والسماع، فيجتمعن في كل سبعة أيام، فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلهن، فعن عبدالله بن أبي أوفى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"يُزوَّجُ كلُّ رجلٍ من أهلِ الجنَّةِ أربعةَ آلافِ بِكرٍ وثمانيةَ آلافِ أيِّمٍ ومائةَ حوراءَ فيجتمعن في كلِّ سبعةِ أيَّامٍ فيقلن بأصواتٍ حِسانٍ لم يَسمعِ الخلائقُ بمثلِهنَّ: نحن الخالداتُ فلا نَبيدُ، ونحن النَّاعماتُ فلا نبأَسُ، ونحن الرَّاضياتُ فلا نسخَطُ، ونحن المُقيماتُ فلا نَظعَنُ، طوبَى لمن كان لنا وكنَّا له"(354).**

ولنا في الجنة لقاءات عند بعض الأشجار، تحتها الجواري الحسان، يغنين بأصوات متعددة، وألحان متنوعة.
منها أن في الجنة شجر حمله اللؤلؤ والزبرجد، وتحته جوار ناهدات، يتغنين بألوان، يقلن: "نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت" ؛ ففي الحديث: **"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَراً حِمْلُهُ اللُّؤْلُؤُ وَالزَّبَرْجَدُ تَحْتَهُ جَوَارٍ نَاهِدَاتٌ يَتَغَنَّيْنَ بِالْقُرْآنِ يَقُلْنَ: نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ، وَنَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ الشَّجَرُ صَفَّقَ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَأَجَبْنَ الْجَوَارِيَ، فَلَا يُدْرَى أَصْوَاتُ الْجَوَارِي أَحْسَنُ أَمْ أَصْوَاتُ الشَّجَرِ"(355)** .

يا الله**!!** ويمتد أثر صوت الحوراء الجميل إلى أشجار الجنة، حتى إن الأشجار لَتُزهر وتُورِد من تسبيح الحوراء، بل إذا سبَّحتِ المرأة من الحور العين لم يبق في الجنة شجرة إلا وردّت.

وفي الجنة شجرة، ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ، فيبعث الله ريحاً فتُصفِّق، فتُسمَع لها أصوات لم يُسمَع ألذ منها، ففي الحديث: **"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً ثَمَرُهَا زَبَرْجَدٌ وَيَاقُوتٌ وَلُؤْلُؤٌ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا فَتُصَفِّقُ، فَيُسْمَعُ لَهَا أَصْوَاتٌ لَمْ يُسْمَعْ أَلَذُّ مِنْهَا"(356).**

وفيها آجام من قصب من ذهب، حملها اللؤلؤ، ففي الحديث: **"فِي الْجَنَّةِ آجَاماً مِنْ قَصَبٍ مِنْ ذَهَبٍ حَمْلُهَا اللُّؤْلُؤُ، فَإِذَا اشْتَهَى أَهْلُ الْجَنَّةِ أَنْ يَسْمَعُوا صَوْتًا حَسَنًا، بَعَثَ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ الْآجَامِ رِيحاً، فَتَأْتِيهِمْ بِكُلِّ صَوْتٍ يَشْتَهُونَه"(357).**

---

351 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا].
352 _[حديث ضعيف أخرجه الترمذي وعبد الله بن أحمد وابن العربي والمنذري والدمياطي والمناوي والألباني].
353 _[حديث صحيح موقوف أخرجه البيهقي المنذري والمباركفوري والألباني].
354 _[حديث ضعيف أخرجه المنذري والعراقي والبيهقي والمتقي الهندي].
355 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا].
356 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا].
357 _[حديث ضعيف أخرجه ابن كثير وابن القيم وابن أبي الدنيا].

الآجام: الشجر الملتف.

ولنا سماع أعلى من هذا، يضمحل دونه كل سماع، وذلك حين نسمع كلام الرب جل جلاله، وخطابه وسلامه علينا، ومحاضرته لنا؛ يقرأ علينا كلامه، فإذا سمعناه منه فكأننا لم نسمعه من قبل، تلذ به آذاننا، وتقر به أعيننا، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تبارك تعالى، وسماع كلامه منه، ولا نعطى في الجنة شيئاً أحب إلينا من ذلك، حيث ندخل كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله، فيقرأ علينا القرآن، وقد جلس كل امرئ منا مجلسه الذي هو له، على منابر الدر، والياقوت والزبرجد، والذهب والزمرد، فلم تقر أعيننا بشيء أجمل منه، ولم نسمع شيئا قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ننصرف إلى رحالنا ناعمين، قريرة أعيننا إلى مثلها من الغد.

معاني بعض الكلمات:

الدر: لآلئ عِظام.

الياقوت: حَجَر من الأحجار الكريمة، وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ويتركّب من أكسيد الألمنيوم، ولونه في الغالب شفّاف مُشرب بالحُمرة أو الزُّرقة أو الصُّفرة، ويُستعمل للزِّينة.

الزمرد: حَجَر كريم هو صَوّانات الألُومينيُوم والغُلُوسينيُوم. أَخْضَر اللَّون، شفّاف. أنواعُه عديدة، أَشدّها خُضْرة أجودُها وأَصْفاها جوهرًا.

الزبرجد: حجر كريم يُشبه الزُّمُرُّد متعدِّد الألوان منها الأخضر والأصفر.

بقي معنا من الشعر أبيات:

يا لذة الأسماع لا تتعوضي ... بلذاذة الأوتار والعيدان
أو ما سمعت سماعهم فيها ... غناء الحور بالأصوات والألحان
واها لذيّاك السماع فإنه ... ملئت به الأذنان بالإحسان
واها لذيّاك السماع وطيبه ... من مثل أقمار على أغصان
واها لذيّاك السماع فكم به ... للقلب من طرب ومن أشجان
واها لذيّاك السماع ولم أقل ... ذيّاك تصغيرا له بلسان
ما ظن سامعه بصوت أطيب ... الأصوات من حور الجنان حسان
نحن النواعم والخوالد خيرات ... كاملات الحسن والإحسان
لسنا نموت ولا نخاف وما لنا ... سخط ولا ضغن من الأضغان
طوبى لمن كنا له وكذاك ... طوبى للذي هو حظنا لفظان
نزه سماعك إن أردت سماع ... ذيـاك الغناء عن هذه الألحان
لا تؤثر الأدنى على الأعلى ... فتحرم ذا وذا يا ذلة الحرمان

لهم سماع أفضل من الحور العين

قال ابن أبي الدنيا حدثني دهثم بن الفضل القرشي حدثنا الأوزاعي قال: "بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل، فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع فما يبقى ملك في السماوات إلا قطع عليه صلاته فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، فيقول الله عز وجل: "وعزتي وجلالي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري".

وعن محمد بن المنكدر قال: "إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس الله ومزامير الشيطان اسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة: اسمعوهم تمجيدي وتحميدي".

و روى ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار في قوله عز وجل: "**{وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ}** قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ثم نودي: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى: **{فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ}**."

وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البناني وحجاج الأسود عن شهر بن حوشب قال: "إن الله جل ثناؤه يقول للملائكة: إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي، فأسمعوا عبادي فيأخذوا بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط".

و روى عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب الزهد لأبيه عن مالك بن دينار: "في قوله عز وجل: **{وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ}** قال: يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش فيقول: "يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم فيقول: إلهي كيف أمجدك وقد سلبتنيه في دار الدنيا، قال فيقول الله عز وجل: فإني أرده عليك قال: فيرده عليه فيزداد صوته قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة".

و روى ابن أبي الدنيا عن عبيدة بن أبي لبابة قال: "إن في الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ فيبعث الله ريحا فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع ألذ منها".

روى أبو بكر بن يزيد وإبراهيم بن سعيد عن ابن عباس قال: "في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا".

و روى إبراهيم بن سعيد عن سعيد بن سعيد الحارثي قال: "حُدّثتُ أن في الجنة آجاماً من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ فإذا اشتهى أهل الجنة يسمعوا صوتاً حسناً بعث الله على تلك الآجام ريحاً فتأتيهم بكل صوت يشتهونه".

توضيح:
ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ويقرأ عليهم كلامه، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك وسيمر بك من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئاً أحب إليهم من ذلك.

وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة قال: "إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد، فلم تقر أعينهم بشيء ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد".

للرجال في الجنة الحور العين ... فماذا للنساء؟

عندما ذكر الله المغريات الموجودة في الجنة من أنواع المأكولات والمناظر الجميلة والمساكن والملابس، فإنه يعمّم ذلك للإثنين الذكر والأنثى، والجميع يستمتع بما سبق، ويتبقّى: أن الله قد أغرى الرجال وشوقهم للجنة بذكر ما فيها من الحور العين و النساء الجميلات، ولم يرد مثل هذا للنساء؛ فقد تتساءل المرأة عن سبب هذا **!؟**.

والجواب أن يقال:

١_ أن الله: **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}**(358).

2_ أن من طبيعة النساء الحياء كما هو معلوم، ولهذا فإن الله عز وجل لا يشوّقهن للجنة بما يستحين منه.

٣_ أن شوق المرأة للرجال ليس كشوق الرجال للمرأة كما هو معلوم، ولهذا فإن الله شوّق الرجال بذكر نساء الجنة مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **"ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أضَرَّ علَى الرِّجالِ مِنَ النِّساءِ"(359).**

وأما المرأة فشوقها إلى الزينة من اللباس والحلي يفوق شوقها إلى الرجال، لأنه ممّا جبلت عليه كما قال تعالى: **{أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ}**(360).

4_ إنما ذكر الله عز وجل الزوجات للأزواج، لأن الزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة، فلذلك ذكرت الزوجات للرجال في الجنة وسكت عن الأزواج للنساء، ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج؛ بل لهن أزواج من بني آدم.

والمرأة لا تخرج عن هذه الحالات في الدنيا فهي:

1- إما أن تموت قبل أن تتزوج.

2- إما أن تموت بعد طلاقها قبل أن تتزوج من آخر.

3- إما أن تكون متزوجة ولكن لا يدخل زوجها معها الجنة، والعياذ بالله.

4- إما أن تموت بعد زواجها.

5- إما أن يموت زوجها وتبقى بعده بلا زوج حتى تموت.

6- إما أن يموت زوجها فتتزوج بعده غيره.

فهذه حالات المرأة في الدنيا ولكل حالة ما يقابلها في الجنة:

فأما المرأة التي ماتت قبل أن تتزوج، فهذه يزوجها الله عزوجل في الجنة من رجل من أهل الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام: **"مَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ"(361).**

1- وإذا لم تتزوج المرأة في الدنيا فإن الله تعالى يزوّجها ما تقر بها عينها في الجنة، والنعيم في الجنة ليس مقصوراً على الذكور، وإنما هو للذكور والإناث ومن جملة النعيم: الزواج.

2- ومثلها المرأة التي ماتت وهي مطلقة.

٣- ومثلها المرأة التي لم يدخل زوجها الجنة.

والمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج أو كان زوجها ليس من أهل الجنة فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال؛ فيتزوجها أحدهم.

4- وأما المرأة التي ماتت بعد زواجها فهي في الجنة لزوجها الذي ماتت عنه.

---

358 _[الأنبياء: 23].

359 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن حبان وأبو نعيم وابن عساكر والزرقاني والأرناؤوط والألباني].

360 _[الزخرف: 18].

361 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد والدارمي والمنذري].

5- وأما المرأة التي مات عنها زوجها فبقيت بعده لم تتزوج حتى ماتت، فهي زوجة له في الجنة.
6- وأما المرأة التي مات عنها زوجها فتزوجت بعده فإنها تكون لآخر أزواجها مهما كثروا، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **"المرأةُ لآخِرِ أزْواجِها"([362])** .

ولقول حُذَيْفةُ لامرأتِهِ: "إنْ أردْتِ أنْ تكوني زَوْجَتي في الجَنَّةِ، فلا تَزَوَّجي بَعْدي، فإنَّ المرأةَ لآخِرِ أزواجِها"([363]).
ولذا حرّم الله على أزواج النبي أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة.

إشكال:
قد يقول قائل: إنه قد ورد في الدعاء للجنازة أننا نقول: **"وزَوجاً خَيراً مِن زَوجِهِ"([364]).**

فإذا كانت متزوجة، فكيف ندعوا لها بهذا ونحن نعلم أن زوجها في الدنيا هو زوجها في الجنة، وإذا كانت لم تتزوج فأين زوجها؟.

والجواب أن يقال:
إن كانت غير متزوجة فالمراد خيراً من زوجها المقدر لها لو بقيت.
وأما إذا كانت متزوجة فالمراد بكونه خيراً من زوجها أي خيراً منه في صفات الدنيا، لأن التبديل يكون بتبديل الأعيان كما لو بعت شاة ببعير مثلاً ويكون بتبديل الأوصاف كما لو قلت لك: بدّل الله كفر هذا الرجل بإيمان، وكما في قوله تعالى: **{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}**([365]).
والأرض هي الأرض ولكنها مدت والسماء هي السماء لكنها انشقت.
وقد ورد في الحديث الصحيح قوله للنساء: **"فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ"([366]).**

وفي حديث آخر قال : **"إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الجَنَّةِ النِّسَاءُ"([367]).**

و ورد في حديث آخر صحيح **"لِكُلِّ امْرِئٍ منهمْ زَوْجَتَانِ"([368]).**

أي: من نساء الدنيا.
فاختلف العلماء لأجل هذا في التوفيق بين الأحاديث السابقة هل النساء أكثر في الجنة أم في النار؟.
فقال بعضهم: بأن النساء يكن أكثر أهل الجنة وكذلك أكثر أهل النار لكثرتهن.
قال القاضي عياض: "النساء أكثر ولد آدم".
وقال بعضهم: بأن النساء أكثر أهل النار للأحاديث السابقة، وأنهن أيضا أكثر أهل الجنة إذا جمعن مع الحور العين فيكون الجميع أكثر من الرجال في الجنة.
وقال آخرون: بل هن أكثر أهل النار في بداية الأمر ثم يكن أكثر أهل الجنة بعد أن يخرجن من النار؛ أي المسلمات.
قال القرطبي تعليقاً على قوله : **"رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ"** ؛ يحتمل أن يكون هذا في وقت كون النساء في النار، وأما بعد خروجهن في الشفاعة ورحمة الله تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال: لا إله إلا الله فالنساء في الجنة أكثر.

---

362 _[حديث صحيح أخرجه أبو يعلى والبوصيري والطبراني مطولاً، والكلاباذي والأرناؤوط والألباني].
363 _[حديث حسن أخرجه شعيب الأرناؤوط].
364 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي والألباني].
365 _[ابراهيم: 48].
366 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه وابن حبان والألباني].
367 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان وأبو نعيم والأرناؤوط والألباني].
368 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والبزار وابن حبان والطبراني].

والحاصل:
أن تحرص المرأة أن لا تكون من أهل النار، فإذا دخلت المرأة الجنة فإن الله يعيد إليها شبابها وبكارتها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **"إنَّ الجنَّةَ لا يدخلُها عجوزٌ...بل يُنشِئُها اللهُ خلقاً آخرَ فتدخلُها شابَّةً بكراً"([369])**.
و قد رد في بعض الآثار الضعيفة أن نساء الدنيا يكن في الجنة أجمل من الحور العين بأضعاف كثيرة نظراً لعبادتهن الله.
قال ابن القيم: "إن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها".
أي: في الجنة.

بعد أن تبيّنت لكم المسائل بخصوص نساء الدنيا، فهذه الجنة قد تزينت لكنَّ معشر النساء كما تزينت للرجال: **{فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ}**([370]).

فالله الله أن تضعن الفرصة فإن العمر عما قليل يرتحل ولا يبقى بعده إلا الخلود الدائم، فليكن خلودكن في الجنة، واعلمن أن الجنة مهرها الإيمان والعمل الصالح وليس الأماني الباطلة مع التفريط، وتذكرن قوله عليه الصلاة والسلام: **"إذا صلَّتِ المرأةُ خَمْسَها، و صامَت شهرَها، و حصَّنَتْ فرجَها، وأطاعَت زوجَها، قيلَ لها: ادخُلي الجنَّةَ مِن أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شِئتِ"([371])**.

369 _[حديث صحيح، أخرجه الألباني].
370 _[القمر: 55].
371 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان والطبراني والبزار والمنذري والأرناؤوط والدمياطي والألباني].

هل في الجنة حمل وولادة أم لا؟

روى الترمذي في جامعه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي"([372]).**

وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم: في الجنة جماع ولا يكون ولد؛ هكذا روى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي.
وقال البخاري: قال اسحاق بن إبراهيم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **"إِذَا اشْتَهَى الْمُؤْمِنُ الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَشْتَهِي وَلَكِنْ لَا يَشْتَهِي"([373]).**

وعن أبي ذر بن العقيلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا وَلَدٌ"([374]).**

وقد روى أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيولد لأهل الجنة فإن الولد من تمام السرور فقال: **"إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ يَتَمَنَّى الوَلَدُ فَيَكُونُ حَمْلَهُ وَرِضَاعَهُ وفطامهُ وَشَبَابُهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةَ"([375]).**

عن لقيط بن عامر أنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَى مَا نَطَّلِعُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: **"عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ، مَا بِهَا مِنْ صُدَاعٍ وَلاَ نَدَامَةٍ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَبِفَاكِهَةٍ، لَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تَعْلَمُونَ، وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ، وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ"** ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ لَنَا فِيهَا أَزْوَاجٌ، أَوْ مِنْهُنَّ مُصْلِحَاتٌ؟ قَالَ: **"الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ، تَلَذُّونَهُنَّ مِثْلَ لَذَّاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَلْذَذْنَ بِكُمْ، غَيْرَ أَنْ لاَ تَوَالُدَ"([376]).**

وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه :
أحدها: حديث ابن رزين.

الثاني: قوله تعالى: **{وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ}**([377]) .
وهن اللاتي طهرن من الحيض والنفاس والأذى.
قال سفيان: أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد.
وقال أبو معاوية: حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال: من الولد والحيض والغائط والبول.

الثالث: قوله: **"لا مَنِيَّ ولا مَنِيَّةَ"([378]).**

---

[372] _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان وابن ماجه والدارمي والترمذي وأحمد والأرناؤوط والسيوطي والألباني].
[373] _[حديث صحيح أخرجه البخاري والترمذي].
[374] _[حديث صحيح أخرجه الترمذي والمباركفوري والألباني في ظلال الجنة (528)].
[375] _[حديث ضعيف أخرجه الأصبهاني والسيوطي وأبو نعيم والبيهقي وابن القيم].
[376] _[حديث صحيح أخرجه الحاكم وأحمد وعبد الله بن أحمد وأبو داود والمزي، وهذا جزء من حديث كبير مشهور ولا يعرف إلا من حديث أبي القاسم عن عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدني ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزبيري المدني عنه وهما من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما في الحديث احتج بهما الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وروى عنهما في مواضع من كتابه رواه أئمة الحديث في كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام احمد وأبو بكر احمد بن عمرو بن أبي العاصم وأبو القاسم الطبراني وأبو الشيخ الحافظ وأبو عبد الله بن منده والحافظ وأبو بكر احمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الأصفهاني وغيرهم على سبيل القبول والتسليم؛ قال الحافظ أبو عبد الله بن منده: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني وعبد الله بن احمد بن حنبل وغيرهما وقراؤه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتكلم في إسناده وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول وقال أبو الخير بن حمدان: هذا حديث كبير ثابت مشهور؛ و سُئل أبا الحجاج المري عنه فقال: عليه جلالة النبوة وقال نفاة الإيلاد: فهذا حديث صريح في انتفاء الولادة وقوله: "إذا اشتهى" معلق بالشرط ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به وإذا وان كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره قالوا].
[377] _[البقرة: 25].
[378] _[حديث ضعيف أخرجه الهيثمي وابن عساكر والمنذري والذهبي وابن ماجه والطبراني وابن عدي وابن كثير والبوصيري والسيوطي].

والولد إنما يخلق من ماء الرجل فإذا لم يكن هناك مني ولا مذي ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد.

الرابع: أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"لَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ"**([379]).

فضل: أي فراغ وأماكن شاسعة واسعة كثيرة في الجنة.
ولو كان في جنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق بهم من غيرهم.

الخامس: أن الله سبحانه جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني، فلو كانت النساء يحبلن في الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال.

السادس: أن الله سبحانه وتعالى قدر التناسل في الدنيا لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرناً بعد قرن، وجعل لهم أمداً ينتهون إليه، فلولا التناسل لبطل النوع الإنساني ولهذا الملائكة لا تتناسل فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن؛ فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه وتعالى الناس كلهم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنساني إذ هو منشأ للبقاء والدوام فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار.

السابع: أنه سبحانه وتعالى قال: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ}**([380]).
فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم بهم في الدنيا، ولو كان ينشأ لهم في الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا في الدنيا، لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل الدنيا.

الثامن: أنه أما أن يقال: باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ثم تنقطع، وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى واستلزام الثاني انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال ولا يمكن أن يقال: بتناسل بموت معه نسل ويخلفه نسل إذ لا موت هناك.

التاسع: أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم؛ بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون، فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلاً، ومعلوم إن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو يوضحه.

الوجه العاشر: إن الله سبحانه وتعالى ينشئ أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون، ويلهمون التسبيح ولا يهرمون على تطاول الأحقاب ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذي جعلوا عليه لازم لهم أبدا والله اعلم، فهذا ما في المسالة فأما قول بعضهم: إن القدرة صالحة والكل ممكن.

وقول آخرين: إن الجنة دار المكلفين التي يستحقونها بالعمل وأمثال هذه المباحث فرخيصة.

---

379 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن جرير وابن خزيمة والألباني والأرناؤوط].
380 _[الطور: 21].

حكايات ممن رأوا الحور العين

الأصابع الخمس

قال بعض المرابطين بثغر الإسكندرية: قدم علينا رجل من المغرب، ورابط معنا بالثغر، وكان يخالطنا غير أنه لا يظهر لنا يده أبداً، ولا يزال حريصاً على إخفائها، وربما أظهر لنا رءوس أصابعه فقط، وكنا نؤاكله ونشاربه، فوقع في قلوبنا شيء من أمره، وظننا به عاهة، فما زلنا نتوقع رؤيتها إلى أن كان في بعض الأيام، انكشفت لنا يده، فرأينا في ساعده بياضاً مثل أثر الأصابع الخمس، فظنناه برصاً**!!**.

فلما جاء وقت الأكل تأخرنا عن الأكل معه، فقال لنا صاحب له: ما لكم تأخرتم؟ فذكرنا له سر ما رأينا من البياض في ساعده، فقال: إنه ليس ببرص**!!** وإذا خلوتم به فسلوه عن قصته، وحرجّوا عليه بالله ألا يكتمكم حديثه؛ فإن له من أمره عجباً**!!**.

قال الراوي: فلما خلونا به، ورأينا منه ساعة صفاء، قال أحدنا له: نسألك بالله أن تذكر لنا خبرك، وسر هذا البياض الذي لم تزل جاهداً في إخفائه عنا.

فلما سمع ذلك، تغيّر حاله، ولم يتمالك عبرته وبكى بكاء شديداً، ثم تحامل على نفسه، وقال: لقد سألتموني بعظيم فاسمعوا مني: إن بلدي في المغرب قريب من بلاد الفرنج، وكنا نخرج إليهم فنغير عليهم ويغيرون علينا، فخرجنا مرة عشرين رجلاً قاصدين بلاد العدو لنصيب منهم، وكان من عادتنا أن نسافر بالليل ونكمن بالنهار، فلما توسطنا الطريق بين بلادنا وبلادهم، وطلع علينا النهار، أوينا إلى غار في جبل لنكمن فيه، فلما أردنا الدخول سمعنا فيه حساً، وإذا بعلج قد خرج من داخله، فلما رآنا رجع، وإذا برفقائه قد خرجوا معه، وهم مائة رجل من الكافرين، شغلهم شغلنا، قد خرجوا من بلادهم يريدون الغارة على بلادنا، وقد أدركهم النهار فأووا إلى ذلك الغار، فلما وقعت العين في العين لم يبق إلا القتال.. فقاتلناهم قتالاً شديدًا.. وصبرنا وأصبنا منهم.. ثم شدّوا علينا شدة رجل واحد.. حتى لم يبق من العشرين غيري، وتكاثرت علي الجراح فوقعت لوجهي بين القتلى.

ثم انصرفوا عنا، وقد ظنوا أنه لم يبق منا أحد، وبينما أنا كذلك، إذا بنسوة قد نزلن من السماء، لم أرَ مثل حسنهن قط، فكانت كل واحدة منهن تنزل إلى واحد من أصحابي، وتأخذه بيده، وتقول: هذا نصيبي، وتمسك بيده فكأنما ينهض معها، وهكذا، إلى أن جاءتني واحدة منهن، وقال: هذا نصيبي.. وأخذت بيدي، فحين أحست بيدي روحاً، أفلتتني من يدها مغضبة وقالت: أإلى الساعة؟**!** ثم ذهبت وتركتني**!!**.

قال الراوي: ثم كشف لنا عن ساعده فإذا أثر قبضتها وأصابعها الخمس على ساعده، أشد بياضاً من اللبن**!!**([381]).

حياتي منك في روح الوصال	وصبري عنك من ضرب المحالِ
وكيف الصبر عنك وأي صبر؟**!**	لعطشان عن الماء الزلال
إذا لعب الرجال بكل شيء	رأيت الحب يلعب بالرجال

381 _[من كتاب مع الحور ليحيى آل شلوان].

زوج المرضية

عن رجل من الصالحين اسمه أبو قدامة الشامي، وكان رجلاً قد حبب إليه الجهاد والغزو في سبيل الله، فلا يسمع بغزوة في سبيل الله ولا بقتال بين المسلمين والكفار، إلا وسارع وقاتل مع المسلمين فيه، فجلس مرة في الحرم المدني فسأله سائل فقال: يا أبا قدامة أنت رجل قد حبب إليك الجهاد والغزو في سبيل الله فحدثنا بأعجب ما رأيت من أمر الجهاد والغزو، فقال أبو قدامة: إني محدثكم عن ذلك.

خرجت مرة مع أصحاب لي لقتال الصليبيين على بعض الثغور -هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها- فمررت في طريقي بمدينة الرقة -مدينةٍ في سوريا على نهر الفرات- واشتريت منها جملاً أحمل عليه سلاحي، ووعظت الناس في مساجدها وحثثتهم على الجهاد والإنفاق في سبيل الله، فلما جن علي الليل اكتريت منزلاً أبيت فيه، فلما ذهب بعض الليل فإذا بالباب يطرق عليّ، فلما فتحت الباب فإذا بامرأة متحصنة قد تلفعت بجلبابها فقلت: ما تريدين؟.

قالت: أنت أبو قدامة؟.
قلت: نعم.
قالت: أنت الذي جمعت المال اليوم للثغور؟.
قلت: نعم، فدفعت إليّ رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية، فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها: إنك دعوتنا إلى الجهاد ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما فيَّ وهما ضفيرتاي وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي.

قال أبو قدامة: فعجبت والله من حرصها وبذلها، وشدة شوقها إلى المغفرة والجنة، فلما أصبحنا خرجت أنا وأصحابي من الرقة، فلما بلغنا حصن مسلمة بن عبد الملك فإذا بفارس يصيح وراءنا وينادي يقول: يا أبا قدامة يا أبا قدامة، قف عليَّ يرحمك الله، قال أبو قدامة: فقلت لأصحابي: تقدموا عني وأنا أنظر خبر هذا الفارس، فلما رجعت إليه، بدأني بالكلام وقال: الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائباً.

فقلت له: ما تريد.
قال أريد الخروج معكم للقتال.
فقلت له: أسفر عن وجهك أنظر إليك فإن كنت كبيراً يلزمك القتال قبلتك، وإن كنت صغيراً لا يلزمك الجهاد رددتك.
فقال: فكشف اللثام عن وجهه فإذا بوجه مثل القمر وإذا هو غلام عمره سبع عشرة سنة.

فقلت له: يا بني؟ أعندك والد؟.
قال: أبي قد قتله الصليبيون وأنا خارج أقاتل الذين قتلوا أبي.
قلت: أعندك والدة؟.
قال: نعم.
قلت: ارجع إلى أمك فأحسن صحبتها فإن الجنة تحت قدمها.
فقال: أما تعرف أمي؟.
قلت: لا.
قال: أمي هي صاحبة الوديعة.
قلت: أي وديعة؟.
قال: هي صاحبة الشكال.

قلت: أي شكال؟.
قال: سبحان الله ما أسرع ما نسيت !! أما تذكر المرأة التي أتتك البارحة وأعطتك الكيس والشكال؟؟.
قلت: بلى.

قال: هي أمي، أمرتني أن أخرج إلى الجهاد، وأقسمت عليَّ أن لا أرجع، وإنها قالت لي: يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر، وهَب نفسك لله واطلب مجاورة الله، ومساكنة أبيك وأخوالك في الجنة، فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فيَّ، ثم ضمتني إلى صدرها، ورفعت بصرها إلى السماء، وقالت: إلهي وسيدي ومولاي، هذا ولدي، وريحانةُ قلبي، وثمرةُ فؤادي، سلّمته إليك فقربه من أبيه وأخواله.

ثم قال: سألتك بالله ألا تحرمني الغزو معك في سبيل الله، أنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد، فإني حافظ لكتاب الله، عارف بالفروسية والرمي، فلا تحقِرَنِّي لصغر سني.
قال أبو قدامة: فلما سمعت ذلك منه أخذته معنا، فوالله ما رأينا أنشط منه، إن ركبنا فهو أسرعنا، وإن نزلنا فهو أنشطنا، وهو في كل أحواله لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى أبداً.

فنزلنا منزلاً وكنا صائمين، وأردنا أن نصنع فطورنا، فأقسم الغلام أن لا يصنع الفطور إلا هو، فأبينا وأبى، فذهب يصنع الفطور، وأبطأ علينا، فإذا أحد أصحابي يقول لي يا أبا قدامة اذهب وانظر ما أمر صاحبك، فلما ذهبت فإذا الغلام قد أشعل النار بالحطب ووضع من فوقها القدر، ثم غلبه التعب والنوم ووضع رأسه على حجر ثم نام.

فكرهت أن أوقظه من منامه، وكرهت أن أرجع الى أصحابي خالي اليدين، فقمت بصنع الفطور بنفسي وكان الغلام على مرأى مني، فبينما هو نائم لاحظته بدأ يتبسم، ثم اشتدّ تبسّمه فتعجبت ثم بدأ يضحك ثم اشتد ضحكه ثم استيقظ، فلما رآني فزع الغلام وقال: يا عمي أبطأت عليكم دعني أصنع الطعام عنك، أنا خادمكم في الجهاد.

فقال أبو قدامة: لا والله لست بصانع لنا شيء حتى تخبرني ما رأيت في منامك وجعلك تضحك وتتبسم.
فقال: يا عمي هذه رؤيا رأيتها.
فقلت: أقسمت عليك أن تخبرني بها.
فقال: دعها بيني وبين الله تعالى.
فقلت: أقسمت عليك أن تخبرني بها.

قال: رأيت يا عم في منامي أني دخلت إلى الجنة فهي بحسنها وجمالها كما أخبر الله في كتابه، فبينما أنا أمشي فيها وأنا بعجب شديد من حسنها وجمالها، إذ رأيت قصراً يتلألأ أنواراً، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وإذا شُرفاته من الدرّ والياقوت والجوهر، وأبوابه من ذهب، وإذا ستور مرخية على شرفاته، وإذا بجواري يرفعن الستور، وجوههن كالأقمار، فلما رأيت حسنهن أخذت أنظر إليهن وأتعجب من حسنهن، فإذا بجارية كأحسن ما أنت رائي من الجواري، وإذ بها تشير إلي وتحدّث صاحبتها وتقول هذا زوج المرضية هذا زوج المرضية، فقلت لها: أنتِ المرضية؟؟.

فقالت: أنا خادمة من خدم المرضية، هل تريد المرضية؟؟ ادخل إلى القصر، تقدم يرحمك الله فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنه الشمس، لولا أن الله ثبت علي بصري لذهب وذهب عقلي من حسن الغرفة وبهاء الجارية.

فلما رأتني الجارية قالت: مرحباً بولي الله وحبيبه، أنا لك وأنت لي، فلما سمعت كلامها اقتربت منها وكدت أن أضع يدي عليها قالت: يا خليلي يا حبيبي أبعد الله عنك الخناء، قد بقي لك في الحياة شيء وموعدنا معك غداً بعد صلاة الظهر، فتبسّمت من ذلك وفرحت منه يا عم.
فقلت له: رأيت خيراً إن شاء الله.

ثم إننا أكلنا فطورنا ومضينا الى أصحابنا المرابطين في الثغور ثم حضر عدونا، وصف الجيوش قائدنا، وبينما أنا أتأمل في الناس، فإذا كل منهم يجمع حوله أقاربه وإخوانه إلا الغلام، فبحثت عنه ووجدته في مقدمة الصفوف، فذهبت إليه وقلت: يا بني هل أنت خبير بأمور الجهاد؟.
قال لا يا عم هذه والله أول معركة لي مع الكفار.

فقلت يا بني إن الأمر خلاف على ما في بالك، إن الأمر قتال ودماء، فيا بني كن في آخر الجيش فإن انتصرنا فأنت معنا من المنتصرين وإن هُزمنا لم تكن أول القتلى.

فقال متعجباً: أنت تقول لي ذلك؟.
قلت: نعم أنا أقول ذلك.
قال: يا عم أتود أن أكون من أهل النار؟.
قلت أعوذ بالله، لا والله .. والله ما جئنا إلى الجهاد إلا خوفاً منها.

فقال الغلام: فإن الله تعالى يقول: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}**([382]).
هل تريدني أوليهم الأدبار فأكون من أهل النار؟.

فعجبت والله من حرصه وتمسكه بالآيات فقلت له يا بني إن الآية مخرجها على غير كلامك، فأبى يرجع فأخذت بيده أُرجعه إلى آخر الصفوف وأخذ يسحب يده عني فبدأت الحرب وحالت بيني وبينه.

فجالت الأبطال، ورُميت النبال، وجُرّدت السيوف، وتكسرت الجماجم، وتطايرت الأيدي والأرجل، واشتد علينا القتال حتى اشتغل كلٌ بنفسه، وقال: كل خليل كنت آمله، لا ألهينك إني عنك مشغول.

حتى دخل وقت صلاة الظهر فهزم الله جل وعلا الصليبيين، فلما انتصرنا جمعت أصحابي وصلينا الظهر وبعد ذلك ذهب كل منا يبحث عن أهله وأصحابه إلا الغلام فليس هنالك من يسأل عنه، فذهبت أبحث عنه، فبينما أنا أتفقده وإذا بصوت يقول: أيها الناس ابعثوا إلي عمي أبا قُدامة ابعثوا إلي عمي أبا قدامة.

فالتفت إلى مصدر الصوت فإذا الجسد جسد الغلام، وإذا الرماح قد تسابقت إليه، والخيلُ قد وطئت عليه، فمزقت اللحمان، وأدمت اللسان وفرقت الأعضاء، وكسرت العظام، وإذا هو يتيم مُلقى في الصحراء.
قال أبو قدامة: فأقبلت إليه، وانطرحت بين يديه، وصرخت: ها أنا أبو قدامة، ها أنا أبو قدامة.

فقال: الحمد لله الذي أحياني إلى أن أوصي إليك، فاسمع وصيتي.

---

[382] _[الأنفال: 15-16].

قال أبو قدامة: فبكيت والله على محاسنه وجماله، ورحمةً بأمه التي فجعت عام أول بأبيه وأخواله وتفجع الآن به، أخذت طرف ثوبي أمسح الدم عن وجهه.
فقال: تمسح الدم عن وجهي بثوبك !! بل امسح الدم بثوبي لا بثوبك، فثوبي أحق بالوسخ من ثوبك.
قال أبو قدامة: فبكيت والله ولم أحر جواباً.

فقال: يا عم، أقسمت عليك إذا أنا مت أن ترجع إلى الرقة، ثم تبشر أمي بأن الله قد تقبل هديتها إليه، وأن ولدها قد قُتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبر، وأن الله إن كتبني في الشهداء فإني سأوصل سلامها إلى أبي وأخوالي في الجنة، ثم قال: يا عم إني أخاف ألا تصدق أمي كلامك فخذ معك بعض ثيابي التي فيها الدم، فإن أمي إذا رأتها صدقت أني مقتول، وقل لها إن الموعد الجنة إن شاء الله.

يا عم: إنك إذا أتيت إلى بيتنا ستجد أختاً لي صغيرة عمرها تسع سنوات، ما دخلتُ المنزل إلا استبشرتْ وفرحتْ، ولا خرجتُ إلا بكتْ وحزنتْ، وقد فجعت بمقتل أبي عام أول وتفجع بمقتلي اليوم، وإنها قالت لي عندما رأت علي ثياب السفر: يا أخي لا تبطّئ علينا وعجل الرجوع إلينا، فإذا رأيتها فطيّب صدرها بكلمات، وقل لها يقول لك أخوكِ: الله خليفتي عليكِ.

ثم تحامل الغلام على نفسه وقال: يا عمّ صدقت الرؤيا ورب الكعبة، والله إني لأرى المرضية الآن عند رأسي وأشم ريحها، ثم انتفض وتصبب العرق وشهق شهقات، ثم مات رحمه الله.

قال أبو قدامة: فأخذت بعض ثيابه فلما دفناه، لم يكن عندي همٌ، أعظم من أن أرجعَ إلى الرقة وأبلغَ رسالته لأمه.
فرجعت إلى الرقة وأنا لا أدري ما اسم أمه وأين تسكن، فبينما أنا أمشي وقفت عند منزل تقف على بابه فتاة صغيرة ما يمر أحد من عند بابهم وعليه أثر السفر إلا سألته يا عمي من أين أتيت فيقول من الجهاد فتقول له معكم أخي؟.

فيقول ما أدري مَن أخوك ويمضي وتكرر ذلك مراراً مع المارة ويتكرر معها نفس الرد، فبكت أخيراً وقالت: مالي أرى الناس يرجعون وأخي لا يرجع.

فلما رأيت حالها أقبلت عليها، فرأت علي أثر السفر فقالت: يا عم من أين أتيت، قلت من الجهاد فقالت: معكم أخي فقلت: أين هي أمك؟.

قالت: في الداخل ودخلت تناديها، فلما أتت الأم وسمعت صوتي عرفتني وقالت: يا أبا قدامة أقبلت معزياً أم مبشراً؟.
فقلت: كيف أكون معزياً ومبشراً؟.

فقالت: إن كنت أقبلت تخبرني أن ولدي قُتل في سبيل الله مقبل غير مدبر، فأنت تبشرني بأن الله قد قبل هديتي التي أعدتها من سبعة عشر عاماً، وإن كنت قد أقبلت كي تخبرني أن ابني رجع سالماً معه الغنيمة فإنك تعزيني لأن الله لم يقبل هديتي إليه.

فقلت لها: بل أنا والله مبشر، إن ولدك قد قتل مقبل غير مدبر.
فقالت ما أظنك صادقاً وهي تنظر إلى الكيس ثم فتحت الكيس وإذا بالدماء تغطي الملابس فقلت لها أليست هذه ثيابه التي ألبستيه إياها بيدك؟.

فقالت: الله أكبر وفرحت، أما الصغيرة شهقت ثم وقعت على الأرض ففزعت أمها ودخلت تحضر لها ماء تسكبها على وجهها، أما أنا فجلست أقرأ القرآن عند رأسها و والله مازالت تشهق وتنادي باسم أبيها وأخيها، وما غادرتها إلا ميتة.
فأخذتها أمها وأدخلتها وأغلقت الباب وسمعتُها تقول: اللهم إني قد قدمت زوجي وإخواني وولدي في سبيلك اللهم أسألك أن ترضى عني وتجمعني وإياهم في جنتك([383]).

قدمت هذه المرأة الصالحة كل ذلك في سبيل أن تدخل الدار التي اشتد شوقها إليها، وقدّم ولدُها نفسَه رخيصةً لله، وتناسى لذاتِه وشبابه، فليت شعري ماذا قدم للجنة المفرطون أمثالُنا **؟!**.

رحم الله فتى هـذب الدين شبابه ومضى يزجي إلى العلياء في عزم ركابه
مخبتــاً لله صــير الزاد كتابه وارداً من منهل الهادي ومن نبع الصحابة
إن طلبت الجود منه فهو دوماً كالسحابة أو نشدت العزم فيه فهو ضرغام بغابة
جاذبته النفس للشر فلم يبد استجابة متــقٍ لله تعلــو من يلاقيه المهابة
رقّ منه القلب لكن زاد في الدين صلابة بلسم للأرض يمحو عن محياها الكآبة
ثابت الخُطى فلم تُطف الأعاصير شهابه جــرّبته صولة الدهر فألفت ذا نجابة
إن يقم يوماً خطيباً يُسمعُ الصمَّ خطابَه أو يسر في الدرب يوماً أبصر الأعمى جنابه

[383] _[هذه القصة أوردها ابنُ القيم في صفة الصفوة وابنُ النحاس في مشارع الأشواق].

قبل المهر وزفت العروس

قال أبو جعفر أحمد بن جعفر بن اللبان: روي أنه كان بالبصرة نساء عابدات، وكانت منهن أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغر من ثغور المسلمين، فانتدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس خطيباً فحضهم على الجهاد، وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة في مجلسه، وتمادى عبد الواحد على كلامه، ثم وصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهن، وأنشد في صفة حوراء:

غادة ذات دلال ومرح ... يجد الناعت فيها ما اقترح
خلقت من كل شيء حسن ... طيب فيا ليت فيها مطرح
زانها الله بوجه جمعت ... فيه أوصاف غريبات الملح
وبعين كحلها من غنجها ... وبخد مسكه فيه رشح
ناعم تجري على صفحته ... نضرة الملك ولألاء الفرح
أترى خاطبها يسمعها ... إذ تدير الكأس طورا والقدح
في رياض رونق نرجسه ... كلما هب له الريح نفح
وهي تدعوه بود صادق ... ملىء القلب به حتى طفح
يا حبيبا لست أهوى غيره ... بالخواتيم يتم المفتتح
لا تكونن كمن جد إلى ... منتهى حاجته ثم جمح
لا فما يخطب مثلي من سها ... إنما يخطب مثلي من ألح

قال: فماج الناس بعضهم في بعض، واضطرب المجلس فوثبت أم ابراهيم من وسط الناس وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد ألست تعرف ولدي إبراهيم، ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم، وأنا أضن به عليهم، فقد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عِرساً لولدي، فكرر ما ذكرت من حسنها وجمالها، فأخذ عبد الواحد في وصف حوراء أخرى، ثم أنشد:

تولد نور النور من نور وجهها ... فمازج طيب الطيب من خالص العطر
فلو وطئت بالنعل منها على الحصى ... لأعشبت الأقطار من غير ما قطر
ولو شئت عقد الخصر منها عقدته ... كغصن من الريحان ذي ورق خضر
ولو تفلت في البحر شهد رُضَابِها ... لطاب لأهل البر شرب من البحر
يكاد اختلاس اللحظ يجرج خدها ... بجارج وهم القلب من خارج السر

فاضطرب الناس أكثر فوثبت أم إبراهيم، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد! قد والله أعجبتني هذه الجارية، وأَنا أرضاها عرسا لولدي فهل لك أن تزوجه منها وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار، ويخرج معك في هذه الغزوة، فلعل الله يرزقه الشهادة، فيكون شفيعاً لي ولأبيه في القيامة؟ فقال لها عبد الواحد: لئن فعلت لتفوزن أنت وولدك، وأبو ولدك فوزاً عظيماً، ثم نادت ولدها: يا إبراهيم ! فوثب من وسط الناس، وقال لها: لبيك يا أماه.
قالت: أي بني أرضيت بهذه الجارية زوجة ببذل مهجتك في سبيله وترك العود في الذنوب؟.
فقال الفتى: إي والله يا أماه رضيت أي رضى، فقالت: اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك، وترك العود في الذنوب فتقبله مني يا أرحم الراحمين.

قال: ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار، وقالت: يا أبا عبيد! هذا مهر الجارية تجهز به، وجهز الغزاة في سبيل الله وانصرفت، فابتاعت لولدها فرسا جيداً، واستجادت له سلاحاً، فلما خرج عبد الواحد، خرج إبراهيم يعدو، والقراء حوله يقرأون: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}([384]).

قال: فلما أرادت فراق ولدها دفعت إليه كفناً وحنوطاً وقالت له: أي بني! إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن، وتحنط بهذا الحنوط، وإياك أن يراك الله مقصراً في سبيله، ثم ضمّته إلى صدرها، وقبّلت بين عينيه، وقالت: يا بني! لا جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة، قال عبد الواحد: فلما بلغنا بلاد العدو، ونودي في النفير وبرز الناس للقتال برز إبراهيم في المقدمة، فقتل من العدو خلقاً كثيراً، ثم اجتمعوا عليه فقتل، قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي: لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب أجرها، قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا، وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، قال عبد الواحد: فلما بصرت بي قالت: يا أبا عبيد هل قبلت مني هديتي فأهنأ، أم ردت علي فأعزى؟ فقلت لها: قد قبلت والله هديتك.
إن إبراهيم حي مع الأحياء يرزق، قال: فخرت ساجدة لله شكراً، وقالت: الحمد لله الذي لم يخيّب ظني وتقبل نسكي مني، وانصرفت، فلما كان من الغد أتت إلى مسجد عبد الواحد، فنادته: السلام عليك يا أبا عبيد، بشراك، فقال: لا زلت مبشرة بالخير، فقالت له: رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء، وعليه قبة خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ، وعلى رأسه تاج وإكليل وهو يقول لي: يا أماه ! أبشري فقد قبل المهر، وزفت العروس([385]).

الإكليل: عشبة خشبية دائمة الخضرة تنتمي إلى العائلة الشفوية "عائلة النعناع" ، لها أوراق إبرية و أزهارها بيضاء، زهرية، بنفسجية أو زرقاء.

---

[384] [التوبة: ١١١].
[385] [وردت القصة في مشارع الأشواق لابن النحاس، وتنبيه ذوي الأقدار على مسالك الأبرار لأبو جعفر بن اللبان].

أي شيء فاتك يا محروم؟

قال قاسم بن عثمان الخزاعي: رأيت في الطواف حول البيت رجلاً فتقربت منه فإذا هو لا يزيد عن قوله: اللهم إنك قضيت حاجة المحتاجين وحاجتي لم تقض، فقلت له: مالك لا تزيد على هذا الكلام؟.

فقال: أحدثك: كنا سبعة رفقاء من بلدان شتى، غزونا أرض العدو فوقعنا في الأسر كلنا، فاعتزل بنا بعض الروم إلى موضع ليضرب أعناقنا فنظرت إلى السماء، فإذا سبعة أبواب مفتحة فيها سبعة جوارٍ من الحور العين، مع كل حوراء طست ومناديل، فقدم رجل منا فضرب عنقه، فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت إلى الأرض فمسحت دمه، حتى ضربت أعناق ستة، وبقيت أنا وبقي باب وجارية، فلما قدمت ليضرب عنقي استوهبني بعض رجاله فوهبني له، فسمعتها تقول: أي شيء فاتك يا محروم؟. وأغلقت الباب، وأنا يا أخي متحسر على ما فاتني([386]) .

386 _[ذكرت القصة في المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي، وشعب الإيمان للبيهقي ومشارع الأشواق لابن النحاس].

أنا زوجتك من الحور العين

روى بكر بن مضر أن عبد الكريم بن الحارث حدثه عن رجل: أنهم كانوا مرابطين حصناً فخرج رجلان من الجيش، فقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن تغتسل لعل الله يعرضنا للشهادة؟.
فقال صاحبه: ما أريد أن اغتسل، فاغتسل هو، فلما فرغ أقبل إلى الحصن، فأصابته صخرة.
قال: فمررت به وهم يجرونه إلى خيامهم، فسألتهم: ما شأنه؟ فأخبروني الخبر، فانصرفت إلى أصحابي، ثم رجعت إليهم فأقمت عندهم وهم يشكّون هل مات؟ إذ عادت فيه الروح، فبينما هم كذلك إذ ضحك، فقلنا: إنه حي، ثم مكث ملياً ثم ضحك، ثم مكث ملياً ثم بكى، وفتح عينيه، فقلنا: أبشر يا فلان فلا بأس عليك، وقلنا: قد رأينا منك عجباً، نحن نظن أنك قد مت إذ ضحكت ثم مكثت ملياً ... إلى آخره.

قال: إنه لمّا أصابني ما أصابني أتاني رجل فأخذ بيدي ومضى بي إلى قصر من ياقوت، فوقف بي على الباب فخرج إليّ غلمان مشمّرون لم أرَ مثلهم.
فقالوا: مرحباً بسيدنا.
فقلت: من أنتم بارك الله فيكم؟.
فقالوا: نحن خلقنا لك.
ثم مضى بي حتى وقف بي على قصر آخر، وخرج منه غلمان هم أفضل من السابقين فقالوا: مرحباً بسيدنا.
فقلت: من أنتم بارك الله فيكم؟.
فقالوا: نحن خلقنا لك.
ثم مضى بي إلى بيت لا أدري من ياقوت أم من زبرجد أو لؤلؤ فخرج إلي غلمان سوى الأولين فقالوا مثلما قال الأولون وقلت لهم مثل ذلك، ووقف بي على باب البيت فإذا هو مبسوط وفيه فرش موضوعة بعضها فوق بعض ونمارق مبسوطة فأدخلني البيت وله بابان فألقيت نفسي بين وسادتين، فقال: أقسمت عليك إلا ألقيت نفسك على هذه الفرش فإنك قد نصبت في يومك هذا، فقمت فاضطجعت على تلك الفرش على وطاء لم أضع جنبي على مثله قط، وبينما أنا كذلك إذ سمعت حساً من أحد البابين، فإذا أنا بامرأة لم أرَ مثل ما عليها من الحلي والثياب ولا مثل جمالها فأقبلت لم تتخط في تلك النمارق، ولكن أقبلت بين السماطين، حتى وقفت وسلمت علي فرددت عليها السلام وقلت: من أنتِ بارك الله فيكِ؟.
قالت: أنا زوجتك من الحور العين، فضحكت فرحاً بها فأقامت تحدثني وتذاكرني أمر نساء الدنيا، كأن ذلك معها في كتاب، فبينما أنا كذلك إذ سمعت حساً من الشق الآخر، فإذا أنا بامرأة لم أرَ مثلها ولا مثل جمالها وحليها، فأقبلت كنحو ما صنعت الأولى ووقفت علي وحادثتني وقصَرت الأخرى وفرّغتني لها فأهويت بيدي إلى إحداهما فقالت: كما أنت، إنّ ذلك لم يأنِ، إن ذلك مع صلاة الظهر.
قال: فما أدري أقالت ذلك أم رمي بي إلى صحراء لم أرَ منهم أحداً؟ فبكيت عند ذلك، قال الرجل: فما صليت الظهر أو عند الظهر حتى قبضه الله تعالى([387]) .

---

387 _[تم ذكرها في الفوائد الشهير بالغيلانيات لأبي بكر الشافعي، ومشارع الأشواق لابن النحاس وتأويل آي الجهاد لفخر الدين ابن هبة الله وتاريخ دمشق لابن عساكر].

إنما أحل لك بالعشاء

قال أبو زهدم: كان قوم يغزون الروم فيمرّون بأهل الكوفة يغزون معهم، فجاءوا مرة فنزلوا منزلهم الذي كانوا ينزلون، وبعثوا إلى رجل فجاءهم فقالوا: الجهاد.

فقال: أغزو على اسم الله، ليس معي ما أغزو.

فقالوا: عندنا قليل نفقة وراحلة.

قال: فخرج معهم حتى أتوا الدرب فوجدوهم قد أدربوا، فأجمعوا رأيهم على أن يقيموا في بعض السواحل.

قال: فجعلوا الكوفي راعي الدواب، فلما كان يوم الرحيل، خرج الكوفي بالدواب حتى أتى مرجاً فترك الدواب ترعى، فلما وضعت رؤوسها ترعى وضع الرجل رأسه لينام، فأتاه آت فقال: أجب صاحب القصر، فإذا هو بقصر فقام فانطلقا حتى إذا دنيا من القصر فإذا هو بجوارٍ يمدحن ويقلن: مرحباً قد جاء، قد جاء.

فصار في القصر فإذا هو بسرير عليه جارية عليها من الحلي والحلل والحسن ما يعجز النظر، وهي تقول: مرحبا يا ولي الله، فأخذت بيده وأجلسته إلى جنبها وجعلت تكلمه، وترحّبه حتى طمع فيها الفتى فأراد أن يعانقها.

فقالت: إنما أحل لك بالعشاء.

فقال: أطعميني شيئاً فأتت بقدح من لبن.

فقالت: اشرب من هذا، فشرب فقام من عندها، فخرج وهو محزون، فلما خرج من القصر التفت، فلم يرَ من القصر شيئاً.

فقال: قد خولطت في عقلي، فلم يزل مغتماً حتى رجع بالدواب إلى أصحابه، فرأوا فيه تغيّراً، فلم يزالوا يسألونه ما لنا نراك متغيراً حتى أفشى لهم الأمر.

فقال بعضهم لبعض: قد خولط في عقله، وحزنوا لذلك.

فقال: هل تعلمون بحضرتنا لبناً؟.

قالوا: لا.

قال: فإنها قد سقتني قدحاً من لبن، فاستقاء حتى نظروا إلى اللبن، فلما صلّوا في العتمة وأخذ كل واحد منهم مصلّاه، وكان الفتى يصلي في المسجد بإزاء البحر، فجاءت سفينة فيها العدو فدخلوا المسجد وهو يصلي فقتلوه، فلما أصبح الناس إذا هو مقتول، فصلوا عليه وواروه، فرجعوا إلى الكوفة فعزوا أباه وذكروا ما كان من أمره.

قال: فبينما والده في برية يرعى غنماً إذا هو بفارس قد أقبل نحوه على أفره دابة تكون، وعليه أحسن الثياب حتى دنا منه وسلم عليه، فإذا هو ابنه.

قال: يا بني ألست قد قتلت وكان من أمرك كيت وكيت؟.

قال: نعم يا أبت، ولكن نودي في الشهداء أن قوموا فصلوا على هذا العبد الصالح.

قال: من هو؟.

قال: عمر بن عبد العزيز.

قال: فنظروا فإذا هو قد مات في ذلك اليوم([388]).

---

388 _[وردت الحكاية في روضة العلماء للزندويشتي وتاريخ دمشق لابن عساكر].

عن ثابت البناني، قال: "كنت عند أنس بن مالك إذ قدم عليه ابن له من غزاة يقال له: أبو بكر، فتأمله فقال له: ألا أخبرك عن فلان، بينما نحن قافلون من غزاتنا إذ ثار وهو يقول: وا أهلاه وا أهلاه.
فظننا عارضا عرض له فقلنا: ما لك؟.
فقال: إني قد حدثت نفسي أن لا أبرح حتى يزوجني الله عز وجل حوراء من الحور العين، فلما طالت علي الشهادة حدثت نفسي إن أنا رجعت تزوجت فأتاني آت فقيل لي في المنام: أنت القائل إن رجعت تزوجت؟ فقد زوجك الله العيناء فانطلق إلى روضة خضراء معشبة فيها عشر جواري في يد كل واحدة صنعة تصنعها لم أرَ مثلهن في الحسن والجمال فقلت: فيكن العيناء؟.
فقلن: نحن من خدمها وهي أمامك، فمضيت إلى روضة أعشب من الأولى وأحسن وفيها عشرون جارية في يد كل واحدة صنعة تصنعها ليس العشر إليهن بشيء في الحسن والجمال فقلت: هل العيناء فيكن؟.

قلن: نحن من خدمها وهي أمامك.
قال: فمشيت فإذا أنا بروضة هي أعشب من الأولى والثانية وأحسن، وفيها أربعون جارية ليس العشر والعشرون إليهن بشيء في الحسن والجمال، قلت: فيكن العيناء؟.
قلن: نحن من خدمها وهي أمامك، فإذا أنا بياقوتة مجوفة فيها سرير عليه امرأة قد فصل جنباها عن السرير قلت: أنت العيناء؟.
قالت: نعم مرحباً.
قال: فهممت أن أضع يدي عليها.
فقالت: مه، إن فيك شيئاً من الروح بعد، ولكن فطرك عندنا الليلة.
قال: فأتيته فما فرغ الرجل من حديثه حتى نادى المنادي يا خيل الله اركبي.
قال: فركبنا فصادفنا العدو.
قال: فإني لأنظر إلى الرجل وإلى الشمس، وأذكر حديثه فما أدري أرأسه بدر أم الشمس سقطت([389]).

---

389 _[المنامات لابن أبي الدنيا وابن عساكر في تاريخ دمشق، وفخر الدين بن هبة الله في تأويل آي الجهاد].

انطلق إلى زوجتك العيناء

عن شهر بن حوشب قال: كنت في غزاة فاستيقظت ورجل يبكي أشد بكاء ويقول: يا أهلاه يا أهلاه، فقمت إليه فقلت: يا عبد الله إنا نقفل غداً، فاتق الله واصبر.

فقال: إني لست أبكي على أهلي الذين فارقت في الدنيا، ولكني أُتيت آنفاً في المنام فقيل لي: انطلق إلى زوجتك العيناء، فانطلق بي، فوقعت بأرض لم أرَ مثلها، وإذا بجوارٍ لم أرَ مثل حسنهن وجمالهن وثيابهن فسلمت عليهن فرددن السلام فقلت: أفيكن العيناء؟.

فقلن: لا، نحن من خدمها وهي أمامك، فمضيت فرفعت لي أرض أحسن من الأولى، وإذا بجوارٍ أحسن من الأولين فسلمت فرددن السلام فقلت: أفيكن العيناء؟.

فقلن: لا، نحن من خدمها وهي في تلك الدرة، فأتيتها فإذا بامرأة جالسة على سرير من ياقوتة حمراء فضول عجيزها خارجة من السرير، فسملت فردت السلام وجلست إليها فحدثتني وحدثتها، ثم ذهبت لأنهض فأخرجت معصماً لها كما شاء الله وقالت: ما أنت بالذي تفارقنا حتى تعاهدنا الله لتبيتن عندنا الليلة القابلة فعاهدتها على ذلك، ثم انتبهت، فعليها أبكي، ثم أخذ في بكائه ونودي في الخيل ففزع الناس إلى خيلهم وسلاحهم فكان الرجل أول قتيل.

قال شهر بن حوشب: أشهد أنه بات عند العيناء([390]).

---

390 _[تاريخ دمشق لابن عساكر، وشفاء الصدور للخطيب بن سبع السبتي].

والله هذا زوج العيناء المرضية

عن عبد الواحد بن زيد قال: بينما نحن ذات يوم في مجلسنا هذا، قد تهيأنا للخروج إلى الغزو وقد أمرت أصحابي أن يتهيؤوا لقراءة آيتين فقرأ رجل: {**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**}([391]) ، فقال غلام: -في مقدار خمس عشر سنة أو نحو ذلك وقد مات أبوه وورثه مالاً كثيراً- يا عبد الواحد: {**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**}.

فقلت: نعم حبيبي.

فقال: إني أشهدك بأني قد بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة.

فقلت له: إن جرح السيف شديد وأنت صبي، وإني أخاف أن لا تصبر وتعجز عن ذلك.

فقال: يا عبد الواحد أبايع الله بالجنة وأعجز؟!.

أنا أشهد الله أني قد بايعته.

قال عبد الواحد: فتقاصرت إلينا أنفسنا، وقلنا: صبي يعقل ونحن لا نعقل، وخرج من ماله كله، وتصدّق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته، فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا فقال: السلام عليك يا عبد الواحد.

فقلت: وعليك السلام ربح البيع، ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا إذا نمنا حتى إذا انتهينا إلى بلاد الروم فبينما نحن كذلك إذا به قد أقبل وهو ينادي: واشوقاه إلى العيناء المرضية، فقال أصحابي: لعله وسوس هذا الغلام واختلط عقله.

فقلت: حبيبي وما هي العيناء المرضية ؟.

فقال: إني قد غفوت غفوة فرأيت كأنه أتاني آت فقال لي: اذهب إلى العيناء المرضية فهجم بي على روضة فيها نهر من ماء غير آسن، وإذا على شط النهر جوار عليهن من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه فلما رأينني استبشرن بي وقلن: هذا زوج العيناء المرضية، فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟.

قلن: لا، نحن خدمها وإماؤها امض أمامك، فمضيت أمامي فإذا أنا بنهر من لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة فيها جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن، فلما رأينني استبشرن بي وقلن: والله هذا زوج العيناء المرضية، فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟.

فقلن: وعليك السلام يا ولي الله، نحن خدمها وإماؤها فتقدم أمامك، فتقدمت فإذا أنا بنهر من خمر وعلى شطه جوار أنسينني ما خلفت، فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟.

قلن: لا نحن خدمها وإماؤها امض أمامك، فمضيت فإذا أنا بنهر من عسل مصفى وجوار عليهن من النور والجمال ما أنساني ما خلفت فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟.

قلن: يا ولي الله، نحن خدمها وإماؤها امض أمامك، فمضيت أمامي فوصلت إلى خيمة من درة بيضاء، وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأتني استبشرت ونادت من في الخيمة: أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم.

قال: فدنوت من الخيمة فإذا هي قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت، فلما رأيتها افتتنت بها وهي تقول: مرحباً بك يا ولي الرحمن، قد دنا لك القدوم علينا، فذهبت لأعتنقها.

فقالت: مهلاً فإنه لم يأن لك أن تعانقني فإن فيك روح الحياة، وأنت تفطر عندنا الليلة إن شاء الله.

---

391 _[التوبة: ١١١].

فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لي عنها، قال عبد الواحد: فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل عليهم الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر رحمه الله، فمررت به وهو يتشحط في دمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا([392]).

392 _[روض الرياحين في حكايات الصالحين لأبي السعادات اليافعي اليمني، والوعظ والرقائق للخطيب البغدادي].

ما أحب أن أرجع

قال أبو الوليد: غزونا أرض الروم، وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة في موضع واحد وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات وكان معنا رجل يقال له: سعيد بن الحارث ذو حظ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل فكنا نحرص أن نخفف من نوبته ونتولى ذلك فيأبى إلا أن يكون في جميع الأمور من حيث لا يخلي شيئاً من عبادته وقال: ما رأيته في ليل ولا نهار قط إلا في حال اجتهاد فإن لم يكن وقت أو كنا نسير لم يفتر من ذكر الله ودراسة القرآن.

قال هشام: فأدركتني وإياه النوبة ذات ليلة في الحراسة ونحن محاصرون حصناً من حصون الروم قد استصعب علينا أمره، قال: فرأيت من سعيد بن الحارث في تلك الليلة من شدة الصبر على العبادة ما احتقرت معه نفسي وعجبت من قوة جسمه على ذلك، وعلمت أن الله عز وجل يهب الفضل لمن يشاء، وأصبح كالاً نصباً لما كان منه في ليلته، فقلت له: رحمك الله إن لنفسك عليك حقاً وإن لعينيك عليك حقاً وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"اكْلَفُوا من العملِ ما تُطِيقُونَ"**([393]).

وذكرت له شبه هذا من الأحاديث.
فقال لي يا أخي: إنما هي أنفاس تُعد وعمر يفنى وأيام تنقضي، وأنا رجل ارتقب الموت وأبادر خروج نفسي.
فأبكاني جوابه ودعوت الله عز وجل له بالتثبيت ثم قلت له: نم قليلاً تستريح فإنك لا تدري ما يحدث من أمر العدو فإن حدث شيء كنت نشيطاً.
قال: فنام إلى جانب الخباء، وتفرق أصحابنا فمنهم من هو في القتال، ومنهم من هو في غير ذلك، وأقمت في موضعي أتفقد رجالاتهم وأصلح لهم طعاماً ينصرفون إليه، فإني كذلك إذ سمعت كلاماً في الخباء فأنكرته إذ ليس فيه غير سعيد بن الحارث نائماً، وظننت أن أحداً دخله من حيث لم أره فبادرت فدخلت فإذا ليس فيه أحد غيره وهو نائم بحاله إلا أنه يتكلم في نومه ويضحك فأصغيت إليه فكأنما يخاطب إنساناً فحفظت من قوله: ما أحب أن أرجع، ثم مد يده كأنه يلتمس شيئاً ثم ردها رداً رفيقاً وهو يضحك، ثم قال: فالليلة، ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرعد فأتيته فاحتضنته إلى صدري مليّاً وهو يلتفت يميناً وشمالاً حتى سكن وعاد إليه فهمه، وجعل يهلل ويكبر ويحمد الله فقلت له: يا أخي ما شأنك؟ فقال: خيراً يا أبا الوليد.
قلت: إني قد رأيت منك أشياء وسمعت منك كلاماً في نومك فحدثني بما رأيت.
فقال: أو تعفيني من ذلك يا أبا الوليد، فذكّرته حق الصحبة وقلت: حدثني رحمك الله فعسى الله أن يجعل لي في ذلك عظة وخيراً.
فقال: إني لما نمت رأيت في وقتي هذا كأن القيامة قد قامت وخرج العباد من قبورهم فوقفوا في موقفهم وشخصوا بأبصارهم ينتظرون أمر ربهم، فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجلان لم أرَ مثل صورتهما كمالاً وحسناً فسلما عليّ فرددت عليهما السلام فقالا: يا سعيد أبشر فقد غُفر ذنبك وشُكر سعيك وقُبل عملك واستجيب دعاؤك وعُجّلت لك البشرى في حياتك، فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم.

قال: فانطلقت معهما حتى أخرجاني عن جملة أهل الموقف، فإذا نحن ذات اليمين بخيل لا تشبه خيلنا هذه، إنما هي كالبرق الخاطف، فركبناها فسارت بنا كهبوب الرياح حتى انتهينا إلى قصر عظيم لا يقع الطرف على أوله ولا على آخره ولا على ارتفاعه، ثم هو مع ذلك كأنه صيغ من فضة صافية فهو نور يتلألأ فلما وردنا بابه انفتح لنا من غير أن نستفتح فدخلنا إلى ما لا يبلغه وصف واصف ولا يخطر على قلب بشر، وإذا في القصر من الوصفاء والوصائف كعدد النجوم كأنهم كما قال الله تعالى: **{لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ}**([394]).

---

393 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم بنحوه وابن ماجه وأحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة والأرناؤوط والألباني].
394 _[الواقعة: ٢٣].

فحين رأونا أخذوا في ألوان من القول الحسن بنغم مختلفة وكلهم يخلطون بكلامهم: هذا ولي الله، وقد جاء ولي الله، ومرحباً بولي الله، فسرنا كذلك حتى انتهينا إلى مجالس ذات أسرة من ذهب، مكللة بالجواهر محفوفة بكراسي من ذهب وإذا على كل سرير منها جارية ولا يستطيع أحد من خلق الله عز وجل وصفها، وفي وسطهن واحدة عالية عليهن في طولها وتمامها وجمالها وكمالها، فقال الرجلان: هذا منزلك وهؤلاء أهلك وههنا مقيلك ومآلك عند ربك من الرضوان الأكبر، وانصرفا عني ووثب الجواري نحوي بالترحيب والتعظيم والاستبشار، كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهم، وحملوني حتى أجلسوني على السرير الأوسط إلى جانب تلك الجارية، وقلن لي: هذه زوجتك ولك مثلها معها وقد طال انتظارنا إياك فكلمتني وكلمتها فقلت لها: أين أنا؟.

فقالت: أنت في جنة المأوى.

فقلت: من أنت؟.

قالت: أنا زوجتك الخالدة.

فقلت: وأين الأخرى؟.

قالت: في قصرك الآخر.

فقلت: إني أقيم عندك اليوم ثم أتحول إلى تلك غداً، ومددت يدي إليها فرددتها رداً رفيقاً، وقالت: أما اليوم فلا، أراك راجعاً إلى الدنيا.

فقلت: ما أحب أن أرجع.

فقالت: لا بد من ذلك، وستقيم ثلاثاً ثم تفطر عندنا من الليلة الثالثة إن شاء الله.

فقلت: فالليلة الليلة.

فقالت: إنه كان أمراً مقضياً، ثم نهضت عن مجلسها فوثبتُ لقيامها فإذا أنا قد استيقظت.

قال هشام: فقلت له يا أخي أحدِث لله شكراً فقد كشف لك عن ثواب عملك.

فقال لي: يا أبا الوليد هل رأى أحد غيرك ما رأيت؟.

فقلت: لا.

قال: فأسألك بالله عز وجل إلا سترت علي ما دمت حياً.

فقلت: نعم.

فقال: ما فعل أصحابنا؟.

فقلت: بعضهم في القتال وبعضهم في الحوائج.

فقام فتطهر واغتسل ومس طيباً وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم، فلم يزل يقاتل حتى الليل، وانصرف أصحابه وهو فيهم فقالوا: يا أبا الوليد لقد صنع هذا الرجل شيئاً ما رأيناه صنع مثل هذا قط، ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه، فقلت في نفسي: لو تعلمون شأنه لتنافستم في مثل صنيعه، قال: فأفطر على شيء من الطعام، وبات ليلته قائماً وأصبح صائماً فصنع كصنيعه بالأمس، فانصرف من آخر النهار فذكر عنه أصحابه مثل ذلك، حتى كان اليوم الثالث وقد مضت ليلتان.

قال هشام: فانطلقت معه وقلت: لا بد أن أشهد أمره وما يكون منه، فلم يزل يلقي نفسه تحت مكايد العدو نهاره كله ولا يصل إليه شيء، وهو يؤثر فيهم الآثار وأنا أرعاه بطرفي من بعيد لا أستطيع الدنو منه، حتى إذا تدلت الشمس للغروب، وهو أنشط ما كان فإذا رجل من فوق حائط الحصن قد تعمده بسهم فوقع في نحره فخر صريعاً وأنا أنظر إليه فصحت بالناس فابتدروه فجذبوه وبه رمق، وجاءوا به يحملونه فلما رأيته.

قلت له: هنيئاً لك ما تفطر عليه الليلة، يا ليتني كنت معك.

قال: فعض شفته السفلى وأومأ إليّ بطرفه وهو يضحك، يذكّرني ما كان سألني بالكتمان عليه، ثم قال: الحمد لله الذي صدقنا وعده، فوالله ما تكلم بشيء غيرها، ثم قضى رحمة الله عليه([395]).

395 _[مشارع الأشواق لابن النحاس، وفضائل الجهاد لأبي الحسن السلمي].

الحور يتعلقن بأزواجهن

رأى بعض الصالحين في المنام أنه قد دخل الجنة، وعرضت عليه منازله فيها، وأزواجه من الحور العين، فلما أراد أن يخرج، تعلّق به أزواجه من الحور، وقلن له: "نسألك بالله أن تحسِّن عملك؛ فإنك كلما حسنت عملك، ازددنا نحن بذلك حسناً"([396]) .

انتهت الحكايات.

[396] _[من كتاب لطائف المعارف لزين الدين أبي الفرج الحنبلي الدمشقي].

الحور العين ينفضن التراب عن وجه الشهيد

عن مجاهد قال: قام يزيد بن شجرة في أصحابه فقال: إنها قد أصبحت عليكم وأمسيت من بين أخضر وأحمر وأصفر وفي البيوت ما فيها، فإذا لقيتم العدو غدا فقُدُماً قدماً فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"مَا تَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ خُطْوَةٍ إِلَّا تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الحور العين، فإن تأخر استأخرت، مِنْهُ، وَإِنِ اسْتُشْهِدَ كَانَتْ أَوَّلُ نَضْحَةٍ كَفَّارَةَ خطاياه وتنزل إليه ثنتان من الحور العين فتنفضان عنه التراب وتقولان: مرحباً قد آن لك، ويقول: مَرْحَباً قَدْ آنَ لَكُمَا"**([397]).

قوله: قُدُماً قُدُماً هو بضم القاف والدال قاله الجوهري ومعناه: التحريض على القتال قال أهل اللغة: يقال: مضى قدماً إذا لم يعرج ولم ينثن، وقوله آن بفتح الألف وتخفيف النون أي: حان، يقال: آن الشيء إذا حان وقته.

وعن مجاهد بن جبر المكي عن يزيدَ بن شَجَرَةَ قال: **"فإنَّ أولَ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ من دَمِ أَحَدِكُمْ يَحُطُّ اللهُ مِنْهُ بِها خَطَاياهُ كما يَحُطُّ الغُصْنُ من ورَقِ الشجرَةِ، وتَبْتَدِرُهُ اثْنَتَانِ من الحُورِ العِينِ، ويَمْسَحانِ التُّرَابَ عن وجهِهِ، ويقولان: قد أنَى لكَ، ويقولُ: قد أنَى لَكُما، فَيُكْسَى مِائةَ حُلَّةٍ، لَوْ وُضِعَتْ بين أُصْبُعَيَّ هاتَيْنِ لَوَسَعَتَاهُما، ليسَتْ من نَسْجِ بَنِي آدمَ، ولَكِنَّها من نباتِ الجنةِ، مَكْتُوبُونَ عندَ اللهِ بِأَسْمائِكُمْ وسِماتِكُمْ"**([398]).

---

397 _[حديث حسن أخرجه عبد الرازق موقوفاً بأسانيد صحاح والطبراني كذلك؛ والبوصيري وابن أبي شيبة وابن حميد والأثير والخرائطي وابن عساكر والبزار والسري بإسناد ضعيف].

398 _[حديث صحيح أخرجه المنذري والبيهقي والطبراني والبزار والألباني].

إشكال مشاركة الحور العين للمسلمة لزوجها

قد تسأل وتعترض المسلمة بأن مشاركة الحور العين لزوجها في الجنة سواء كان زوجتان أو سبعين زوجة ليس عدلاً ولا قسطاً، وأن الحور العين تكون خادمة للمرأة الآدمية.

والجواب أن يقال:

الواجب على المؤمن التسليم لأحكام الله تعالى الشرعية والقدرية، قال الله تعالى: **{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**([399]).

ولا يجوز لمؤمن أن يقول على حكم من أحكام الله تعالى إنه ليس بعدل، تعالى الله تعالى عن ذلك، قال الله تعالى: **{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}**([400]).

ولا حكم أفضل ولا أحسن من حكم الله تعالى، قال الله تعالى: **{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}**([401]).

وقال: **{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}**([402]).

إن في هذا السؤال خطآن ومغالطة، أما الخطأ الأول: فهو قول السائلة بأن الرجل في الجنة سيكون له سبعون من الحور العين، والذي ثبت في السنَّة الصحيحة أن للشهيد ثنتين وسبعين من الحور العين . وأن أدنى أهل الجنة له زوجتان، ومنهم من له أكثر من ذلك، كما مرّ سابقاً.

فعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"([403]).**

وقد ورد ما هو أكثر من ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إنَّ الرَّجلَ ليصلُ في اليومِ إلى مائةِ عذراءَ"([404]).**

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إنَّ أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً، رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الجَنَّةِ، ومَثَّلَ له شَجَرَةً ذاتَ ظِلٍّ، فقالَ: أيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إلى هذِه الشَّجَرَةِ أكُونُ في ظِلِّها"** وساقَ الحَدِيثَ بنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، ولَمْ يَذْكُرْ: فيَقولُ: **"يا ابْنَ آدَمَ ما يَصْرِينِي مِنْكَ؟"** إلى آخِرِ الحَدِيثِ، وزادَ فِيهِ: **"ويُذَكِّرُهُ اللَّهُ، سَلْ كَذا وكَذا، فإذا انْقَطَعَتْ به الأمانِيُّ، قالَ اللَّهُ: هو لكَ وعَشَرَةُ أمْثالِهِ، قالَ: ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عليه زَوْجَتاهُ مِنَ الحُورِ العِينِ، فَتَقُولانِ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أحْياكَ لَنا، وأَحْيانا لَكَ، قالَ: فيَقولُ: ما أُعْطِيَ أحَدٌ مِثْلَ ما أُعْطِيتُ"([405]).**

---

[399] _[النور: 51].
[400] _[فصلت: 46].
[401] _[التين: 8].
[402] _[المائدة: 50].
[403] _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه والألباني].
[404] _[حديث صحيح أخرجه الطبراني والبزار والخطيب وأبو نعيم والألباني].
[405] _[حديث صحيح أخرجه مسلم والسيوطي والأرناؤوط والألباني].

قال الحافظ: "وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ الْمُرَاد أَنَّ أَقَلّ مَا لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ".

وإن الحور العين لا تكون للخدمة، والذي يخدم أهل الجنة إنما الغلمان المخلَّدون، كما مرَّ معنا في ثنايا الكتاب.
قال الله تعالى: **{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ}**([406]).

وقال: **{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا}**([407]).

وأما الحور العين فهنَّ زوجات للرجل في الجنة، عدا زوجاته من أهل الدنيا، قال الله تعالى: **{كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ}**([408]).

والمغالطة إن قالت المرأة الآدمية: إذا شاركوها في زوجها بهذه الطريقة فهو ليس بعدل ولا إنصاف.

والجواب أن يقال:
إن العدل إنما هو في أحكام الشرع لا فيما يظنه من لم يعرف الشرع وأحكامه، فضلاً عن حكَمه.
وقد يظن أن ما في قلب المرأة من بني البشر من الغيرة وما يعقب ذلك من الكمد والأسى سيبقى معها في الجنة، وهذا غير صحيح، ومن هنا تأتي المغالطة في السؤال.

و الله تعالى يقول: **{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**([409]).

فليس في الجنة إلا النعيم والسرور والحبور، ولا مكان للغل والحقد والشرور في قلوب أهل الجنة، والحور العين خلْق من الله تعالى إكراماً لأهل الجنة زيادة في نعيمهم.

ثم إن الرجل يُعطى قوة مئة رجل في الجماع كما مرّ معنا سابقاً في ثنايا الكتاب، فليس ثمة ما يؤثر كثرة العدد على المرأة، ولن يكون في قلبها ما يكون في الدنيا تجاه ضرائرها أو تجاه إماء زوجها، فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يُعْطَى المؤمنُ في الجنَّةِ قوَّةَ كذا وَكذا في الجِماعِ"** قيلَ: يا رسولَ اللَّهِ أوَ يُطيقُ ذلِكَ قالَ: **"يُعْطَى قوَّةَ مائةٍ"([410]).**

[406] _[الطور: 24].
[407] _[الإنسان: 19].
[408] _[الدخان: 54].
[409] _[الأعراف: 43].
[410] _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد والدارمي وابن القيم والطيالسي والبيهقي والألباني].

الحور العين تبتدر الشهيد قبل أن يجف دمه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ذكر الشهداء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **"لا تجِفُّ الأرضُ مِن دَمِ الشَّهيدِ حتَّى تبتدِرَه زَوْجتاه، كأنَّهما ظِئْرانِ أضَلَّتا فَصيلَيْهما في بَراحٍ مِن الأرضِ، وفي يدِ كلِّ واحدةٍ منهما حُلَّةٌ خيرٌ مِن الدُّنيا وما فيها"([411]).**

الظئر: بكسر الظاء المعجمة بعدها همزة ساكنة وراء هي المرضع، والفصيل ولد الناقة قبل أن ينفصل عنها.
البراح: بفتح الباء الموحدة وبالحاء المهملة هي الأرض المتسعة التي ليس فيها زرع ولا شجر، ومعناه: أن زوجتي الشهيد من الحور العين تبتدرانه قبل أن يجف دمه كما تبتدر الناقة المرضع ولدها الضال، إذا وجدته من شدة شوقها إليه في أرض متسعة ليس فيها شيء يحول بينه وبينها من بناء ولا غيره.

وأخرج عبد الرزاق بإسناد صحيح عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: **"إِذَا الْتَقَى الصَّفَّانِ أَهْبَطَ اللَّهُ الْحُورَ الْعِينَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَأَيْنَ الرَّجُلَ يَرْضَيْنَ مَقْدَمَهُ، قُلْنَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، فَإِنْ نَكَصَ احْتَجَبْنَ مِنْهُ، وَإِنْ هُوَ قُتِلَ نَزَلْنَ إِلَيْهِ، فَمَسَحَنَ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ، وَقُلْنَ: اللَّهُمَّ عَفِّرْ مَنْ عَفَّرَهُ، وَتَرِّبْ مَنْ تَرَّبَهُ"([412]).**
يرضين قُدْمه: بضم القاف وسكون الدال أي: تقدمه إلى العدو وشجاعته.

---

411 _[حديث صحيح أخرجه أحمد وابن ماجه وابن أبي شيبة وأحمد شاكر].
412 _[حديث ضعيف أخرجه ابن المبارك وعبد الرزاق].

الشهيد لا يجد من ألم القتل في سبيل الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسّ الْقَرْصَةِ"([413]).**

وفي حديث مرفوع قال: **"عَضَّةُ نَملَةٍ أَشَدُّ عَلى الشهيدِ مِنْ مَسِّ السِّلاح بلْ هُوَ أَشْهَى عِنْدَهُ منْ شَرَابِ مَاءٍ بَارِدٍ لَذِيذٍ، في يوم صَائِفٍ"([414]).**

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إِنَّ أَوَّلَ قَطرَةٍ تقطر مِنْ دَمِ الشَّهِيد يُكَفَّرُ بِهَا ذُنُوبُه، والثَّانيَةَ يُكْسَى مِنْ حُلَلِ الإيمَانِ، وَالثَّالِثَةَ يُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِين"([415]).**

413_ [حديث صحيح أخرجه الترمذي و أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان والمنذري والدارمي والبيهقي والألباني].
414 _[حديث ضعيف أخرجه السيوطي والضياء المقدسي والمتقي الهندي والألباني].
415 _[حديث ضعيف أخرجه السيوطي والبيهقي والطبراني والهيثمي والمتقي الهندي].

الشهيد في سبيل الله أفضل ممن انتصر ورجع سالماً

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال: **"أنْ يُعقَّرَ جَوادُكَ ويُهراقَ دَمُكَ"**([416]).

وعن عبدالله بن حبشي الخثعمي رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سُئلَ أيُّ القتلِ أشرفُ؟ قال: **"مَن أُهريقَ دمُه وعُقِرِ جَوادُه"**([417]).

416 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان والمنذري والأرناؤوط والألباني].
417 _[حديث صحيح أخرجه أبو داود والدارقطني وابن عبد البر والمنذري وابن حجر وابن ماجه وأحمد والنسائي والأرناؤوط والألباني].

أصناف الشهداء

إن منزلة الشهادة عند الله منزلة عالية لا تتعداها سوى منزلة النبوة كما صرحت بذلك الآيات والأحاديث، فهذه المنزلة لا يبلغها إلا من رضي الله عنه، واستقامت أحواله، وقتل أو مات في سبيل الله وحتى هؤلاء الشهداء فإن منازلهم تتفاوت تبعاً لفضلهم وإخلاصهم؛ أما من مات في غير سبيل الله، أو قتل في غير سبيل الله كشهيد الحرية والوطن، فليس كشهيد المعركة ولا يبلغ درجة ومنزلة الشهادة وإنما بالأجر والثواب فقط.

لقد خفي واختلط على كثير من الفقهاء أن الأحاديث التي أطلقت القول بأن المطعون شهيد وأن الغريق شهيد وأن المبطون شهيد، فقد جاءت أحاديث أخرى قيّدت هذا الإطلاق، فإذا جاءت أحاديث مطلقة وأخرى مقيدة حُمل المطلق على المقيّد وعُمل بالمقيد، وهذه قاعدة أصولية يعرفها جميع علماء الأصول.

إن الأحاديث التي أوردت أنواع الشهداء فجعلت بعضُها خمسة أصناف، وجعلت بعضها الآخر تربو على العشرين صنفاً، قد جاءت أحاديث أخرى تقيد هذه الأصناف بالخروج في سبيل الله؛ أي تقيد المطعون والمبطون والغريق و... بحالة الخروج في سبيل الله، فيُعمل بالمقيّد ويحمل المطلق عليه، فيكون المطعون شهيداً إن هو أصيب بالطاعون وهو خارج في سبيل الله، ويكون الغريق شهيداً إن هو غرق وهو خارج في سبيل الله، ويكون المحترق بالنار شهيداً إن هو احترق بالنار أثناء خروجه في سبيل الله، وهكذا جميع الأصناف، فهي جميعها مقيدة بالخروج في سبيل الله.
وعلى ذلك فإن من يموت بالطاعون وهو في بيته ليس شهيداً، وأن من يموت غريقاً في برك السباحة في الفنادق ليس شهيداً.
وأن من يموت في البارات محترقاً بالنار ليس شهيداً، فهؤلاء الأصناف شهداء إن كانوا خارجين للجهاد، وغير شهداء إن لم يكونوا متلبسين بالجهاد في سبيل الله.
وإنما لهم ثواب الشهيد إن لم يكونوا متلبسين بمعصية.

هذا ما دلّت عليه الأحاديث النبوية الشريفة التالية:
1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **"انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ يَخْرُجُ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْإِيمَانُ بِي وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِي أَنَّهُ ضَامِنٌ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ بِأَيِّهِمَا كَانَ إِمَّا بِقَتْلٍ وَإِمَّا وَفَاةٍ أَوْ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ يَنَالُ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ"([418]).**

2- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **"مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ"** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ قَالَ: **"إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ"** قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: **"مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ"([419]).**

البطن: المصاب بمرض في بطنه كالإسهال مثلاً.

3- و في رواية أخرى عن عبد الله بن جبر عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "عَادَ جَبْراً فَلَمَّا دَخَلَ سَمِعَ النِّسَاءَ يَبْكِينَ وَيَقُلْنَ: كُنَّا نَحْسَبُ وَفَاتَكَ قَتْلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ: **"وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ إِلَّا مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ شُهَدَاءَكُمْ إِذًا لَقَلِيلٌ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهَادَةٌ وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ وَالْحَرَقُ شَهَادَةٌ وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ وَالْمَغْمُومُ يَعْنِي**

418 _[حديث صحيح أخرجه النسائي، والبخاري ومسلم بنحوه، وأحمد وابن ماجه باختلاف يسير، والألباني والأرناؤوط].
419 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد والأرناؤوط والألباني].

الْهَدِمَ شَهَادَةٌ وَالْمَجْنُونُ شَهَادَةٌ وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ" قَالَ رَجُلٌ: أَتَبْكِينَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ قَالَ: **"دَعْهُنَّ فَإِذَا وَجَبَ فَلَا تَبْكِيَنَّ عَلَيْهِ بَاكِيَةٌ"([420]).**

تموت بجُمْع: من ماتت من أثر الولادة.

4- عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ"** فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **"فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ"([421]).**

أَطْرُقُهُ: طُرُقُهُ.
الطِّوَلَ: الحبل الذي تربط به الفرس.
وقصته: أسقطته عن ظهرها.

5- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"خَمْسٌ مَنْ قُبِضَ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ فَهُوَ شَهِيدٌ الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ وَالْغَرِقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ وَالْمَبْطُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ وَالْمَطْعُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ وَالنُّفَسَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ"([422]).**

النفساء: من ماتت من أثر الولادة.

ودلالة هذين الحديثين الأخيرين على ما نقول واضحة.

فالأحاديث كما ترى قيدت نوال الشهادة للمقتول وللميت، وذكرت أصنافاً للموت هنا، قيدتها كلها بالخروج للجهاد، وهذا يعني أنها إن حصلت كلها في غير الجهاد فليست شهادة، وإنما ثواب الشهادة، وهذه الميتات كلها مقيدة بحالة الخروج في سبيل الله كما ينص على ذلك الحديث.

وعليه فإن من غرق في برك السباحة المختلطة في الفنادق الكبيرة ليس شهيداً وسيحاسبه الله على فسقه ومعصيته بالسباحة في هذا المكان الموبوء، ومن مات محترقاً بالنار في البار ليس شهيداً وسيعاقبه الله سبحانه على معاقرة الخمرة ويسقيه من طينة الخبال، كما صرحت بذلك الأحاديث، ولا ينفع هذا أو ذاك هذه الميتة أو تلك، فهي ميتة ليست في سبيل الله، بل في سبيل الشيطان.
وغفر الله للفقهاء الذين اختلفوا في عدد الأصناف التي يدخل أصحابها الجنة بالشهادة، فمنهم من ذكر خمسة أصناف، ومنهم من ذكر تسعة، ومنهم من أوصلها إلى العشرين.

لا قيمة لكل ذلك إذا علمنا أن أصحاب هذه الأصناف شهداء إن هم ماتوا في حالة الخروج للجهاد والقتال في سبيل الله وحسب، أما إن قتلوا أو ماتوا في غير سبيل الله فلهم ثواب الشهيد ولا يطلق عليهم شهداء في سبيل الله لا في الدنيا ولا في الآخرة.

---

420 _[حديث صحيح أخرجه النسائي والهيتمي المكي والألباني].
421 _[حديث صحيح أخرجه النسائي وأحمد، وابن حبان والمزي وابن حجر والألباني].
422 _[حديث صحيح أخرجه النسائي والمنذري والألباني والأرناؤوط].

وقد أكرم الله تعالى هذه الأمة في ثواب الشهداء في الآخرة، فلم يجعل أجر الشهيد لمن يُقتل في المعركة فحسب، بل جعله أيضا للمطعون -المقتول بمرض الطاعون- ، والمبطون -المقتول بداء في بطنه- ، وللغريق، وصاحب الهدم وغيرهم، وهؤلاء يغسَّلون ويكفنون ويصلَّى عليهم في الدنيا، كغيرهم من موتى المسلمين، غير أن لهم ثواب الشهداء يوم القيامة.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم خصالاً لشهيد المعركة، منها أنه يشفع لسبعين من أهله، والأظهر والله أعلم، أن هذه الخصال لا يشترك فيها شهداء الآخرة معهم بها، بل هي للنوع الأعلى والأسمى، وهم شهداء الدنيا والآخرة.

عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"([423]).**

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "من اتصف بكونه شهيداً، أعلى درجة ممن وعد بأنه يعطي مثل أجر الشهيد".
وقال أيضاً: "فإن درجة الشهادة شيء، وأجر الشهادة شيء"([424]).

وقال ابن قدامة رحمه الله: "شهيد معركة الكفار أجره أعظم، وفضله أكثر، وقد جاء أنه يشفع في سبعين من أهل بيته، وهذا -أي: المقتول في معركة ضد البغاة- لا يلحق به في فضله فلا يثبت فيه مثل حكمه؛ فإن الشيء إنما يقاس على مثله"([425]).

والشهداء أقسام كما دلت عليه الأحاديث السابقة، لكن أفضلهم شهيد المعركة في سبيل الله عز وجل كما أسلفنا، ومنهم المطعون، الموت بالطاعون، والمبطون الذي يموت بالإسهال وغيره في البطن، وصاحب الهدم الذي يموت بالهدم، يسقط عليه جدار أو سقف، وفي حكمه من يموت بدهس السيارات، وانقلاب السيارات والطائرات المدنية، وصدام السيارات، هذا من جنس الهدم، وكذلك الغرق، كل هذه أنواع من الشهادة في الثواب والأجر في غير معصية، لكن ليس بدرجة شهيد المعركة، وهو الذي لا يُغسل، ولا يصلَّى عليه، أما البقية: فيُغسلون ويصلَّى عليهم، وإن كانوا شهداء.

---

423 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه والألباني].
424 _[فتح الباري (10 / 194)].
425 _[المغني (10 / 57)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتْ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمْ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ"**([426]).

دابق: قرية في ريف محافظة حلب الشمالي من سوريا.
الأعماق: قرية أو منطقة تركية على الحدود السورية التركية من جهة محافظة حلب.

وأما قتيل الدجال، فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَّالِ فَيَقُولُونَ لَهُ أَيْنَ تَعْمِدُ فَيَقُولُ أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ قَالَ فَيَقُولُونَ لَهُ أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا فَيَقُولُ مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ فَيَقُولُونَ اقْتُلُوهُ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ قَالَ فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ فَيَقُولُ خُذُوهُ وَشُجُّوهُ فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا قَالَ فَيَقُولُ أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي قَالَ فَيَقُولُ أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ قَالَ ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِمًا قَالَ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَتُؤْمِنُ بِي فَيَقُولُ مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً قَالَ ثُمَّ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنْ النَّاسِ قَالَ فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ"** فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ"**([427]).

---

426 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والألباني].
427 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والسيوطي والألباني].

الإعجاز العلمي في كرامة الشهيد

إن الشهداء هم مؤمنون اصطفاهم الله تعالى، لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ففازوا و ربحت تجارتهم، فأكرمهم الحي القيوم بالحياة بيننا مع أننا لا نشعر بذلك؟.

يقول الله تعالى: **{وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ}**([428]).

فهؤلاء الذين وضعوا بعد مرتبة الصديقين وقبل الصالحين في قول الله تعالى: **{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا}**([429]) .

وإن الذي يتأمل الآية الكريمة ويتدبر عبارة: **{بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ}** ، سيجد فيها إعجازاً باهراً، لأن مصيرنا الفناء إلا أجساد الأنبياء، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث: **"إنَّ اللَّهَ حرَّمَ على الأرضِ أجسادَ الأنبياءِ فنبيُّ اللَّهِ حيٌّ يرزقُ"([430]).**

لأن أرواحهم تتغذى من ثمار الجنة، وهذا ما يعلل رائحة المسك ونزفهم للدم ونمو اللحية وتعرّقهم وبقاء ملابسهم كما هي، مع أن بعض الشهداء قد مضى على استشهادهم سنين وعقود وحتى قرون، وهو يعلل عدم تحلّل الخلايا وعدم اقتراب الميكروبات والحشرات والقوارض منها.

ومن المعلوم أن فناء اللحم للإنسان يكون بين ستة أشهر إلى عام، والعظم بين عشرين إلى خمسين عاماً، ويتحلّل الجسد حسب طبيعة الجو المحيط، كالرطوبة والحرارة والتعرض للشمس ومكان وطبيعة الموت وطبيعة الجسد؛ فمراحل التحلل عند موت الإنسان؛ يبدأ التحلل داخلياً بعد أربع دقائق وهو ما يسمى علمياً التحلل الذاتي، فيستهلك الأوكسجين وتزداد نسبة ثاني أكسيد الكربون والفضلات التي تسمم الخلايا، ثم تبدأ بعض الأنزيمات بتحليل الخلايا من الداخل بسبب ازدياد نسبة الحموضة، فتفكك الشحوم والبروتينات والسكريات لعناصر أبسط، وهذا التحلل لا يكون ظاهر للعيان في الأيام الأولى ولكنه يكون كثيف في الكبد بسبب كثافة الأنزيمات والدماغ بسبب نسبة السوائل الموجودة به، ويتغير لون الدم ويتجمع الدم تحت الجلد، وبسبب ازدياد نسبة الحموضة تتجلط السيتوبلازما، ثم تبدأ مرحلة البلاء أو الاهتراء، حيث تقوم البكتريا اللاهوائية والهوائية والفطور بتحليل الخلايا بعد أن قضت على الدفاعات المتبقية من الكريات البيض، وتجعلها تنهار بالكامل وتحولها لغازات وسوائل ومواد أولية، ويتغير لون الدم إلى الأخضر القاتم، والغازات الناتجة عن التحلل هي الميثان و ثاني أكسيد الكربون وسلفيد الهيدروجين والأمونيا.

وإن لم تخرج من الفتحات الطبيعية قد تتسبب بانفجار الجسد، وهذه الغازات هي التي تعطي رائحة الإنتان لجسد الميت، وكل هذا ضمن الأسبوع الثالث، ثم تقوم بعض الحشرات التي لها دور هام في الفناء بوضع بيوضها في الفتحات الموجودة وتقوم يرقاتها بالغذاء على الجسد المتحلل، ثم تتعاون كل هذه المخلوقات على تحليل اللحم والعظم ويفنى اللحم قبل العظم بسبب طبيعته، وهنا تبدأ مرحلة التحلل الجاف حيث ينبت على العظم المتبقي طحالب تساهم في تفتيته وذلك حسب الرطوبة المتوفرة، وفي العقد الأول تظهر على العظام شقوق ويتقشر ولكنه يتحول إلى غبار مع مرور الوقت؛ أي من التراب وإلى التراب نعود([431]).

---

[428] _[البقرة: 154].

[429] _[النساء: 69].

[430] _[حديث حسن لغيره أخرجه أبو داود وابن ماجه والطبراني والطبري والمنذري والألباني].

[431] _[المراجعة الطبية: الطبيب رشدي المناوي، والطبيبة زينب الإدريسي].

واما كرامة الشهيد بعد الموت فقد أتانا عن طريق التواتر قصص مروية عن أشخاص ثقات، أن بعض الذين استشهدوا في سبيل الله تعالى قد بقيت أجسادهم غضة طرية لمدة سنوات وعقود وحتى قرون بدون أن يتغير لون الجلد، وأن رائحة المسك كانت تخرج منهم ودمائهم تنزف من مكان إصابتهم، ومنهم من طالت لحاهم ومنهم من بقيت أجسادهم في الأرض الفلاة لسنين ولم تأكلها الضباع ولا الكلاب**!**

شهداء معركة أحد:
ذكر الدكتور طارق السويدان في سلسلته "قصة النهاية" نقلا مباشراً عن الشيخ محمود الصواف الحادثة العظيمة التي تشرف بها بعض العلماء في إعادة دفن بعض شهداء أحد وكيف أنه بعد مضي 1400 سنة من استشهادهم كانت أجسادهم باقية كما هي، لم تتغيّر ولم تتعفّن ولم تتحلّل.
يقول الدكتور السويدان: وقد حدثنا الشيخ محمود الصواف رحمه الله أنه دُعي فيمن دُعي من كبار العلماء لإعادة دفن شهداء أحد في مقبرة شهداء أحد التي أصابها سيل فانكشفت الجثث: يقول من الجثث التي دفنت كان حمزة رضي الله عنه، فيقول ضخم الجثة مقطوع الأنف والأذنين بطنه مشقوق، وقد وضع يده على بطنه فيقول فلما حركناه ورفعنا يده سال الدم.

شهداء فلسطين الطاهرين:
أحد الذين شهد فتح قبر الشهيد سمير شحادة يقول:
"وجدنا الشهيد سمير شحادة كما تركناه قبل 15 عاماً، وكأنه استشهد قبل ساعة واحدة فقط".
بهذه الكلمات علق "ماهر كتوت" من البلدة القديمة في نابلس، حينما شاهد كالمئات غيره واحدة من تلك الكرامات، فقد كان الجسد سالماً من أي تغيير، فكان على حاله يوم استشهاده**!**

يقول عامر شقيق سمير: "توجهنا بعد وفاة والدتي إلى المقبرة لنفتح قبر شقيقي استعداداً لدفن الوالدة فيه كما أوصت في حياتها، وكنا قد استفتينا عدداً من العلماء حول جواز دفنها في نفس قبر ابنها، فأشاروا لنا بالجواز بسبب طول المدة، فقد كنا نعتقد إن مدة 15 عاماً كافية لأن لا يبقى من جسده سوى بعض العظيمات، عندما فتحنا القبر كانت المفاجأة الكبرى أننا وجدنا سمير كهيئته يوم استشهاده، وجسده كما هو لم يأكله الدود، حتى ملابسه لم تتلف، وكذا العلم الفلسطيني الذي لُفَّ به لم يتغير لونه، لمسناه فإذا هو مبلول من مياه الأمطار التي تساقطت يوم استشهاده، وكذلك رأسه كان مبتلاً وقد رأينا شعره ممشطاً كما لو أنه قد سرحه قبل لحظات**!**
وزادت دهشتنا عندما هممنا بتحريكه لنفسح المجال لدفن الوالدة إلى جانبه، فإذا بجسده ما زال دافئاً ودماؤه الحارة ذات اللون الأحمر القاني تسيل من جديد، وكأنه أصيب قبل دقائق معدودة".

وكذلك الشهيد "أنور حمران" فقد ذهبت والدته وزوجته و شقيقاته لوداعه وكان في ثلاجة المستشفى وبعد عناقه أصاب دمه ملابس زوجته وأمه وعند خروجهما من المستشفى فاحت رائحة المسك من دمه بشكل قوي جداً.

الغلام النصراني:
قال القرطبي في كتابه: وهكذا حكم من تقدمنا من الأمم ممن قتل شهيداً في سبيل الله أو قتل على الحق كأنبيائهم، و في قصة أصحاب الأخدود.

فقد روى صهيب بن سنان رضي الله عنه أنّ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: "كانَ إذا صلَّى العَصرَ همسَ والهمسُ في قولِ بعضِهِم تحرُّكُ شَفتيهِ كأنَّهُ يتَكَلَّمُ فقيلَ لَهُ: إنَّكَ يا رسولَ اللَّهِ إذا صلَّيتَ العصرَ هَمستَ؟ قالَ: **"إنَّ نبيًّا منَ الأنبياءِ كانَ**

أُعْجِبَ بأمَّتِهِ فقالَ: مَن يقومُ لِهَؤلاءِ؟ فأوحى اللَّهُ إليهِ أن خيِّرهم بينَ أن أنتقِمَ منهم وبينَ أن أسلِّطَ عليهِم عدوَّهُم، فاختاروا النِّقمةَ، فسلَّطَ عليهِمُ الموتَ، فماتَ منهُم في يومٍ سبعونَ ألفًا قالَ: وَكانَ إذا حدَّثَ بِهَذا الحديثِ حدَّثَ بِهَذا الحديثِ الآخرِ كانَ مَلِكٌ منَ الملوكِ وَكانَ لذلِكَ الملِكِ كاهنٌ يَكْهنُ لَهُ، فقالَ الكاهنُ: انظُروا إليَّ غلامًا فَهِمًا أو قالَ: فطنًا لقِنًا فأعلِّمَهُ عِلمي هذا، فإنِّي أخافُ أن أموتَ فينقَطعَ منكُم هذا العلمُ، ولا يَكونَ فيكم من يعلمُهُ. قالَ: فنظروا لَهُ على ما وصفَ، فأمروهُ أن يَحضرَ ذلِكَ الكاهنَ وأن يختلفَ إليهِ، فجعلَ يختلفُ، إليهِ وَكانَ على طريقِ الغلامِ راهبٌ في صومعةٍ قالَ معمرٌ: أحسَبُ أنَّ أصحابَ الصَّوامعِ كانوا يومئذٍ مسلِمينَ قالَ: فجعلَ الغلامُ يسألُ ذلِكَ الرَّاهبَ كلَّما مرَّ بِهِ، فلم يزَلْ بِهِ حتَّى أخبرَهُ، فقالَ: إنَّما أعبدُ اللَّهَ. قالَ: فجعلَ الغلامُ يمكثُ عندَ الرَّاهبِ ويبطئُ عنِ الكاهنِ، فأرسلَ الكاهنُ إلى أَهْلِ الغلامِ أنَّهُ لا يَكادُ يحضرُني، فأخبرَ الغلامُ الرَّاهبَ بذلِكَ، فقالَ لَهُ الرَّاهبُ: إذا قالَ لَكَ الكاهنُ: أينَ كنتَ؟ فقل: عندَ أَهْلي، وإذا قالَ لَكَ أَهْلُكَ: أينَ كنتَ؟ فأخبرهم أنَّكَ كنتَ عِندَ الكاهنِ. قالَ: فبينَما الغلامُ على ذلِكَ إذ مرَّ بجماعةٍ منَ النَّاسِ كثيرٍ قد حبَسَتهم دابَّةٌ، فقالَ بعضُهُم: إنَّ تلكَ الدَّابَّةَ كانت أسَدًا. فأخذَ الغلامُ حجَرًا فقالَ: اللَّهمَّ إن كانَ ما يقولُ الرَّاهبُ حقًّا فأسألُكَ أن أقتُلَها. قالَ: ثمَّ رمى فقَتَلَ الدَّابَّةَ. فقالَ النَّاسُ: مَن قتلَها؟ قالوا: الغلامُ، ففزِعَ النَّاسُ فقالوا: قد علِمَ هذا الغلامُ عِلمًا لم يعلَمهُ أحدٌ. قالَ: فسمعَ بِهِ أعمى، فقالَ لَهُ: إن أنتَ رددتَ بصري فلَكَ كذا وَكَذا. قالَ له: لا أريدُ منكَ هذا، ولَكِن أرأيتَ إن رجعَ إليكَ بصرُكَ، أتؤمنُ بالَّذي ردَّهُ عليكَ؟ قالَ: نَعم. قالَ: فدعا اللَّهَ فردَّ عليهِ بصرَهُ، فآمنَ الأعمَى، فبلغَ الملِكَ أمرُهُم، فبعثَ إليهم، فأُتيَ بِهِم، فقالَ: لأقتلنَّ كلَّ واحدٍ منكم قِتلةً لا أقتلُ بِها صاحبَهُ، فأمرَ بالرَّاهبِ والرَّجلِ الَّذي كانَ أعمى فوَضعَ المنشارَ على مفرقِ أحدِهِما فقتلَهُ، وقتلَ الآخرَ بقتلةٍ أخرى. ثمَّ أمرَ بالغلامِ، فقالَ: انطلِقوا بِهِ إلى جبلِ كذا وَكَذا فألقوهُ من رأسِهِ، فانطلقوا بِهِ إلى الجبلِ، فلمَّا انتَهَوا إلى ذلِكَ المَكانِ الَّذي أرادوا أن يلقوهُ منهُ جَعلوا يتَهافتونَ من ذلِكَ الجبلِ ويتردَّونَ، حتَّى لم يبقَ منهم إلَّا الغلامُ. قالَ: ثمَّ رجعَ، فأمرَ بِهِ الملِكُ أن ينطلِقوا بِهِ إلى البَحرِ فيلقونَهُ فيهِ، فانطلقَ بِهِ إلى البحرِ، فغرَّقَ اللَّهُ الَّذينَ كانوا معَهُ وأنجاهُ، فقالَ الغلامُ للملِكِ: إنَّكَ لا تَقتُلُني حتَّى تصلُبَني وترمِيَني وتقولَ إذا رميتَني: بسمِ اللَّهِ ربِّ هذا الغلامِ. قالَ فأمرَ بِهِ، فصلبَ، ثمَّ رماهُ، فقالَ: بسمِ اللَّهِ ربِّ هذا الغلامِ. قالَ: فوضعَ الغلامُ يدَهُ على صدغِهِ حينَ رميَ، ثمَّ ماتَ، فقالَ أُناسٌ: لقد علِمَ هذا الغلامُ علمًا ما علمَهُ أحدٌ، فإنَّا نُؤمنُ بربِّ هذا الغلامِ. قالَ: فقيلَ للملِكِ أجزَعتَ أن خالفَكَ ثلاثةٌ، فَهَذا العالَمُ كلُّهم قد خالفوكَ. قالَ: فخدَّ أخدودًا ثمَّ ألقى فيها الحطبَ والنَّارَ، ثمَّ جمعَ النَّاسَ. فقالَ: مَن رجعَ عن دينِهِ ترَكْناهُ، ومن لم يرجِعْ ألقيناهُ في هذِهِ النَّارِ، فجعلَ يُلقيهم في تلكَ الأخدودِ. قالَ: يقولُ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى فيهِ: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ} حتَّى بلغَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، قالَ: فأمَّا الغلامُ فإنَّهُ دُفِنَ" ، قالَ: فيذكرُ أنَّهُ أُخْرِجَ في زمنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ وأصبعُهُ على صَدغِهِ كما وضعَها حينَ قُتِلَ"([432]).

وقصة الأخدود مخرجة في صحيح مسلم، وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وعلى عيسى عليهما الصلاة والسلام.

شهداء أفغانستان:

_كان أحد المجاهدين حافظاً للقرآن واسمه (سيد شاه) عابداً متهجداً وكان صاحب رؤيا صادقة رؤاه تأتي كفلق الصبح وله كرامات كثيرة؟ ثم استشهد؟.

أُتي قبره بعد سنتين ونصف فكشف فوجد كما هو إلا أن لحيته طالت؟.

والأعجب من هذا أنه وجدت فوقه عباءة سوداء حريرية لم يرَ مثلها أبداً في الأرض، و رائحتها أطيب من المسك والعنبر.

_قال حبيب الله: استشهد أخي ياقوت وبعد ثلاثة شهور رأته أمي في المنام، فقال: كل جروحي برأت إلا جرح في رأسي؟.

---

432 _[حديث حسن أخرجه الترمذي].

فأصرت أمي أن تفتح القبر -وكان قبر أخي بجانب قبر آخر- فظهرت حفرة ظهر من خلالها القبر الآخر؟.
فرأينا أفعى فوق الميت، فقالت أمي: لا تحفروا.
فقلت: إن أخي شهيد، ولا يمكن أن نجد أفعى؟.
وعندما وصلنا للجثة فاحت العطور وعبقت في أنوفنا حتى كدنا نتخدر لشدة الرائحة؟ ووجدنا جرحه الذي في رأسه ينزف دماً؟.
فوضعت أمي إصبعها في دمه فتعطر إصبعها، و بقي بعد مرور ثلاثة أشهر معطراً يعبق شذى طيباً.

_قال محمد صاحب الشهيد عيد محمد -وهو مدعي عام خريج الشريعة في كابل- قال: لقد رأيت العرق يفيض من جبين الشهيد عيد محمد بعد ثلاثة أيام من استشهاده، و هو من طلبة العلم في زرمت قرب كرديز، وكلما مسحنا العرق عن جبينه فاحت رائحة المسك وفاض العرق مرة أخرى.

ما هو موقف العلم من هذا:
العلم وقف عاجزاً عن تحليل هذا الأمر والملحدون شكّكوا فيها وسموها خرافات، وهناك من المسلمين من بني جلدتنا من شكّك أيضاً للأسف الشديد.

الدكتور عبد الحميد قضاة اجتهد وعلّل ذلك بأن المكروبات هي جنود لله تعالى تنفذ أمره وقد أمرها بأن لا تقرب جسد الشهيد، لكن كيف سنعلل ابتسامتهم ونزيف دمائهم و تعرقهم و نمو لحاهم ورائحة المسك التي تخرج منهم**!**

أحياء ولكن لا تشعرون – عند ربهم يرزقون:
من يتدبر هاتين الجملتين يجد فيهما إعجازاً، ذلك لأننا نراهم جسداً ساكناً ونظنهم (نحسبهم) أمواتاً لأننا لا نشعر بما يحدث لأرواحهم التي تسرح في الجنة وتتنعم بنعيمها و ترزق من ثمارها.

لنستعرض الآيات الكريمة وتفسيرها من تفسير الطبري، **{وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ}**([433]).
"يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على طاعتي في جهاد عدوكم، وترك معاصيَّ، وأداء سائر فرائضي عليكم، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: هو ميت، فإن الميت من خلقي من سلبته حياته وأعدمته حواسه، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيماً، فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي، أحياء عندي، في حياة ونعيم، وعيش هني، ورزق سني، فرحين بما آتيتهم من فضلي، وحبوتهم به من كرامتي".

إن أرواح الشهداء تتعارف في طير بيض يأكلن من ثمار الجنة، وأن مساكنهم سدرة المنتهى، وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاث خصال من الخير: من قتل في سبيل الله منهم صار حياً مرزوقاً، ومن غلب آتاه الله أجراً عظيماً، ومن مات رزقه الله رزقاً حسناً.
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء، في صور طير خضر يطيرون في الجنة حيث شاؤوا منها، يأكلون من حيث شاؤوا.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الشُّهداءُ على بارقِ نهرٍ ببابِ الجنَّةِ في قبَّةٍ خضراءَ يخرُجُ إليهم رزقُهم مِن الجنَّةِ بُكرةً وعشيًّا"([434]).**

---

[433] _[البقرة: 154].
[434] _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان والمنذري وابن كثير والهيثمي وأحمد والطبراني والحاكم وابن حجر والسيوطي وأحمد شاكر والألباني].

وعن مسروق بن الأجدع بن مالك قال: "سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عن هذِه الآيَةِ: "{وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ} قالَ: أَما إنَّا قدْ سَأَلْنَا عن ذلكَ، فَقالَ: **"أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إلى تِلكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إليهم رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقالَ: هلْ تَشْتَهُونَ شيئًا؟ قالوا: أَيَّ شيءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذلكَ بهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِن أَنْ يُسْأَلُوا، قالوا: يا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا في أَجْسَادِنَا حتَّى نُقْتَلَ في سَبيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ ليسَ لهمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا"([435]).**

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"لمَّا أُصيبَ إخوانُكم بأُحدٍ جعل اللهُ أرواحَهم في جوفِ طيرٍ خضرٍ تَرِدُ أنهارَ الجنةِ ، تأكلُ من ثمارِها ، وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ معلقةٍ في ظِلِّ العرشِ ، فلمَّا وجدوا طِيبَ مأكلِهم ومشربِهم ومَقِيلِهم ، قالوا : من يُبلِّغَ إخوانَنا عنَّا أنَّا أحياءٌ في الجنةِ نُرزقُ؛ لئلا يزهدوا في الجهادِ ولا ينكلوا عن الحربِ؟ فقال اللهُ سبحانه : أنا أُبلِّغُهم عنكم ، قال : فأنزل اللهُ : {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} إلى آخرِ الآياتِ"([436]).**

وفي نصب قوله : فرحين وجهان:
أحدهما: أن يكون منصوباً على الخروج من قوله: عند ربهم.

ثانيهما: يرزقون، ولو كان رفعاً بالرد على قوله : بل أحياء فرحون، كان جائزاً.
أما يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، فإن الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من إخوانه وأهله، فيقال: يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر حين يقدم عليه، كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا.
يستبشرون بنعمة من الله وفضل أي بجنة من الله، ويقال: بمغفرة من الله وفضل هذا لزيادة البيان، والفضل داخل في النعمة، وفيه دليل على اتساعها، وأنها ليست كنعم الدنيا، وقيل: جاء الفضل بعد النعمة على وجه التأكيد.

وعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"([437]).**

وهي في العدد سبع:
١_يغفر له في أول دفعة.
٢_يرى مقعده من الجنة.
٣_يجار من عذاب القبر.
٤_يأمن من الفزع الأكبر.
٥_يوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها.
٦_يزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين.
٧_يشفع في سبعين من أقاربه.

---

435 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود].
436 _[حديث صحيح أخرجه القرطبي وابن الملقن وابن كثير وأحمد والألباني].
437 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه والألباني].

فهذا التفسير والإحصاء للنعمة والفضل.

قوله تعالى: **{وَأَنَّ اللَّهَ}**([438]).

قرأه الكسائي بكسر الألف، والباقون بالنصب، فمن قرأ بالنصب فمعناه يستبشرون بنعمة من الله ويستبشرون بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين.
ومن قرأ بالكسر فعلى الابتداء، ودليله قراءة ابن مسعود {والله لا يضيع أجر المؤمنين}.

و قوله تعالى: **{وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ}**.

ولا يرزق إلا حي، فلا يتعجل الأكل والنعيم لأحد، إلا للشهيد في سبيل الله بإجماع من الأمة"([439]).

لاحظ أخي المؤمن أن العلماء قد أجمعوا على أن أرواح الشهداء تأكل من ثمار الجنة، فاقرأوا معي ما قاله الرسول الكريم عمن يأكل من ثمار الجنة وما يصيبه بسبب ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **"إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها ويَشْرَبُونَ، ولا يَتْفُلُونَ ولا يَبُولونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ"** قالوا: فَما بالُ الطَّعامِ؟ قالَ: **"جُشاءٌ ورَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ، كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ"**. وفي رواية : بهذا الإسْنادِ إلى قَوْلِهِ: **"كَرَشْحِ المِسْكِ"([440])**.

يقول ابن تيمية: "من دخل الجنة فله الكرامة، له في الجنة ما اشتهت نفسه، ولذت عينه، كل ما يتمناه يحصل له، **{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** ؛ ليس فيها هموم ولا غموم ولا أكدار ولا أمراض ولا أسقام، ولا حر ولا برد، ولا برص ولا غبار، ولا مخاط ولا بول ولا غائط، ولا شيخوخة، ولا هرم، ولا موت، شباب دائم، وصحة دائمة، ونعيم دائم؛ نسأل الله أن يرزقنا من فضله"([441]) .

ومن المعلوم أن في حياة البرزخ يتأثر الجسد بحال الروح، وأن الجسد يصبح مرتبطاً بالروح عند الوفاة، وبما أن أرواح الشهداء ترزق من ثمار الجنة، فالأرواح سيكون حالها مثل حال أهل الجنة الذين سيقيمون بها، وبالتالي فإن الجسد سيتنعم بما تتنعم به الروح، ولذلك نرى أن الشهداء يرشحون المسك ودمائهم تنزف ويتعرّقون و تطول لحاهم، ويبقى جسدهم طرياً و ثيابهم كما هي، وهذا ما يعلل سبب عدم اقتراب الميكروبات والحشرات والحيوانات من هذا الجسد، لأن عملها محدود بالأرض الفانية.

وقد قال شارح العقيدة الطحوية: "وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء...، أما الشهداء، فقد شوهد منهم بعد مدةٍ من دفنه، كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، وكأنه كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول".

إن هذا التكريم الإلهي للشهداء هو دليل على صواب الطريق المستقيم وصحة مسيرة جهاد المسلمين ضد اليهود والأمريكان والروس، وهو اصطفاء وانتقاء من الله تعالى للمخلصين من عباده، فهم مكرمون بالدنيا والآخرة، وهي إشارات خير وبشرى، تطمئن قلوب ذويهم، وتشحذ همم محبيهم، وهذا يشوقنا لتمني الشهادة في سبيل الله.

---

438 _[آل عمران: 171].
439 _ [انظر باب ما جاء أن أرواح الشهداء في الجنة دون أرواح غيرهم – التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة – القرطبي].
440 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والبوصيري والسيوطي والأرناؤوط والألباني].
441 _[شرح كتاب الاعتقاد - الإيمان بالجنة والنار-].

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقاً، يَأْتُونَها كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وثِيابِهِمْ، فَيَزْدادُونَ حُسْناً وجَمالاً، فَيَرْجِعُونَ إلى أهْلِيهِمْ وقَدِ ازْدادُوا حُسْناً وجَمالاً، فيَقولُ لهمْ أهْلُوهُمْ: واللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنا حُسْناً وجَمالاً، فيَقولونَ: وأَنْتُمْ، واللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنا حُسْناً وجَمالاً"(442).**

وعن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة: "أسألُ اللهَ أنْ يجمَعَ بَيْني وبينَكَ في سوقِ الجنَّةِ قال سعيدٌ: أوَفيها سوقٌ ؟ قال: نَعم أخبَرني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **"أنَّ أهلَ الجنَّةِ إذا دخَلوها نزَلوا فيها بفضلِ أعمالِهم فيُؤذَنُ لهم في مقدارِ يومِ الجُمعةِ مِن أيَّامِ الدُّنيا فيَزُورونَ اللهَ جلَّ وعلا ويبرُزُ لهم عرشُه ويتبَدَّى لهم في روضةٍ مِن رياضِ الجنَّةِ فيُوضَعُ لهم منابِرُ مِن نورٍ ومنابِرُ مِن لؤلؤٍ ومنابِرُ مِن ياقوتٍ ومنابِرُ مِن زَبَرْجَدٍ ومنابِرُ مِن ذهَبٍ ومنابِرُ مِن فضَّةٍ ويجلِسُ أدناهم ـ وما فيهم دَنيٌّ ـ على كُثبانِ المِسكِ والكافورِ ما يرَوْنَ أنَّ أصحابَ الكراسيِّ أفضَلُ منهم مجلسًا"** قال أبو هُرَيْرَةَ: فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ وهل نرى ربَّنا ؟ قال: **"نَعم هل تتمارَوْنَ في رؤيةِ الشَّمسِ والقمرِ ليلةَ البدرِ؟"** قُلْنا لا قال: **"كذلكَ لا تتمارَوْنَ في رؤيةِ ربِّكم ولا يبقى في ذلكَ المجلِسِ أحَدٌ إلَّا حاضَره اللهُ محاضَرةً حتَّى إنَّه لَيقولُ للرَّجلِ منهم: يا فلانُ أتذكُرُ يومَ عمِلْتَ كذا وكذا ؟ يُذكِّرُه بعضَ غدَراتِه في الدُّنيا فيقولُ: يا ربِّ أفلَمْ تغفِرْ لي فيقولُ: بلى فبِسَعَةِ مغفرتي بلَغْتَ منزلتَكَ هذه قال: فبينا هم كذلكَ غشِيَتْهم سَحابةٌ مِن فوقِهم فأمطَرَتْ عليهم طِيبًا لَمْ يجِدوا مِثْلَ ريحِه شيئًا قطُّ ثمَّ يقولُ جلَّ وعلا: قوموا إلى ما أعدَدْتُ لكم مِن الكرامةِ فخُذوا ما اشتَهَيْتُم قال: فنأتي سوقًا قد حفَّتْ به الملائكةُ ما لَمْ تنظُرِ العيونُ إلى مِثْلِه ولَمْ تسمَعِ الآذانُ ولَمْ يخطُرْ على القلوبِ قال: فيُحمَلُ لنا ما اشتهَيْنا ليس يُباعُ فيه شيءٌ ولا يُشترَى وفي ذلكَ السُّوقِ يَلقى أهلُ الجنَّةِ بعضُهم بعضًا قال: فيُقبِلُ الرَّجُلُ ذو المنزلةِ المُرتفعةِ فيَلقى مَن هو دونَه وما فيهم دَنيٌّ فيَرُوعُه ما يرى عليه مِن اللِّباسِ فما ينقضي آخِرُ حديثِه حتَّى يتمثَّلَ عليه بأحسَنَ منه وذلكَ أنَّه لا ينبغي لأحَدٍ أنْ يحزَنَ فيها قال: ثمَّ ننصرِفُ إلى منازِلِنا فتَلْقانا أزواجُنا فيقُلْنَ: مرحبًا وأهلًا بحِبِّنا لقد جِئْتَ وإنَّ بكَ مِن الجَمالِ والطِّيبِ أفضَلَ ممَّا فارَقْتَنا عليه فيقولُ: إنَّا جالَسْنا اليومَ ربَّنا الجبَّارَ ويحُقُّنا أنْ ننقلِبَ بمِثْلِ ما انقلَبْنا"(443).**

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقاً مَا فِيهَا شِرَاءٌ وَلَا بَيْعٌ إِلَّا الصُّوَرَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخَلَ فِيهَا"(444).**

وقال عبد الله بن المبارك: أنبانا سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال: "يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق فينطلقون إلى كثبان المسك فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا: إنا لنجد لكن ريحاً ما كانت، لكن قال: فيقلن: لقد رجعتم بريح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا".

قال ابن المبارك: وأنبانا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: "إن في الجنة سوقا كثبان مسك يخرجون إليها ويجتمعون إليها فيبعث الله ريحا فتدخلها بيوتهم فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم: قد ازددتم حسنا بعدنا فيقولون لأهليهم: قد ازددتم أيضا بعدنا حسنا".

وعن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ونحن مجتمعون فقال: **"إِنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقاً ما يُباعُ فِيهَا، ولا يُشْتَرَى، ليس فيها إِلَّا الصُّوَرُ، فَمَنْ أحبَّ صُورَةً من رجُلٍ أوِ امْرَأَةٍ دخل فِيهَا"(445).**

---

442 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والسيوطي].
443 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان والهيتمي وابن القيم].
444 _[حديث صحيح أخرجه السيوطي والترمذي].
445 _[حديث ضعيف جداً أخرجه الطبراني والديلمي وابن حجر والهيثمي وابن كثير والمنذري والألباني].

بقي معنا من الشعر أبيات:

يأتون سوقا لا يباع ويشترى فيه فخذ منه بلا أثمان
قد أسلف التجار أثمان المبيـع بعقدهم في بيعة الرضوان
لله سوق قد أقامته الملائكة الكرام بكل ما إحسان
فيها الذي والله لا عين رأت كلا ولا سمعت به أذنان
كلا ولم يخطر على قلب امرئ فيكون عنه معبرا بلسان
فيرى امرأ من فوقه في هيئة فيروعه ما تنظر العينان
فإذا عليه مثلها إذ ليس يلـحق أهلها شيء من الأحزان
واها لذا السوق الذي من حله نال التهاني كلها بأمان
يدعى بسوق تعارف ما فيه من صخب ولا غش ولا ايمان

زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

أنشد أحدهم:

ينال الوصل من سهر الليالي	على الأقدام من لزم القياما
وما مقصودهم جنات عدن ولا	الحور الحسان ولا الخياما
سوى نظر الجليل فذا مناهم	فيا بشرى لهم قوما كراما

من عبدناه، من صليناه، من ابتلينا لِأجله، من اجتمعنا لأجله، من ناجيناه، من بكينا خوفاً منه وأملاً فيه.
نعم سَنراه!.
فَأي هناء بعد هذا الهناء؟!.
وأي صفاء العيش بعد هذا الصفاء؟!.
ثم أي نقاء بعد هذا النقاء؟!.

نعم، إنه يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "أتَى جِبْرِيلُ بمِرْآةٍ بيضاءَ فيها نُكتةٌ سَوْداءُ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **"ما هذا؟"** قال: الجُمُعةُ، فُضِّلْتَ بها أنتَ وأُمَّتُكَ، فالنَّاسُ لكُم فيها تَبَعٌ، اليهودُ والنَّصارَى، ولكُم فيها خيرٌ، وفيها ساعةٌ لا يُوافِقُها مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللهَ بخيرٍ إلَّا استُجِيبَ له، وهو عِندَنا يومُ المَزِيدِ. قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **"يا جِبريلُ، وما يومُ المَزِيدِ؟"** قال: إنَّ ربَّكَ اتَّخَذَ مِنَ الفِرْدوسِ واديًا أَفْيَحَ، فيه كَثِيبُ المِسْكِ، فإذا كان يومُ القيامةِ أَنزَل اللهُ- تبارَك وتعالَى- مَن شاءَ مِن مَلائِكَتِهِ، وحَولَهُ مَنابرُ مِن نورٍ، عليها مَقاعِدُ النَّبِيِّينَ، وحَفَّ تِلكَ المَنابرَ بمَنابرَ مِن ذهبٍ مُكَلَّلةٍ بالياقوتِ والزَّبَرْجَدِ، عليها الشُّهداءُ والصِّدِّيقونَ، فجَلَسوا مِن وَرائِهِم على تلكِ الكُثُبِ، فيَقولُ اللهُ تعالى: أنا ربُّكُم، قد صَدَقْتُكُم وعْدِي، فسَلُوني أُعْطِكُم، فيقولون: ربَّنا نَسأَلُكَ رِضوانَكَ، فيقولُ: قد رَضِيتُ عنكُم، ولكُم ما تَمنَّيْتُم، ولَدَيَّ مَزِيدٌ. فهُمْ يُحِبُّون يومَ الجُمُعةِ؛ لِمَا يُعطِيهِم فيهِ ربُّهُم مِنَ الخيرِ، وهو اليومُ الَّذي استوَى فيه ربُّكُم على العرشِ، وفيهِ خُلِقَ آدَمُ عليه السَّلامُ، وفيهِ تَقومُ السَّاعةُ"([446]).

وعن نضلة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَغْدُونَ فِي حُلَّةٍ، وَيَرُوحُونَ فِي أُخْرَى، كَغُدُوِّ أَحَدِكُمْ، وَرَوَاحِهِ إِلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا، فَكَذَلِكَ يَغْدُونَ وَيَرُوحُونَ إِلَى زِيَارَةِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ لَهُمْ بِمَقَادِيرَ وَمَعَالِمَ يَعْلَمُونَ تِلْكَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتُونَ فِيهَا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ"([447]).**

وذكر أبو نعيم أيضاً من حديث علي رضي الله عنه قال: **"إذا سَكَن أَهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ أتاهُم مَلَكٌ فيقولُ: إنَّ الله يأمُرُكُمْ أَنْ تَزوروهُ، فيَجْتَمِعونَ، فَيأْمُرُ الله تعالى داودَ عليه الصلاةُ والسلامُ، فيَرْفَعُ صَوْتَه بالتَّسْبيح والتَّهْليل، ثُمَّ توضَعُ مائدَةُ الخُلْد"** قالوا: يا رسولَ الله! وما مائدَةُ الخُلْدِ؟ قال: **"زاوِيَةٌ مِنْ زَواياها أوْسَعُ مِمّا بينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، فيَطْعَمون ثُمَّ يُسْقَوْنَ، ثُمَّ يُكْسَوْن، فيقولون: لَمْ يَبْقَ إلا النَظَرُ في وَجْهِ ربِّنا عزَّ وجلَّ، فَيَتجلَّى لَهُم، فيَخِرُّون سُجَّداً؛ فيقالُ: لَسْتُم في دارِ عَمَلٍ، إنَّما أَنْتُمْ في دارِ جَزاءٍ"([448]).**

446 _[حديث حسن لغيره؛ ورد بطرق كثيرة، أخرجه الشافعي والخطيب البغدادي والطبراني وابن مردويه باختلاف يسير، وابن القيم والبزار أبو يعلى مختصراً، وابن حجر والطبري والبيهقي وابن بطّة العكبري، وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا والألباني].
447 _[حديث ضعيف جداً أخرجه أبو نعيم والخطيب البغدادي].
448 _[حديث ضعيف جداً أخرجه أبو نعيم والمنذري وابن أبي الدنيا وابن القيم والألباني].

وقال الضحاك في قوله عز وجل: **{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا}**([449]).
قال: على النجائب عليها الرحال.

عن صيفي اليمامي قال: سأله عبد العزيز بن مروان عن وفدِ أهْلِ الجنَّةِ؟ قال: "إنَّهم يَفِدونَ إلى الله سُبْحانَه كلَّ يومِ خميس، فَتُوضَعُ لهُمْ أسِرَّةٌ، كلُّ إنْسانٍ منهم أعْرَفُ بِسَريرِه مِنْكَ بِسَريرِكَ هذا الذي أنْتَ عليه، فإذا قَعَدوا عليهِ وأَخذَ القومُ مجالِسَهُم؛ قال تبارَك وتعالى: أَطْعِموا عبادي وخَلْقِي وجِيرِاني ووفْدِي، فيُطْعَمونَ، ثم يقولُ: اسْقُوهُمْ، قال: فَيُؤْتَوْن بآنِيَةٍ مِنْ أَلْوانٍ شتَّى مُختَّمةٍ فيشربون منها، ثم يقولُ: عبادي وخَلْقي وجيراني ووَفْدي قد طَعِموا وشَرِبوا؛ فكِّهُوهُم، فتجيءُ ثَمراتُ شَجَرٍ مُدَلَّى، فيأكلونَ منها ما شاؤوا، ثمَّ يقولُ: عِبادي وخَلْقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشَرِبوا وفكهوا؛ اكْسُوهُم، فتجيء ثمراتُ شَجَرٍ أَخْضَرَ وأصْفَرَ وأحْمَر، وكلِّ لونٍ لم تُنْبِتْ إلا الحُلَلَ، فينْشُر عليهم حُللاً وقمُصاً، ثمَّ يقولُ: عبادي [وخَلْقي] وجيراني ووفدي قدْ طَعِموا وشَرِبوا وفَكِهُوا وكُسُوا؛ طيِّبوهُم، فيتَنَاثَرُ عليهمُ المِسْكُ مثلَ رَذاذ المطرِ، ثمَّ يقولُ: عِبادي وخَلْقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكِهوا وكُسُوا وطُيِّبوا؛ لأَتَجلَّيَنَّ علَيْهِم حتى يَنْظُروا إليَّ، فإذا تَجلَّى لهُمْ فنظروا إليْهِ نَضِرَتْ وجُوهُهُم، ثمَّ يقالُ: ارْجِعوا إلى منازِلِكم، فتقولُ لَهُم أزْواجُهم: خَرجْتُم مِنْ عندنا على صورَةٍ، ورَجَعْتُم على غَيْرِها! فيقولون: ذلك أنَّ الله جلَّ ثَناؤهُ تجلَّى لنا فنَظَرْنا إليْه، فنَضِرَتْ وجُوهنا"([450]).

بقي معنا من الشعر أبيات:

أو ما سمعت بشأنهم يوم	**المزيد وأنه شأن عظيم الشان**
هو يوم جمعتنا ويوم زيارة	**الرحمن وقت صلاتنا وأذان**
والسابقون إلى الصلاة هم الأولى	**فازوا بذاك السبق بالإحسان**
سبق بسبق والمؤخر ههنا	**متأخر في ذلك الميدان**
والأقربون إلى الإمام فهم	**أولو الزلفى هناك فههنا قربان**
قرب بقرب والمباعد مثله	**بعد ببعد حكمة الديان**
ولهم منابر لؤلؤ وزبرجد	**ومنابر الياقوت والعقيان**
هذا وأدناهم وما فيهم دنيّ	**من فوق ذاك المسك كالكثبان**
ما عندهم أهل المنابر فوقهم	**مما يرون بهم من الإحسان**
فيرون ربهم تعالى جهرة	**نظر العيان كما يرى القمران**
ويحاضر الرحمن واحدهم محاضرة	**الحبيب يقول يا ابن فلان**
هل تذكر اليوم الذي كنت فيه	**مبارزا بالذنب والعصيان**
فيقول رب أما مننت بغفرة	**قدما فإنك واسع الغفران**
فيجيبه الرحمن مغفرتي التي	**قد أوصلتك إلى المحل الداني**
فإذا هم رجعوا إلى أهليهم	**بمواهب حصلت من الرحمن**
قالوا لهم أهلا ومرحبا ما الذي	**أعطيتم من ذا الجمال الثاني**
والله لازددتم جمالا فوق ما	**كنتم عليه قبل هذا الآن**
قالوا وأنتم والذي أنشأكم	**قد زدتم حسنا على الإحسان**
لكن يحق لنا وقد كنا إذا	**جلساء رب العرش ذي الرضوان**
فهم إلى يوم المزيد أشد	**شوقا من محب للحبيب الداني**

449 _[مريم: 85].
450 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم وابن القيم والمنذري والألباني].

السحاب والمطر في الجنة

قد تقدم في حديث سوق الجنة أنه: "يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط".

و روى بقية بن الوليد عن كثير بن مرة قال: "إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم فلا يتمنون شيئاً إلا أمطروا".

وعن شُفَيِّ بْنِ مَاتِعٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إِنَّ مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ عَلَى الْمَطَايَا وَالنُّجُبِ، وَأَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِخَيْلٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ، لا تَرُوثُ وَلا تَبُولُ، فَيَرْكَبُونَهَا حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَأْتِيهِمْ مثل السَّحَابَةِ، فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، فَيَقُولُونَ: أَمْطِرِي عَلَيْنَا، فَمَا يَزَالُ الْمَطَرُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ فَوْقَ أَمَانِيِّهِمْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا غَيْرَ مُؤْذِيَةٍ، فَتَنْسِفُ كُثْبَانًا مِنَ مِسْكٍ عَنْ أَيْمَانِهِمْ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ، فَيَأْخُذُ ذَلِكَ الْمِسْكُ فِي نَوَاصِي خُيُولِهِمْ، وَفِي مَعَارِفِهَا وَفِي رُءُوسِهِمْ وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ جُمَّةٌ عَلَى مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، فَيَتَعَلَّقُ ذَلِكَ الْمِسْكُ فِي تِلْكَ الْجِمَامِ، وَفِي الْخَيْلِ، وَفِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الثِّيَابِ، ثُمَّ يُقْبِلُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا الْمَرْأَةُ تُنَادِي بَعْضَ أُولَئِكَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَمَا لَكَ فِينَا حَاجَةٌ؟ فَيَقُولُ: مَا أَنْتِ وَمَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا زَوْجَتُكَ وَحِبُّكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا كُنْتُ عَلِمْتُ مَكَانَكِ، فَتَقُولُ الْمَرْأَةُ: أَوَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فَيَقُولُ: بَلَى وَرَبِّي، فَلَعَلَّهُ يَشْتَغِلُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ مِقْدَارَ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، لا يَلْتَفِتُ وَلا يَعُودُ مَا يَشْغَلُهُ عَنْهَا إِلا مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ"([451]).**

تأملات:

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سبباً للرحمة والحياة في هذه الدار، ويجعله سبباً لحياة الخلق في قبورهم حيث يمطر على الأرض أربعين صباحاً مطراً متداركاً من تحت العرش، فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تطش عليهم وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا، ويثير لهم سحاباً في الجنة يمطرهم ما شاؤوا من طيب وغيره، وكذلك أهل النار ينشئ لهم سحاباً يمطر عليهم عذاباً إلى عذابهم، كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحاباً أمطر عليهم عذاباً أهلكهم، فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب.

بقي معنا من الشعر أبيات:

ويظلهم إذ ذاك منه سحابة	**تأتي بمثل الوابل الهتان**
بينا هم في النور إذ غشيتهم	**سبحان منشيها من الرضوان**
فتظل تمطرهم بطيب ما رأوا	**شبها له في سالف الأزمان**
فيزيدهم هذا جمالا فوق ما	**لهم وتلك مواهب المنان**

451 _[حديث ضعيف أخرجه نعيم بن حماد وابن أبي الدنيا].

ملوك الجنة

قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيرا}([452]).

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: ملكاً كبيراً قال: عظيماً، وقال استئذان الملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن.

وقال كعب في قوله تعالى: "{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيرا} ، يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتي الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة".

وقال بعضهم: الخدم ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بإذن.

وقال الحكم بن أبان: عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ثم تلا: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيرا}.

وقال ابن أبي الحواري: "سمعت أبا سليمان يقول في قوله عز وجل: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيرا} ، قال الملك الكبير: إن رسول الله يأتيه بالتحفة واللطف فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب: استأذن على ولي الله فإني لست أصل إليه، فيعلم ذلك الحاجب حاجباً آخر وحاجباً بعد حاجب ومن داره إلى دار السلام، باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن".

و روى ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه: **"إِنَّ أَسْفَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَجْمَعِينَ دَرَجَةً مَنْ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ عَشَرَةُ آلافِ خَادِمٍ"([453]).**

روى محمد بن عباد بن موسى عن أبي هريرة موقوفاً: **"إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً وَلَيْسَ فِيهِمْ دَنِيٌّ لَمَنْ يَغْدُو عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ وَيَرُوحُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ خَادِمٍ، لَيْسَ مِنْهُمْ خَادِمٌ إِلَّا مَعَهُ طُرْفَةٌ لَيْسَتْ مَعَ صَاحِبِهِ"([454]).**

و روى محمد بن عباد حدثنا زيد بن الحباب عن أبي هلال حدثنا حميد بن هلال قال: "ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن الأعلى عمل ليس عليه صاحبه".

و روى هارون بن سفيان أنبأنا محمد بن عمر أنبأنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبي عبد الرحمن الحبلى قال: "إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ".

و روى عبد الله بن المبارك عن أبي عبد الرحمن المغافري قال: "أنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه".

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ، وَاثْنَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجًا، وَيُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ، كَمَا بَيْنَ الْجَابِيَةِ إِلَى صَنْعَاءَ"([455]).**

---

452 _[الإنسان: 20].

453 _[حديث ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني والمنذري والدمياطي والهيثمي والسيوطي والهيتمي المكي].

454 _[حديث ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا والدولابي والبخاري في كتابه التاريخ والبوصيري والمنذري والألباني].

455 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان وأحمد والترمذي والسيوطي].

و روى عبد الله بن المبارك عن أبو الحجاج قال: جلست إلى أبي أمامة فقال: "إن المؤمن يكون متكئاً على أريكة إذا دخل الجنة وعنده سماطان من الخدم، وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن، فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذي يليه: ملك يستأذن ويقول للذي يليه: ملك يستأذنه حتى يبلغ المؤمن فيقول: ائذنوا له فيقول: أقربني إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه للذي يليه: ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف".

و روى ابن أبي الدنيا عن الضحاك بن مزاحم قال: "بينا ولي الله في منزله إذ أتاه رسول من الله عز وجل فقال للآذن: استأذن لرسول الله على ولي الله فيدخل الإذن فيقول له: يا ولي الله هذا رسول من الله يستأذن عليك قال: ائذن له فيأذن له فيدخل على ولي الله فيضع ما بين يديه تحفة فيقول: يا ولي الله إن ربك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تأكل من هذه قال: فيشبهه بطعام أكله أيضاً فيقول: إنما أكلت هذا الآن فيقول: إن ربك يأمرك أن تأكل منها فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة في الجنة قال: فذلك قوله تعالى: **{وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً}**".

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ فَيَقُولُ لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ فَيَقُولُ هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**"([456]).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قال: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا عَنْ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا قَالَ: **"لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ مِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ حَصْبَاؤُهَا الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ وَتُرْبَتُهَا الْوَرْسُ وَالزَّعْفَرَانُ مَنْ يَدْخُلُهَا يَخْلُدُ لَا يَمُوتُ وَيَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ لَا يَبْلَى شَبَابُهُمْ وَلَا تُخَرَّقُ ثِيَابُهُمْ"([457]).**

وفي الحديث: **"خلق الله تبارك وتعالى الجنةَ لَبنةً من ذهب، ولَبِنَةً من فِضّةٍ، وملاطُها المسكُ، وقالَ لها: تكلمي، فقالت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، فقالتَ الملائكةُ: طوبى لك منزل الملوك"([458]).**

---

456 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان والدارقطني والأرناؤوط والألباني].

457 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي والدارمي وابن أبي الدنيا والسيوطي وابن أبي شيبة والمنذري والألباني].

458 _[حديث صحيح أخرجه الطبراني والبزار والبيهقي و المنذري والألباني].

الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال

قال تعالى: **{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**([459]).

فانظر كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يقولُ اللهَ عز وجلَ: أعددتُ لعباديَ الصالحينَ ما لا عينُ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ"([460]).**

مصداق ذلك في كتاب الله: **{فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**.

وفي صحيح مسلم من حديث سعد بن سهل الساعدي رضي الله عنه قال: "شَهِدْتُ مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مَجْلِساً وَصَفَ فيه الجَنَّةَ حتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في آخِرِ حَديثِهِ: **"فِيهَا ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ ثُمَّ اقْتَرَأَ هذِه الآيَةَ: {تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**"([461]).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ"([462]).**

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"ألاَ مشمّرٌ للجنَّةِ؟ فإنَّ الجنَّةَ لاَ خطرَ لَها، هيَ وربِّ الْكعبةِ! نورٌ يتلألأُ، وريحانةٌ تَهتزُّ وقصرٌ مشيدٌ، ونَهرٌ مطَّردٌ وفاكِهةٌ كثيرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلةٌ، وحللٌ كثيرةٌ في مقامٍ أبداً، في حبرةٍ ونضرةٍ، في دارٍ عاليةٍ سليمةٍ بَهيَّةٍ"([463]).**

ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيره شرفاً وفضلاً.

وكما في سنن أبي داود عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا يُسْأَلُ بوجهِ اللهِ إلَّا الجَنةُ"([464]).**

459 _[السجدة: 16-17].
460 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد مختصراً، وابن ماجه والترمذي والنسائي باختلاف يسير].
461 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والوادعي والدارقطني].
462 _[حديث صحيح أخرجه البخاري].
463 _[حديث ضعيف أخرجه ابن ماجه والألباني].
464 _[حديث صحيح أخرجه السيوطي وابن حجر وأبي داود].

وفي معجم الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"لمَّا خلَق اللهُ جنَّةَ عَدْنٍ خلَق فيها ما لا عَيْنٌ رأَتْ ولا أُذُنٌ سمِعَتْ ولا خطَر على قلبِ بشَرٍ ثمَّ قال لها: تكلَّمي فقالت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}**"([465]).

وفي صحيح البخاري من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: **"مَوْضِعُ سَوْطٍ في الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها"**([466]).

و روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لَقَيْدُ سَوْطِ أحدِكم من الجنةِ، خيرٌ مِما بين السماءِ و الأرضِ"**([467]).

و روى الترمذي عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ"**([468]).

وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه وملأها من رحمته وكراماته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

---

465 _[حديث حسن أخرجه الطبراني والهيثمي والمنذري وابن كثير].
466 _[حديث صحيح أخرجه البخاري والترمذي وابن حبان والمنذري والهيثمي والألباني].
467 _[حديث صحيح أخرجه أحمد وابن حبان والمنذري والسيوطي والأرناؤوط والألباني].
468 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد والمنذري والأرناؤوط والألباني].

تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم

قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}([469]).

وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ولا يكلمهم الله يوم القيامة، فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً؛ إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال يؤاكلهم ويشاربهم ونحو ذلك تعالى الله عما يقولون.

وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة، وأن ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم، وتقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية، وأنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول: "سلام عليكم يا أهل الجنة". فيرونه عياناً، وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها.

ففي حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"ما مِنكُم أحَدٌ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ليسَ بيْنَهُ وبيْنَهُ تُرْجُمانٌ، فَيَنْظُرُ أيْمَنَ منه فلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ مِن عَمَلِهِ، ويَنْظُرُ أشْأَمَ منه فلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ، ويَنْظُرُ بيْنَ يَدَيْهِ فلا يَرَى إلَّا النَّارَ تِلْقاءَ وجْهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ"**([470]).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرؤية وسؤال الصحابة رضوان الله عليهم قالوا: "يا رَسولَ اللهِ، هلْ نَرَى رَبَّنَا يَومَ القِيَامَةِ؟ قالَ: **"هلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ في الظَّهِيرَةِ، ليسَتْ في سَحَابَةٍ؟"** قالوا: لَا، قالَ: **"فَهلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ليسَ في سَحَابَةٍ؟"** قالوا: لَا، قالَ: **"فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لا تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إلَّا كما تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قالَ: فَيَلْقَى العَبْدَ، فيَقولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فيَقولُ: بَلَى، قالَ: فيَقولُ: أَفَظَنَنْتَ أنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فيَقولُ: لَا، فيَقولُ: فإنِّي أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فيَقولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ، فيَقولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فيَقولُ: أَفَظَنَنْتَ أنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فيَقولُ: لَا، فيَقولُ: فإنِّي أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فيَقولُ له مِثْلَ ذلكَ، فيَقولُ: يا رَبِّ آمَنْتُ بكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بخَيْرٍ ما اسْتَطَاعَ، فيَقولُ: هَاهُنَا إذًا. قالَ: ثُمَّ يُقَالُ له: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ في نَفْسِهِ: مَن ذَا الذي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فيُخْتَمُ علَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بعَمَلِهِ، وَذلكَ لِيُعْذِرَ مِن نَفْسِهِ، وَذلكَ المُنَافِقُ وَذلكَ الذي يَسْخَطُ اللَّهُ عليه"**([471]).

وعن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"ما مِنكُم مِن أحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ليسَ بيْنَهُ وبيْنَهُ تُرْجُمانٌ، ولا حِجابٌ يَحْجُبُهُ"**([472]).

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: **"نَعَمْ، هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ"**، قُلْنَا: لَا قَالَ: **"كَذَلِكَ لَا تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاضَرَهُ اللَّهُ مُحَاضَرَةً، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ: يَا فُلَانُ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ يُذَكِّرُهُ بَعْضَ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ، قَالَ: فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ**

469 _[آل عمران: 77].
470 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه وأحمد والترمذي].
471 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والبوصيري والألباني].
472 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].

فَوْقِهِمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ، ثُمَّ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ، قَالَ: فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حُفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعِ الْآذَانُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ، قَالَ: فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا لَيْسَ يُبَاعُ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْتَرَى، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَ: فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ، فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ، فَمَا يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَمَثَّلَ عَلَيْهِ بِأَحْسَنَ مِنْهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا، قَالَ: ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا، فَتَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا، فَيَقُلْنَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِحِبِّنَا لَقَدْ جِئْتَ، وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطِّيبِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ وَيَحُقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا"([473]).

بقي معنا من الشعر أبيات:

أو ما سمعت منادي الإيمان	يخبر عن منادي جنة الحيوان
يا أهلها لكم لدى الرحمن	وعد وهو منجزه لكم بضمان
قالوا أما بيضت أوجهنا كذا	أعمالنا أثقلت في الميزان
وكذاك قد أدخلتنا الجنات	حين أجرتنا من مدخل النيران
فيقول عندي موعد قد آن أن	أعطيكموه برحمتي وحناني
فيرونه من بعد كشف حجابه	جهرا روى ذا مسلم ببيان
والله لولا رؤية الرحمن في	الجنات ما طابت لذي العرفان
أعلى نعيم رؤية وجهه	وخطابه في جنة الحيوان
وأشد شيء في العذاب حجابه	سبحانه عن ساكني النيران
وإذ رآه المؤمنون نسوا الذي	هم فيه مما نالت العينان
فإذا توارى عنهم عادوا إلى	لذاتهم من سائر الألوان
فلهم نعيم عند رؤيته سوى	هذا النعيم فحبذا الأمران
أو ما سمعت سؤال أعرف خلقه	بجلاله المبعوث بالقرآن
شوقا إليه ولذة النظر التي	بجلال وجه الرب ذي السلطان
فالشوق لذة روحه في هذه	الدنيا ويوم قيامة الأبدان
تلتذ بالنظر الذي فازت به	دون الجوارح هذه العينان
والله ما في هذه الدنيا ألذ	من اشتياق العبد للرحمن
وكذاك رؤية وجهه سبحانه	هي أكمل اللذات للإنسان
أوما علمت بأنه سبحانه	حقا يكلم حزبه بجنان
فيقول جل جلاله هل أنتم	راضون قالوا نحن ذو رضوان
أم كيف لا نرضى وقد أعطيتنا	ما لم ينله قط من إنسان
هل ثم شيء غير ذا فيكون	أفضل منه نسأله من المنان
فيقول أفضل منه رضواني فلا	يغشاكم سخط من الرحمن
ويذكر الرحمن واحدهم بما	قد كان منه سالف الأزمان
ويسلم الرحمن جل جلاله	حقا عليهم وهو في القرآن
وكذاك يسمعهم لذيذ خطابه	سبحانه بتلاوة الفرقان

473 _[حديث ضعيف أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم وابن حبان وابن عساكر والألباني].

آخر أهل الجنة دخولاً إليها

في الصحيحين من حديث أبي منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْها، وآخِرَ أهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فيَقولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيها، فيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّها مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فيَقولُ: يا رَبِّ وجَدْتُها مَلْأَى، فيَقولُ: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيها فيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّها مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فيَقولُ: يا رَبِّ وجَدْتُها مَلْأَى، فيَقولُ: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فإنَّ لكَ مِثْلَ الدُّنْيا وعَشَرَةَ أمْثالِها - أوْ: إنَّ لكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أمْثالِ الدُّنْيا - فيَقولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أوْ: تَضْحَكُ مِنِّي - وأَنْتَ المَلِكُ"** فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ، وكانَ يقولُ: **"ذاكَ أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً"(474).**

و روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ آخِرَ رَجُلٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ: رَجُلٌ يَتَقَلَّبُ عَلَى الصِّرَاطِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، كَالْغُلَامِ يَضْرِبُهُ أَبُوهُ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ يَعْجَزُ عَنْ عَمَلِهِ أَنْ يَسْعَى، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلِّغْ بِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَنَجِّنِي مِنَ النَّارِ، فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ: عَبْدِي، إِنْ نَجَّيْتُكَ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلْتُكَ الْجَنَّةَ أَتَعْتَرِفُ لِي بِذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ؟ فَيَقُولُ الْعَبْدُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، لَئِنْ نَجَّيْتَنِي مِنَ النَّارِ لَأَعْتَرِفَنَّ لَكَ بِذُنُوبِي وَخَطَايَايَ، فَيَجُوزُ الْجِسْرَ، وَيَقُولُ الْعَبْدُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ: لَئِنِ اعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي وَخَطَايَايَ لَيَرُدُّنِي إِلَى النَّارِ، فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ: عَبْدِي اعْتَرِفْ لِي بِذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ أَغْفِرْهَا لَكَ، وَأُدْخِلْكَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ الْعَبْدُ: لَا وَعِزَّتِكَ، مَا أَذْنَبْتُ ذَنْبًا قَطُّ، وَلَا أَخْطَأْتُ خَطِيئَةً قَطُّ، فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ: عَبْدِي، إِنَّ لِي عَلَيْكَ بَيِّنَةً، فَيَلْتَفِتُ الْعَبْدُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَلَا يَرَى أَحَدًا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَرِنِي بَيِّنَتَكَ، فَيَنْطِقُ اللَّهُ جِلْدَهُ بِالْمُحَقَّرَاتِ، فَإِذَا رَأَى ذَلِكَ الْعَبْدُ يَقُولُ: يَا رَبِّ عِنْدِي وَعِزَّتِكَ الْمُضْمَرَاتُ، فَيُوحِي اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَيْهِ: عَبْدِي، أَنَا أَعْرَفُ بِهَا مِنْكَ، اعْتَرِفْ لِي بِهَا أَغْفِرْهَا لَكَ، وَأُدْخِلْكَ الْجَنَّةَ، فَيَعْتَرِفُ الْعَبْدُ بِذُنُوبِهِ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ"** ، ثُمَّ ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، يَقُولُ: **"هَذَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، فَكَيْفَ بِالَّذِي فَوْقَهُ؟!"(475).**

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"آخِرُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، ويَكْبُو مَرَّةً، وتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فإذا ما جاوَزَها التَفَتَ إلَيْها، فقالَ: تَبارَكَ الذي نَجّانِي مِنْكِ، لقَدْ أعْطانِي اللَّهُ شيئًا ما أعْطاهُ أحَدًا مِنَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ له شَجَرَةٌ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْنِنِي مِن هذِه الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بظِلِّها، وأَشْرَبَ مِن مائِها، فيَقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: يا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إنْ أعْطَيْتُكَها سَأَلْتَنِي غَيْرَها، فيَقولُ: لا، يا رَبِّ، ويُعاهِدُهُ أنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَها، ورَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأنَّهُ يَرَى ما لا صَبْرَ له عليه، فيُدْنِيهِ مِنْها، فَيَسْتَظِلُّ بظِلِّها، ويَشْرَبُ مِن مائِها، ثُمَّ تُرْفَعُ له شَجَرَةٌ هي أحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْنِنِي مِن هذِه لأَشْرَبَ مِن مائِها، وأَسْتَظِلَّ بظِلِّها، لا أسْأَلُكَ غَيْرَها، فيَقولُ: يا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعاهِدْنِي أنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَها، فيَقولُ: لَعَلِّي إنْ أدْنَيْتُكَ مِنْها تَسْأَلُنِي غَيْرَها، فيُعاهِدُهُ أنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَها، ورَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأنَّهُ يَرَى ما لا صَبْرَ له عليه، فيُدْنِيهِ مِنْها فَيَسْتَظِلُّ بظِلِّها، ويَشْرَبُ مِن مائِها، ثُمَّ تُرْفَعُ له شَجَرَةٌ عِنْدَ بابِ الجَنَّةِ هي أحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْنِنِي مِن هذِه لأَسْتَظِلَّ بظِلِّها، وأَشْرَبَ مِن مائِها، لا أسْأَلُكَ غَيْرَها، فيَقولُ: يا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعاهِدْنِي أنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَها، قالَ: بَلَى يا رَبِّ، هذِه لا أسْأَلُكَ غَيْرَها، ورَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأنَّهُ يَرَى ما لا صَبْرَ له عليها، فيُدْنِيهِ مِنْها، فإذا أدْناهُ مِنْها فَيَسْمَعُ أصْواتَ أهْلِ الجَنَّةِ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْخِلْنِيها، فيَقولُ: يا ابْنَ آدَمَ ما يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أيُرْضِيكَ أنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيا ومِثْلَها معها؟ قالَ: يا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟"** فَضَحِكَ ابنُ مَسْعُودٍ، فقالَ: ألا تَسْأَلُونِي مِمَّ أضْحَكُ فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قالَ: هَكَذا ضَحِكَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: **"مِن ضَحِكِ رَبِّ العالَمِينَ حِينَ قالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟ فيَقولُ: إنِّي لا أسْتَهْزِئُ مِنْكَ، ولَكِنِّي علَى ما أشاءُ قادِرٌ"(476).**

---

474 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن خزيمة والألباني].
475 _[حديث ضعيف أخرجه الطبراني والهيثمي والسيوطي والألباني].
476 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد والألباني].

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في حديث طويل وفيه: "...وَمِنْهُم كشدِّ الرَّجُلِ حتَّى يمرَّ الَّذي أعطي نورَهُ على قدر إبهامِ قدمَهِ يحبو على وجهِهِ ويديهِ ورجليهِ تُجرُّ يدٌ وتعلَقُ يدٌ وتجرُّ رِجلٌ وتعلَقُ رجلٌ وتصيبُ جوانبَهُ النَّارُ فلا يزالُ كذلِكَ حتَّى يخلُصَ فإذا خلصَ وقفَ عليهم ثمَّ قالَ: الحمدُ للهِ لقد أعطاني اللَّهُ ما لم يُعطِ أحدًا إذ نجَّاني منها بعدَ أن رأيتُها قالَ فينطلَقُ بِهِ إلى غديرٍ عندَ بابِ الجنَّةِ فيغتسلُ فيه فيعودُ إليهِ ريحُ أَهْلِ الجنَّةِ وألوانُهُم فيرى ما في الجنَّةِ من خلالِ البابِ فيقولُ: ربِّ أدخِلني الجنَّةَ فيقولُ اللَّهُ تبارَكَ و تعالَى لَهُ: أتسألُ الجنَّةَ وقد نجَّيتُكَ منَ النَّارِ فيقولُ يا ربِّ اجعل بيني وبينَها حِجابًا لا أسمعُ حسيسَها قالَ: فيدخلُ الجنَّةَ قالَ ويرى -أو يرفعُ لَهُ- منزلٌ أمامَ ذلِكَ كأنَّما الذي هوَ فيهِ إليهِ حُلمٌ ليدخُلَهُ فيقولُ: ربِّ أعطني ذلِكَ المنزلَ فيقولُ: فلعلَّكَ إن أعطيتُكَهُ تسألُ غيرَهُ فيقولُ: وعزَّتِكَ لا أسألُ غيرَهُ وأيُّ منزلٍ يكونُ أحسَنَ منهُ قالَ: فيُعطاه فينزِلُهُ فقال: ويرى أو يُرفَعُ له أمامَ ذلكَ ليدخُلَهُ فيقولُ: ربِّ أعطِني ذلك المنزلَ فيقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: فلعلَّكَ إن أعطيتُكَهُ تسألُ غيرَهُ قالَ: لا وعزَّتِكَ لا أسألُ غيرَهُ وأيُّ منزلٍ يَكونُ أحسنَ منهُ قالَ: فيعطاهُ فينزلُ قال: ويرى أو يُرفَعُ له أمام ذلكَ منزلٌ آخرُ كأنَّما الَّذي هو فيهِ إليهِ حُلْمٌ فيقولُ: ربِّ أعطني ذلك المنزلَ فيقولُ اللَّهُ جلَّ جلالُهُ: فلعلَّكَ إن أعطيتُكَهُ تسألُ غيرَهُ قال: لا وعزَّتِكَ لا أسألُ غيرَهُ وأيُّ منزلٍ يكونُ أحسنَ منهُ قال: فيُعطاه فينزِلُ ثمَّ يسكتُ فيقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ما لَكَ لا تسألُ فيقولُ: ربِّ لقد سألتُكَ حتَّى استحييتُكَ وأقسَمتُ لَكَ حتَّى استحييتُكَ فيقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ألم تَرضى أن أُعْطيَكَ مثلَ الدُّنيا منذُ يوم خلقتُها إلى يومِ أفنيتُها وعشرةَ أضعافِهِ فيقولُ: أتستَهْزِئُ بي وأنتَ ربُّ العزَّةِ فيضحَكُ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ من قولِهِ قالَ: فرأيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ إذا بلغَ بهذا المَكانَ من هذا الحديثِ ضحِكَ فقالَ لَهُ رجلٌ: يا أبا عبدِ الرَّحمنِ قد سَمِعْتُكَ تحدِّثُ هذا الحديثَ مرارًا كلَّما بلغتَ هذا المَكانَ مِن هذا الحديثِ ضحِكْتَ فقالَ: إنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يحدِّثُ بهذا الحديثَ مرارًا كلَّما بلغَ هذا المَكانَ من هذا الحديثِ ضحِكَ حتَّى تبدُوَ أضراسُهُ قالَ: فيقولُ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ: لا ولَكِنِّي على ذلِكَ قادرٌ سَل فيقولُ ألحِقني بالنَّاسِ فيقولُ: الحقِ بالنَّاسِ قالَ: فينطلقُ يرمُلُ في الجنَّةِ حتَّى إذا دَنا منَ النَّاسِ رُفِعَ لَهُ قصرٌ من درَّةٍ فيخرُّ ساجدًا فقالُ لَهُ: ارفع رأسَكَ ما لَكَ فيقولُ: رأيتُ ربِّي - أو تراءى لي ربِّي - فيقالُ لَهُ: إنَّما هوَ منزلٌ من مَنازلِكَ قالَ: ثمَّ يَلقى فيها رجلًا فيتَهَيَّأُ للسُّجودِ فيقالُ لَهُ: ما لَكَ فيقولُ: رأيتُ أنَّكَ ملَكٌ منَ الملائِكَةِ فيقولُ له: إنَّما أَنا خازنٌ من خزَّانِكَ عبدٌ من عبيدِكَ تحتَ يدي ألفُ قَهْرمانٍ على مثلِ ما أنا عليهِ قالَ: فينطلقُ أمامَهُ حتَّى يَفتحَ لَهُ القصرَ قالَ: وَهوَ في درَّةٍ مجوَّفةٍ سقائفُها وأبوابُها وأغلاقُها ومفاتيحُها منها تستقبلُهُ جوهرةٌ خضراءُ مبطَّنةٌ بحمراءَ كلُّ جوهرةٍ تُفضي إلى جوهرةٍ على غيرِ لونِ الأخرى في كلِّ جوهرةٍ سررٌ وأزواجٌ ووصائفُ أدناهنَّ حوراءُ عيناءُ عليها سبعونَ حلَّةً يُرى مخُّ ساقِها من وراءِ حللِها كبدُها مرآتُهُ إذا أعرضَ عنها إعراضةً ازدادت في عينِهِ سبعينَ ضعفًا عمَّا كانت قبلَ ذلِكَ فيقولُ لَها: واللَّهِ لقدِ ازدَدتِ في عيني سبعينَ ضعفًا فتقولُ لَهُ: واللَّهِ واللَّهِ أنت لقدِ ازددتَ في عيني سبعينَ ضعفًا فيقالُ لَهُ: أشرِف قالَ: فيشرفُ فيقالُ لَهُ: ملكُكَ مسيرةُ مائةِ عامٍ ينفذُهُ بصرُهُ قالَ: فقالَ عمرُ ألا تسمعُ إلى ما يحدِّثُنا ابنُ أمِّ عبدٍ يا كعبُ عن أدنى أَهْلِ الجنَّةِ منزلًا فَكَيف أعلاهم قالَ كعبٌ: يا أميرَ المؤمنينَ فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمِعت إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ جعلَ دارًا فيها ما شاءَ منَ الأزواجِ والثَّمراتِ والأشربةِ ثمَّ أطبقَها فلم يرَها أحدٌ منَ خلقِهِ لا جبريلُ ولا غيرُهُ منَ الملائِكَةِ ثمَّ قرأ كعبٌ: **{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** قالَ: وخلقَ من دونَ ذلِكَ جنَّتينِ وزيَّنَهُما بما شاءَ وأراهما من شاءَ من خلقِهِ ثمَّ قالَ: من كانَ كتابُهُ في علِّيِّينَ نزلَ تلكَ الدَّارَ الَّتي لم يرَها أحدٌ حتَّى إنَّ الرَّجلَ من أَهْلِ علِّيِّينَ ليخرجُ فيسيرُ في ملكِهِ فلا تبقى خيمةٌ من خيامِ الجنَّةِ إلَّا دخلَها من ضوءِ وجهِهِ فيستبشِرونَ بريحِهِ فيقولونَ: واهًا لِهَذا الرِّيحِ هذا رجلٌ من أَهْلِ علِّيِّينَ قد خرجَ يسيرُ في ملكِهِ فقالَ: ويحَكَ يا كعبُ هذِهِ القلوبُ قدِ استرَسلَت فاقبِضها فقالَ كعبٌ: والَّذي نفسي بيدِهِ إنَّ لجهنَّمَ يومَ القيامةِ لَزفرةً ما يبقى من ملَكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسلٍ إلَّا يخرُّ لرُكْبتيهِ حتَّى إنَّ إبراهيمَ خليلَ اللَّهِ يقولُ: ربِّ نفسي نَفسي حتَّى لو كانَ لَكَ عملُ سبعينَ نبيًّا إلى عملِكَ لَظننتَ أَنَّكَ لا تَنجو"[477].

477_[حديث صحيح أخرجه ابن القيم والهيثمي والسيوطي والمنذري والأرناؤوط والطبراني والحاكم وابن أبي الدنيا والشاشي والدارقطني باختلاف يسير والألباني].

ذكر من يستحق البشارة بالجنة دون غيره

قال الله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا}([478]).

وقال تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}([479]).

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}([480]).

وقال تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ}([481]).

وقال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}([482]).

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}([483]).

وقال تعالى: {إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}([484]).

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً}([485]).

---

[478] _[البقرة: 25].
[479] _[يونس: 62-64].
[480] _[فصلت: 30].
[481] _[الزمر: 17-18].
[482] _[التوبة: 20-22].
[483] _[الشورى: 22-23].
[484] _[يس: 11].
[485] _[الأحزاب: 45-47].

وقال تعالى: {**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**}([486]).

وقال تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}([487]).

وقال تعالى: {**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**}([488]).

وقال تعالى: {**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**}([489]).

وقال في الجنة: {**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**}([490]).

وقال: {**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**}([491]).

وقال: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**}([492]) .

وقال تعالى: {**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**} إلى قوله: {**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}([493]).

وفي المسند وغيره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيُ يُسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ فَمَكَثْنَا سَاعَةً فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: **"اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا وَارْضَ عَنَّا وَأَرْضِنَا"** ثُمَّ قَالَ: **"لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} حَتَّى خَتَمَ الْعَشْرَ"([494]).**

---

486 _[آل عمران: 169-171].
487 _[التوبة: 111].
488 _[البقرة: 155-157].
489 _[الصف: 13].
490 _[آل عمران: 133].
491 _[الحديد: 21].
492 _[الكهف: 107].
493 _[المؤمنون: 1-11].
494 _[حديث ضعيف أخرجه أحمد والأرناؤوط وابن كثير].

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} إلى قوله: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}([495]).

وقال تعالى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}([496]).

وقال تعالى: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً}([497]).

وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}([498]).

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} إلى قوله: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}([499]).
وقال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}([500]).

وقال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}([501]).

وهذا في القرآن كثير مقداره على ثلاث قواعد: إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة.
فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهي تجتمع في أصلين: إخلاص في طاعة الله.
وإن لم تخلص لله فلا تتعب.

وإحسان إلى خلقه، وضدها يجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون، وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه ولا طريق إلى ذلك ألا بتحقيق القدوة ظاهرا وباطنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به إيجاباً واستحباباً كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا

---

495 _[الأحزاب: 35].
496 _[التوبة: 112].
497 _[مريم: 63].
498 _[آل عمران: 133-136].
499 _[الصف: 10-13].
500 _[الرحمن: 46].
501 _[النازعات: 40-41].

تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال الشافعي رحمه الله: "الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصف به خلقه".
وكأنه أخذ هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كالَّذِي تَقُولُ وَخَيْراً مِمَّا نَقُولُ"([502])**.

فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة؛ فأخبر سبحانه وعن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما كما يلهمون النفس، وفي هذا إشارة إلى أن التكاليف في الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التي يلهمونها، وفي لفظ اللهم إشارة إلى صريح الدعاء فإنها متضمنة لمعنى يا الله، فهي متضمنة للسؤال والثناء وهذا هو الذي فهمه من قال إذا أرادوا شيئاً قالوا: سبحانك اللهم، فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصروا به فإنهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عندما يريدون الشيء.
وليس في الآية ما يدل على ذلك بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح، وآخره الحمد وقد دل الحديث الصحيح على أنهم: **"يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والْحَمْدَ، كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ"([503])**.

فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت إرادة الشيء، وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية فهو لا يليق بحالهم والله تعالى أعلم بالصواب.

---

502 _[حديث ضعيف أخرجه الترمذي وابن خزيمة وأبو نعيم والألباني].
503 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد].

لسان أهل الجنة

روى ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِتُّونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْمَلَكِ عَلَى حُسْنِ يُوسُفَ عَلَى مِيلَادِ عِيسَى ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَعَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلُونَ"([504]).**

وقال عليه الصلاة والسلام: **"أحِبُّوا العرَبَ لثلاثٍ لأنِّي عرَبيٌّ والقُرآنَ عربيٌّ ولسانَ أهلِ الجنَّةِ عربيٌّ"([505]).**

ولكن لحديث ابن عباس شاهد رواه الطبراني أيضا في معجمه الأوسط من رواية شبل بن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مرفوعاً: **"أنا عربيٌّ والقرآنُ عربيٌّ ولِسانُ أهْلِ الجنَّةِ عربيٌّ"([506]).**

وهو مع ضعفه أيضاً أصح من حديث ابن عباس الآتي.

روى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: **"لسانَ أهلِ الجنَّةِ عربيٌّ"([507]).**

وقال عقيل قال الزهري: "لسان أهل الجنة عربي".

بقي معنا من الشعر بيت:

ولقد أتى حديث بأن لسانهم ... بالمنطق العربي خير لسان

---

504 _[حديث صحيح أخرجه ابن أبي الدنيا والألباني].

505 _[حديث حسن لغيره أخرجه الزرقاني وقيل صحيح كقول السيوطي وملا علي قاري، وأخرجه أيضاً الطبراني والحاكم ومحمد جار الله الصعدي والبيهقي والعقيلي والعراقي والهيثمي والسخاوي وابن عراق الكناني ومرعي الكرمي ومحمد بن محمد الغزي، و خلاصة القول فيه: أنه إمّا حسنٌ لغيره باعتبار مجموع الطرق الكثيرة وإما ضعيف ضعفاً خفيفاً تجوز روايتُه في الترغيب والترهيب؛ أما معناه فهو حسن المعنى صحيح، لكن الكلام في إسنادِه].

506 _[حديث ضعيف أخرجه الطبراني والهيثمي والسخاوي والعجلوني].

507 _[حديث ضعيف أخرجه ابن حجر].

احتجاج الجنة والنار

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"تَحاجَّتِ النَّارُ، والْجَنَّةُ، فَقالتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بالمُتَكَبِّرِينَ، والْمُتَجَبِّرِينَ، وقالتِ الجَنَّةُ: فَما لي لا يَدْخُلُنِي إلَّا ضُعَفاءُ النَّاسِ، وسَقَطُهُمْ، وعَجَزُهُمْ، فقالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أنْتِ رَحْمَتي أرْحَمُ بكِ مَن أشاءُ مِن عِبادِي، وقالَ لِلنَّارِ: أنْتِ عَذابِي أُعَذِّبُ بكِ مَن أشاءُ مِن عِبادِي، ولِكُلِّ واحِدَةٍ مِنكُم مِلْؤُها، فأمَّا النَّارُ فلا تَمْتَلِئُ، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عليها، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ فَهُنالِكَ تَمْتَلِئُ ويُزْوَى بَعْضُها إلى بَعْضٍ".**
وفي رواية : **"احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ"([508]).**

وفي الصحيح عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تَزالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فيها وتَقُولُ: هلْ مِن مَزِيدٍ، حتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فيها قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُها إلى بَعْضٍ وتَقُولُ: قَطْ قَطْ، بعِزَّتِكَ وكَرَمِكَ، ولا يَزالُ في الجَنَّةِ فَضْلٌ حتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لها خَلْقًا، فيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ"([509]).**

وفي لفظ مسلم: **"يَبْقَى مِنَ الجَنَّةِ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَبْقَى ثُمَّ يُنْشِئُ اللَّهُ تَعالَى لها خَلْقًا ممَّا يَشاءُ"([510]) .**

وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة: **"يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَن يَشاءُ، فيُلْقَوْنَ فيها، فَتَقُولُ: هلْ مِن مَزِيدٍ، ثَلاثًا، حتَّى يَضَعَ فيها قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ، ويُرَدُّ بَعْضُها إلى بَعْضٍ، وتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ"([511]).**

فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده، فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس واتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجّته وكذّب رسله قال تعالى: **{كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ}**([512]).
ولا يظلم الله أحداً من خلقه.

---

508 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والبخاري والترمذي وابن خزيمة والطبري وأحمد والنسائي وابن حبان والأرناؤوط والألباني].
509 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والطبري وابن خزيمة والألباني].
510 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان والأرناؤوط والألباني].
511 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير].
512 _[الملك: 8-9].

امتناع النوم على أهل الجنة وارتقاء أهل الجنة فيها

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"النَّومُ أخو الموتِ، ولا ينامُ أهلُ الجنةِ"**[513].

وإنّ متعة النوم لا تكون إلا لمن يحتاج إليه من تعب أو إرهاق أو مرض، وأهل الجنة لا يجدون شيئاً من ذلك، فهم في راحة واستراحة دائمة قائمة لا تنقطع.

وأما قوله تعالى: {**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**}([514]).

أي: وقت القيلولة.
والمراد بذلك: الوقت، وقت القيلولة يكونون في الجنة، ومعنى ذلك؛ أن الله تعالى يحاسب الخلائق يوم القيامة، ويفرغ منهم في قدر منتصف النهار، ويقيل أهل الجنة في الجنة.

وإنّ من كمال النعيم وتمام السرور والحبور في الجنة، لا ينامون حتى لا ينقص من نعيمهم شيء، والسبب أنه لا يوجد نوم ولا موت، هو انتفاء وانعدام عامل الزمن، ومتى كان ذلك ينعدم معه الأمس والغد والمستقبل والماضي.

فربما هذه هي الحكمة في ذلك والله أعلى وأعلم بالصواب.

---

513 _[حديث صحيح بمجموع طرقه، أخرجه البيهقي ومحمد جار الله الصعدي والعجلوني والعقيلي والطبراني وابن عدي ومحمد بن محمد الغزي والسيوطي وابن حجر والهيثمي وابن القيم وابن القيسراني وابن حزم وأبو نعيم والبزار والألباني].

514 _[الفرقان: ٢٤].

إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله

قال تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}**([515]).

وروى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"إنَّ اللهَ لَيرفعُ ذِرِّيَّةَ المؤمنِ إليه في درجتِه، وإن كانوا دونه في العملِ، لتقَرَّ بهم عينُه، ثم قرأ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}** ثم قال: **"و ما نقَصْنا الآباءَ بما أعطينا البنينَ"**([516]).

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان على ثلاثة أقوال واختلافهم مبني على أن قوله بإيمان حال من الذرية والتابعين أو المؤمنين المتبوعين:

فقالت طائفة:

المعنى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم، فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به وألحقناهم بهم في الدرجات.

قالوا: ويدل على هذا قراءة من قرأ واتبعتم ذريتهم فجعل الفعل في الإتباع لهم.

قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار كما قال: **{وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ}**([517]).

و قال: **{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ}**([518]).

وقال: **{وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ}**([519]).

وهذا قول الكبار والعقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه قول سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: **"إنَّ اللهَ يَرفَعُ ذُرِّيَّةَ المؤْمِنِ معه في درجتِه في الجَنَّةِ، وإنْ كانوا دُونَه في العملِ"**([520]).

فهذا يدل على أنهم دخلوا الجنة بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلغهم إياها وإن تقاصر عملهم عنها.

قالوا: أيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار، وعلى هذا فيكون المعنى إن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التبعية وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقراراً لعينه وتكميلاً لنعيمه، وهذا كما إن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم معه في الدرجة تبعاً وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن.

وقالت طائفة أخرى:

---

515 _[الطور: 21].
516 _[حديث صحيح أخرجه الألباني].
517 _[الأنعام: 84].
518 _[الإسراء: ٣].
519 _[الأعراف: ١٧٣].
520 _[حديث ضعيف أخرجه البيهقي].

الذرية هاهنا الصغار، والمعنى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء، وإن كانوا صغاراً في الإيمان وإحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك، إلا فيما كان من أحكام البالغين.

ويكون قوله: بإيمان على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين؛ أي واتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.
قالوا: ويدل على صحة هذا القول البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب، لاستقلالهم بأنفسهم ولو كان المراد بالذرية البالغين، لكن أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم، وهلم جرا إلى يوم القيامة فيكون الآخرون في درجة السابقين.

وقالوا: ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان، ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً بل إيمان استقلال.
قالوا: ويدل عليه إن الله سبحانه وتعالى جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين، وأما الإتّباع فإن الله سبحانه وتعالى يرفعهم إلى درجة أهليهم، وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم، وأيضا فالحور العين والخدم في درجة أهليهم، وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم.

وقالت طائفة ثالثة:
منهم الواحدي: الوجه إن تحمل الذرية الصغار والكبار، لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب.
قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والابن والأب كما قال تعالى: **{وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}**([521]).
أي آباءهم والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختياري الكسبي، فمن وقوعه على التبعي قوله: **{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ}**([522]).
فلو اعتق صغيراً جاز.

قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: **"إنَّ اللهَ يَرفَعُ ذُرِّيَّةَ المؤْمِنِ معه في درجتِه في الجَنَّةِ، وإنْ كانوا دُونَه في العملِ، ثمَّ قَرأَ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ}"** ، يَقولُ: **"وما نَقَصْناهُم"([523]).**

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية: الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه، وإن لم يبلغوا ذلك.
وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له كما كان يحب إن يجتمعوا في الدنيا.
وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة.
وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء، رفع الله الأبناء إلى الآباء وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء.

---

521 _[يس: 41].
522 _[النساء: 92].
523 _[حديث ضعيف أخرجه البيهقي وابن عدي].

وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً.

وقال: ويدل على صحة هذا القول إن القراءتين كالآيتين فمن قرأ: **{وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم}**.

فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ}**([524]).

ومن قرأ: {واتبعناهم ذرياتهم} فهذا في حق الصغار الذين اتبعهم الله إياهم في الإيمان حكماً، فدلت القراءتان على النوعين.

واختصاص الذرية هاهنا بالصغار أظهر، لئلا يلزم استواء المتأخرين بالسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا في الصغار، فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته والله أعلم.

524 _[التوبة: 100].

أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة

جعل الله لكل واحد من بني آدم منزلين: منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، ثم إن من كتب له الشقاوة من أهل الكفر والشرك يرثون منازل أهل الجنة التي كانت لهم في النار، والذين كتب لهم السعادة من أهل الجنة يرثون منازل أهل النار التي كانت لهم في الجنة، قال تعالى في حق المؤمنين المفلحين بعد أن ذكر أعمالهم التي تدخلهم الجنة: **{أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**(525).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"مَا مِنْكُم من أحد إِلَّا لَهُ منزلان منزل فِي الْجنَّة ومنزل فِي النَّار فَإِذا مَاتَ فَدخل النَّار ورث أهل الْجنَّة منزله فَذَلِك قَوْله: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ}**"(**526**).

وقال ابن جُرَيْج: عن لَيْث، عن مجاهد: "**{أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ}** قال: ما من عبد إلا وله منزلان منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار".
وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك.

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار، لأنهم خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له، فلمّا قام هؤلاء بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به ممّا خلقوا له، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل، بل أبلغ من هذا أيضاً، وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى"(527).**

وفي لفظ له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إلى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيّاً، أوْ نَصْرانِيّاً، فيَقولُ: هذا فِكاكُكَ مِنَ النَّارِ"(528).**

وهذا الحديث كقوله تعالى: **{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا}**(529).

وقوله: **{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**(530).

فهم يرثون نصيب الكفار في الجنان.

---

525 _[المؤمنون: 10-11].
526 _[حديث صحيح أخرجه ابن ماجه وأحمد والسيوطي وابن حجر والشوكاني والطبري والبيهقي وابن أبي شيبة].
527 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد بمعناه والبيهقي والألباني].
528 _[حديث صحيح أخرجه مسلم].
529 _[مريم: ٦٣].
530 _[الزخرف: ٧٢].

ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالى: **{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}**([531]).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إذا دخَل أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، يُجاءُ بالموتِ كأنَّه كَبشٌ أملَحُ، فيوقَفُ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقالُ: يا أهلَ الجَنَّةِ، هل تَعرِفونَ هذا؟ قال: فيَشرَئِبُّونَ فيَنظُرونَ، ويقولونَ: نَعمْ، هذا الموتُ، قال: فيُقالُ: يا أهلَ النَّارِ، هل تَعرِفونَ هذا؟ قال: فيَشرَئِبُّونَ فينظُرُونَ ويقولونَ: نَعمْ، هذا الموتُ، قال: فيُؤمَرُ به فيُذبَحُ، قال: ويُقالُ: يا أهلَ الجَنَّةِ، خُلودٌ لا موتٌ، ويا أهلَ النَّارِ، خُلودٌ لا موتٌ"** ، قال: ثُم قرَأ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: **"{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}"**([532]).

وفي الصحيح أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"يُدْخِلُ اللَّهُ أهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، ويُدْخِلُ أهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بيْنَهُمْ فيَقولُ: يا أهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، ويا أهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، كُلٌّ خالِدٌ فِيما هو فِيهِ"**([533]).

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"إذا صارَ أهْلُ الجَنَّةِ إلى الجَنَّةِ، وأَهْلُ النَّارِ إلى النَّارِ، جِيءَ بالمَوْتِ حتَّى يُجْعَلَ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: يا أهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، ويا أهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، فَيَزْدادُ أهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إلى فَرَحِهِمْ، ويَزْدادُ أهْلُ النَّارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهِمْ"**([534]).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ قَالَ: أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُلَبَّبًا فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ فَيُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ قَدْ عَرَفْنَاهُ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنَا فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ"**([535]).

إشكال وردّه:
هذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأً قبيحاً.
وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسّم فضلاً عن أن يذبح، وهذا لا يصح، فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب.

والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ سبحانه وتعالى من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدوره للرب تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال، ولا حاجة إلى تكلف من قال: أن الذبح لملك الموت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قله الفهم لمراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من كلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح، وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتدِ الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه، وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجسام ويجعلها مادة

---

531 _[مريم: 39].
532 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والطبراني وأحمد والنسائي وأبو يعلى باختلاف يسير، والأرناؤوط والألباني].
533 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والألباني].
534 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن حبان وأبو نعيم وأحمد والأرناؤوط والألباني].
535 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد باختلاف يسير وابن القيم والأرناؤوط وابن العربي والألباني].

لها كما في الصحيح عنه: **"اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما"([536]).**

فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه تعالى غمامتين.

وكذلك قوله في الحديث الآخر: **"الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ يُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ أَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ"([537]).**

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: **"فيقولُ: أنا عمَلُكَ الصَّالِحُ، فيقولُ: ربِّ أَقِمِ السَّاعةَ! ربِّ أَقِمِ السَّاعةَ! حتَّى أَرجِعَ إلى أهلي ومالي... فيقولُ: أَبشِرْ بالَّذي يَسوءُكَ، هذا يومُكَ الَّذي كنتَ تُوعَدُ، قال: فيقولُ: مَن أنتَ؟ فوَجهُكَ الوَجهُ الَّذي يَجيءُ بالشَّرِّ، فيقولُ: أنا عمَلُكَ الخَبيثُ، فيقولُ: ربِّ لا تُقِمِ السَّاعةَ، ربِّ لا تُقِمِ السَّاعةَ"([538]).**

وهذا حقيقة لا خيال، ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة.
وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم؛ أنشأ الله سبحانه لهم منه نوراً يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل.

وقال مجاهد مثل ذلك وقال ابن جريج: "يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه، ويبشره بكل خير فيقول له: من أنت فيقول: أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله تعالى: **{يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ}**".

والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة، فيلازم صاحبه حتى يقذفه في النار".

وقال ابن المبارك: حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية: "**{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}** ، قال: علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا: **{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}**".

قيل: لا.
قالوا: إنَّ هذا لهو الفوز العظيم.
وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وآمنوا من الأسقام، فهنا هم في جوار الله فيبكي حتى تجري دموعه على لحيته.

بقي معنا من الشعر أبيات:

أو ما سمعت بذبحه للموت	**بيـن المنزلين كذبح كبش الضان**
حاشا لذا الملك الكريم وإنما	**هو موتنا المحتوم للإنسان**
والله ينشىء منه كبشا أملحا	**يوم المعاد يرى لنا بعيان**

[536] _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان وأحمد والدارمي باختلاف يسير، والبزار مختصراً، والطبراني والبغوي والمنذري وابن تيمية والألباني].
[537] _[حديث صحيح أخرجه أحمد وأبو نعيم والأرناؤوط والألباني].
[538] _[حديث صحيح أخرجه ابن جرير الطبري والبيهقي وأبي داود وأحمد والنسائي وابن ماجه مختصراً والقرطبي وابن تيمية و ابن القيم والبوصيري والطيالسي والسيوطي والمنذري وابن أبي شيبة والأرناؤوط والوادعي والألباني].

ينشىء من الأعراض أجساما كذا بالعكس كل قابل الإمكان
أفما تصدق أن أعمال العباد تحط يوم العرض في الميزان
وكذاك تثقل تارة وتخف أخرى ذاك في القرآن ذو تبيان
وله لسان كفتاه تقيمه والكفتان إليه ناظرتان
ما ذاك أمرا معنويا بل هو المحسوس حقا عند ذي الإيمان
أو ما سمعت بأن تسبيح العباد وذكرهم وقراءة القرآن
ينشيه رب العرش في صورة يجادل عنه يوم قيامة الأبدان
أو ما سمعت بأن ذاك حول عرش الرب ذو صوت وذو دوران
يشفعن عند الرب جل جلاله ويذكرون بصاحب الإحسان
أو ما سمعت بأن ذلك مؤنس في القبر للملفوف في الأكفان
في صورة الرجل الجميل الوجه في سن الشباب كأجمل الشبان
يأتي يجادل عنك يوم الحشر للرحمن كي ينجيك من نيران
في صورة الرجل الذي هو شاحب يا حبذا ذاك الشفيع الداني

كل العبادات تلغى إلا عبادة الذكر فإنها دائمة

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يأكلُ أهلُ الجنَّةِ فيها ويشرَبونَ، ولا يَمْخُطونَ، ولَا يتَغَوَّطونَ، ولَا يبولونَ، وإِنَّما طعامُهم جشاءٌ، ورشْحٌ كرشْحِ المسْكِ، يُلْهَمُونَ التسبيحَ والحمدَ كما يُلْهمونَ النفَسَ"([539]).**

وفي رواية: **"التَّسْبِيحَ والتَّكْبِيرَ كما تُلْهَمُونَ"([540]).**

بالتاء المثناة من فوق؛ أي تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس.

539 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والبخاري وأحمد وابن حبان].
540 _[حديث صحيح أخرجه مسلم].

كيف يعرف النهار والليل في الجنة

ليس في الجنة ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر، ولا حر ولا برد قال تعالى: **{لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا}**([541]).

وهم في نور أبداً، إنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرخاء الحجب، وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب.

وما جاء من ذكر البكرة والعشية والجمعة ونحوها، فالمراد: قدر وقتها من الدنيا.

قال الله تعالى: **{لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}**([542]).

قال القرطبي: "قوله تعالى: **{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}** ؛ أي لهم ما يشتهون من المطاعم والمشارب، بكرة وعشيا؛ في قدر هذين الوقتين، إذ لا بكرة ثم، ولا عشي، كقوله تعالى: **{غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ}** ؛ أي قدر شهر، قال معناه ابن عباس وابن جريج وغيرهما...".

وقال العلماء: ليس في الجنة ليل ولا نهار، وإنما هم في نور أبداً، إنما يعرفون مقدار الليل من النهار، بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب؛ ذكره أبو الفرج الجوزي والمهدوي وغيرهما"([543]).

وقال الأمين الشنقيطي: " وقوله في هذه الآية الكريمة: **{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}** ، فيه سؤال معروف، وهو أن يقال: ما وجه ذكر البكرة والعشي، مع أن الجنة ضياء دائم، ولا ليل فيها؟.
وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة:
الأول: أن المراد بالبكرة والعشي: قدر ذلك من الزمن، كقوله: غدوها شهر ورواحها شهر، أي: قدر شهر، وروي معنى هذا عن ابن عباس، وابن جريج وغيرهما.

الجواب الثاني: أن العرب كانت في زمنها ترى أن من وجد غداء وعشاء، فذلك الناعم، فنزلت الآية مرغبة لهم، وإن كان في الجنة أكثر من ذلك، ويُروى هذا عن قتادة، والحسن، ويحيى بن أبي كثير.

الجواب الثالث: أن العرب تعبر عن الدوام بالبكرة والعشي، والمساء والصباح، كما يقول الرجل: أنا عند فلان صباحاً ومساءً، وبكرةً وعشياً، يريد الديمومة، ولا يقصد الوقتين المعلومين.

الجواب الرابع: أن تكون البكرة هي الوقت الذي قبل اشتغالهم بلذاتهم، والعشي: هو الوقت الذي بعد فراغهم من لذاتهم؛ لأنه يتخللها فترات انتقال من حال إلى حال، وهذا يرجع معناه إلى الجواب الأول..."([544]).

---

541 _[الإنسان: ١٣].
542 _[مريم: 62].
543 _[تفسير القرطبي (11/ 126)].
544 _[أضواء البيان" (3/ 470)].

وقال الملا علي القاري: وإنما يعرف وقت الليل والنهار بإرخاء أستار الأنوار ورفعها، على ما ورد في بعض الأخبار، فبهذا يعرف يوم الجمعة وأيام الأعياد، وما يترتب عليهما من الزيارة والرؤية، وسائر الإمداد والإسعاد"([545]).

وقال ابن علان: "(يأتونها كل جمعة) أي: في قدر ذلك: وهل المراد قدر جمعة من جمع الدنيا، أو من جمع الآخرة؟. الأول أبلغ في الإكرام، ثم رأيت المصنف قال أي: في مقدار كل جمعة أي: أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار. وهو موافق لما ذكرته"([546]).

545 _[مرقاة المفاتيح (9/ 3580)].
546 _[دليل الفالحين شرح رياض الصالحين" (8/ 470)].

خاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**([547]).

قال حجاج: عن ابن جريج أخبرت أن قوله: "**{دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ}** قال: إذا مر بهم الطير ليشتهونه قالوا: سبحانك اللهم وذلك دعواهم، فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله تعالى: **{تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}** ؛ قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى: **{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**".

قال سعيد: عن قتادة في قوله تعالى: "**{دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ}** ، يقول: ذلك دعاؤهم فيها وتحيتهم فيها سلام".

وقال الأشجعي: سمعت سفيان الثوري يقول: "إذا أرادوا الشيء قالوا: **{سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ}** ، فيأتيهم ما دعوا به ".
ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به.

وسأل بن الكواء علياً عنها فقال: "كلمة رضيها الله تعالى لنفسه".
عن طلحة بن عبيد الله قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَفْسِيرِ سُبْحَانَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: **"تَنْزِيهُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ السُّوءِ"(**[548]**)**.

فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا: سبحان الله، وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم هو قولهم: الحمد لله رب العالمين ومعنى الآية أعم من هذا.

---

547 _[يونس: 9-10].
548 _[حديث ضعيف أخرجه البزار والبيهقي والسيوطي والهيثمي وابن جرير والخطيب البغدادي وأبو إسحاق الحويني].

ضحك أهل الجنة من أهل النار

بعد أن يدخل الله أهل الجنة الجنة ينادون خصومهم من الكفار أهل النار مبكتين ومؤنبين: **{وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}**([549]).

لقد كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنين، ويسخرون منهم، ويهزؤون بهم، وفي ذلك اليوم ينتصر المؤمنون، فإذا بهم وهم في النعيم المقيم، ينظرون إلى المجرمين، فيسخرون منهم، ويهزؤون بهم: **{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}**([550]).

نعم، والله لقد جوزي الكفار بمثل ما كانوا يفعلون، والجزاء من جنس العمل، ويتذكر المؤمن في جنات النعيم، ذلك القرين أو الصديق الذي كان يزين له الكفر في الدنيا، وكان يدعوه إلى تلك المبادئ الضالة التي تجعله في صف الكافرين أعداء الله، فيحدّث إخوانه عن ذلك القرين، ويدعوهم للنظر إليه في مقره الذي يعذب فيه، فعندما يرى ما يعاينه من العذاب؛ يعلم مدى نعمة الله عليه، وكيف خلصه من حاله، ثم يتوجه إليه باللوم والتأنيب: **{فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**([551]).

---

549 _[الأعراف: 44].
550 _[المطففين: 22-36].
551 _[الصافات: 50-60].

رؤية ربنا الرحمن

إن أعظم النعيم النظر إلى وجه الله الكريم في جنات النعيم، يقول ابن الأثير: "رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منها ما نرجو"([552]).

وقد صرح الحق تبارك وتعالى برؤية العباد لربهم في جنات النعيم، فقال سبحانه: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}**([553]).

والكفار والمشركون يحرمون من هذا النعيم العظيم، والتكرمة الباهرة: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}**([554]).

وقد روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ"([555]).**

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"جَنَّتانِ مِن فِضَّةٍ آنِيَتُهُما، وما فِيهِما، وجَنَّتانِ مِن ذَهَبٍ آنِيَتُهُما، وما فِيهِما، وما بيْنَ القَوْمِ وبيْنَ أنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلَّا رِداءُ الكِبْرِياءِ علَى وجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ"([556]).**

والنظر إلى وجه الله تعالى هو من المزيد الذي وعد الله به المحسنين: **{لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}**([557]) ، **{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}**([558]).

وقد فسرت الحسنى بالجنة، والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، يشير إلى هذا الحديث الذي رواه مسلم وذكرناه قبل قليل.

ورؤية الله رؤية حقيقية، لا كما تزعم بعض الفرق التي نفت رؤية الله تعالى بمقاييس عقلية باطلة، وتحريفات لفظية جائرة، وقد سئل الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة عن قوله تعالى: **{إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}**.

فقيل: إن قوماً يقولون: إلى ثوابه، فقال مالك: "كذبوا، فأين هم عن قوله تعالى: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}**؟".

قال مالك: "الناس ينظرون إلى الله يوم القيامة بأعينهم، وقال: لو لم يرَ المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يعبر الله عن الكفار بالحجاب، فقال: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}**"([559]).

---

552 _[جامع الأصل: (557/10)].
553 _[القيامة: 22-23].
554 _ المطففين: ١٥].]
555 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد وابن خزيمة والدارقطني والألباني].
556 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وابن خزيمة وابن ماجه والنسائي وأبو نعيم والألباني].
557 _[ق: ٣٥].
558 _[يونس: ٢٦].
559 _[رواه في " شرح السنة ومشكاة المصابيح: (100/3) ، ورقمه: 5663].

ومن الذين نصوا على رؤية المؤمنين ربهم في الجنات الطحاوي في العقيدة المشهورة باسم "العقيدة الطحاوية"، قال: "والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} ، وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سَلِم في دينه إلا من سلّم لله عز وجل، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وردّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه"([560]).

وقال شارح الطحاوية مبيناً مذاهب الفرق الضالة في هذه المسألة ومذهب أهل الحق:
(("المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة ".
ثم بين أهمية هذه المسألة فقال:
"وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمّر إليها المشمّرون، وتنافس المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون ".
ثم بيّن أن قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}([561]) من أظهر الأدلة على هذه المسألة، وأما الذين أبوا إلا تحريفها بما يسمونه تأويلاً: فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل.
ولا يشاء مبطل أن يتأوّل النصوص وبحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

وبيّن خطورة التأويل: "وهذا الذي أفسد الدنيا والدين.
وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذّرنا الله أن نفعل مثلهم.
وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية.
فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين عليه السلام، والحرة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد "!؟ .

ثم بيّن أن دلالة الآية على الرؤية من جانبين:
الأول: فقه النص.

والثاني: فقه علماء السلف لهذا النص.

ففي الأول: قال: "وإضافة النظر إلى الوجه، والذي هو محله، في هذه الآية، وتعديته بأداة " إلى " الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه، حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله؛ فإن النظر له عدة استعمالات، بحسب صلاته وتعديه بنفسه: فإن عدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار: {انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ}([562]).

وإن عدي بـ " في" فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله: {أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}([563]).

---

560 _[شرح الطحاوية: 203].
561 _[القيامة: 22-23].
562 _[الحديد: 13].
563 _[الأعراف: 185].

وإن عدي بـ " إلى" فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: {انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ}([564]).
فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟.

وفي الثاني: ساق عدة نصوص عن السلف تبين فقههم للآية، فعن " الحسن قال: نظرت إلى ربها فنضرت بنوره، وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: "{إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} ، قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل".

وقال عكرمة: "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} ، قال: من النعيم، {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} ، قال: تنظر إلى ربها نظراً".
ثم حكى عن ابن عباس مثله.
وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث.
وقال تعالى: {لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}([565]).
قال الطبري: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله عز وجل.

ثم ذكر معنى الزيادة في قوله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}([566]) ، وأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وساق في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} ، قال: **"إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، نادى منادٍ: يا أهلَ الجنةِ إنَّ لكم عندَ اللهِ موعدًا يُريدُ أنْ يُنْجِزُكُموه، فيقولونَ: وما هو؟ ألمْ يُثَقِّلِ اللهُ موازينَنا، ويُبَيِّضْ وجوهَنا، ويُدخلْنا الجنةَ ويُنجِّنا من النارِ؟ فيُكشفُ الحجابُ، فينظرونَ إليه فواللهِ ما أعطاهم اللهُ شيئًا أحبَّ إليهم من النظرِ إليه ولا أقرَّ لأعينِهم"([567]).**

ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أُخر، معناها أن الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل.
وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم.
روى ابن جرير ذلك عن جماعة، منهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، رضي الله عنهم.
ومن الأدلة على هذه المسألة قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}([568]).
وذكر المصنف أن الشافعي وغيره من الأئمة احتجوا بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي، وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} ، فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا.

ثم تعرض لاستدلال المعتزلة بقوله تعالى: {لَن تَرَانِي}([569]).
وبقوله تعالى: {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}([570]).
وذكر أن الآيتين دليل عليهم، فالآية الأولى: تدل على ثبوت رؤيته من وجوه:

564 _[الأنعام: ٩٩].
565 _[ق: 35].
566 _[يونس: 26].
567 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان والترمذي وأحمد وابن ماجه والطبراني وابن تيمية والنسائي باختلاف يسير والألباني].
568 _[المطففين : 15].
569 _[الأعراف: 143] .
570 _[الأنعام: 103].

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: **{إِنِّيَ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}**([571]).

الثالث: أنه تعالى قال: **{لَن تَرَانِي}** ، ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر.
ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاماً صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى.

الرابع: يوضح الوجه الثالث قوله تعالى: **{وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}**([572]).
فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خُلق من ضعف؟.

الخامس: أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

السادس: قوله تعالى: **{فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}**([573]) ، فإذا جاز أن يتجلى للجبل، الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلّم موسى، وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.
ثم أجاب على دعواهم أن " لن " تفيد التأبيد وتدل على نفس الرؤية في الآخرة، وبيّن الشيخ أنها لو قيدت بالتأبيد فلا تدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ ولهذا نظائر في القرآن، قال تعالى: **{وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا}**([574]) ، مع قوله: **{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}**([575]) **،** ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: **{فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي}**([576]).
فثبت أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد.
قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله:

---

[571] _[هود: 46].
[572] _[الأعراف: 143].
[573] _[الأعراف: 143].
[574] _[البقرة: 95].
[575] _[الزخرف: 77].
[576] _[يوسف: 80].

ومن رأى النفي بلن مؤبداً		فقوله اردد وسواه فاعضدا

وأما الآية الثانية: فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو:
أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، أما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه بنفي السِّنة والنوم، المتضمن كمال القيّوميّة، وفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الظلم، المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه، المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل، المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإن المعنى: إنه يُرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}**([577]) يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن "الإدراك " هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: **{فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا}**([578]).
فلم ينفِ موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علماً، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية.
بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

ثم ذكر الشيخ أن "الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، الدالة على الرؤية متواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن، فمنها: حديث أبي هريرة: " أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"فَهلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ليسَ في سَحَابَةٍ؟" قالوا: لَا، قالَ: "فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لا تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ"([579]).**

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضاً في "الصحيحين" نظيره.
وحديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: **"إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ"([580]).**

وحديث صهيب بن سنان الرومي المتقدم([581]).
وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"وجَنَّتَانِ مِن فِضَّةٍ، آنِيَتُهُما وما فِيهِما، وجَنَّتَانِ مِن كَذَا، آنِيَتُهُما وما فِيهِما، وما بيْنَ القَوْمِ وبيْنَ أنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلَّا رِداءُ الكِبْرِ علَى وجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ"([582]).**

---

577 _[الأنعام: 103].
578 _[الشعراء: 61-62].
579 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والبوصيري والألباني].
580 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والمديني وأبو داود وابن خزيمة وأحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه والعقيلي وابن حبان والطبراني وأبو نعيم وابن حزم وابن تيمية وابن رجب والأرناؤوط والألباني].
581 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وغيره].
582 _[حديث صحيح أخرجه البخاري].

ومن حديث عدي بن حاتم: **"لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ليسَ بيْنَهُ وبيْنَهُ حِجَابٌ ولَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ له، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ له: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إلَيْكَ رَسولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عن يَمِينِهِ فلا يَرَى إلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عن شِمَالِهِ فلا يَرَى إلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ، فإنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"([583]).)).([584]).**

بقي معنا من الشعر أبيات:

ويرونه سبحانه من فوقهم	**نظر العيان كما يرى القمران**
هذا تواتر عن رسول الله لم	**ينكره إلا فاسد الإيمان**
وأتى به القرآن تصريحا	**وتعريضا هما بسياقه نوعان**
وهي الزيادة قد أتت في يونس	**تفسير من قد جاء بالقرآن**
ورواه عنه مسلم بصحيحه	**يروي صهيب ذا بلا كتمان**
وهو المزيد كذاك فسر أبو	**بكر هو الصديق ذو الإيقان**
وعليه أصحاب الرسول وتابعو	**هم بعدهم تبعية الإحسان**
ولقد أتى ذكر اللقا لربنا	**الرحمن في سور من الفرقان**
ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى	**الإجماع فيه جماعة ببيان**
وعليه أصحاب الحديث جميعهم	**لغة وعرفا ليس يختلفان**

[583] _[حديث صحيح أخرجه البخاري].
[584] _[من شرح العقيدة الطحاوية: ص 204-210].

أناس يدخلون الجنة بغير حساب

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: **"عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي فَقِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ لِي انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ"** فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **"هُمْ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"** فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: **"نَعَمْ"** فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا فَقَالَ: **"سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ"**([585]).

قد جاءت بعض الأحاديث النبوية الصريحة تقسم الناس ثلاثة أصناف، فيصف النبي صلى الله عليه وسلم السابقين بالخيرات فقط أنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **"قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ، فَأَمَّا الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الَّذِينَ اقْتَصَدُوا فَأُولَئِكَ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحَاسَبُونَ فِي طُولِ الْمَحْشَرِ، ثُمَّ هُمُ الَّذِينَ تَلَافَاهُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾**"([586]).

وإن الآثار الواردة عن الصحابة في تفسير هذه الآيات تدل على أن السابقين بالخيرات هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.
عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه قال في تفسير الآية : "هم أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ورثهم الله كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب"([587]).

وعن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : "هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة؛ ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاءوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك، فيقول الرب: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي، وتلا عبد الله هذه الآية: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**"([588]).

ومن خلال ما سبق طرحه وسرده يمكن إيجازه فيما يلي:
الطبقة الأولى: الذين سلموا من الشرك كالتطير ونحوه، وقد لا يسلمون من الذنوب التي هي دون الشرك، وهم الظالمون لأنفسهم، وهم معرضون للوعيد.

---

[585] _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن حبان].
[586] _[حديث حسن لغيره بمجموع طرقه، أخرجه الترمذي وأحمد والطبري والهيثمي والشوكاني والأرناؤوط والحاكم والبيهقي وابن القيم، وقد ذكر الإمام الحاكم في " المستدرك " (462/2) و قال : " وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلا " ، وكذلك قاله البيهقي في " البعث والنشور ": (ص/83)، ونقل العلامة ابن القيم عن طائفة من العلماء أنها " قد بلغت في الكثرة إلى حد يشد بعضها بعضا ، ويشهد بعضها لبعض " انتهى من "طريق الهجرتين " (ص/201)].
[587] _[رواه ابن جرير الطبري في " جامع البيان " (465/20)].
[588] _[رواه ابن جرير الطبري في " جامع البيان " (465/20)].

الطبقة الثانية: المقتصدون الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات، وقد يفعلون بعض المكروهات ويتركون بعض المستحبات، وهم الأبرار.

الطبقة الثالثة: التي سَلِمَت من الشرك الأكبر والأصغر ومن البدع، وتركت المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، واجتهدت في الطاعات من واجبات ومستحبات، وهؤلاء هم السابقون بالخيرات، ومن كان بهذه المرتبة دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

من هم في الجنة أخبرت عنهم الأحاديث

هناك أشخاص وأقوام بشّرهم النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة وهم في الدنيا قبل أن يموتوا، فتعالوا نقرأ من هم المبشرون بالجنة، فإليكم الآتي:

١_العشرة المبشرون:
عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"عَشَرَةٌ في الجَنَّةِ: النَّبيُّ في الجَنَّةِ، وأبو بَكْرٍ في الجَنَّةِ، وعُمَرُ في الجَنَّةِ، وعُثمانُ في الجَنَّةِ، وعلِيٌّ في الجَنَّةِ، وطَلْحةُ في الجَنَّةِ، والزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ في الجَنَّةِ، وسَعْدُ بنُ مالكٍ في الجَنَّةِ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوْفٍ في الجَنَّةِ"** ، ولو شِئْتُ لسمَّيْتُ العاشرَ، قال: فقالوا: مَن هو؟ فسكَت، قال: فقالوا: مَن هو؟ فقال: **"هو سعيدُ بنُ زيدٍ"**([589]).

٢_آل ياسر:
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"صَبراً آلَ ياسِرٍ؛ فإنَّ مَوعِدَكم الجنَّةُ"**([590]).

٣_سادة أهل الجنة:
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"نَحْنُ بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ، سَادَةُ أَهْلِ الجَنَّةِ: أَنَا وَحَمْزَةُ وَعَلِيّ وَجَعْفَر وَالحَسَنُ وَالحُسَينُ وَالمَهْدِيُّ"**([591]).

٤_ سيّدا شباب أهل الجنة:
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"الحسَنُ والحُسَيْنُ سيّدا شَبابِ أَهْلِ الجنَّةِ"**([592]).

٥_ دف نعل بلال رضي الله عنه في الجنة:
عن أبي هريرة رضي الله عنه "أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ: **"يا بلَالُ حَدِّثْنِي بأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسْلَامِ، فإنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ"** قالَ: ما عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِندِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، في سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إلَّا صَلَّيْتُ بذلكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ"([593]).

٦_ يطلع عليكم رجل من أهل الجنة:
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **"يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"** فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ قَالَ: نَعَمْ قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ

---

589 _[حديث صحيح أخرجه ابن حبان وأبي داود والترمذي والذهبي وابن حجر والسيوطي و المباركفوري والأرناؤوط والألباني].

590 _[حديث صحيح أخرجه الألباني].

591 _[حديث صحيح على شرط الشيخين كما قال الحاكم، أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم والحاكم واللالكائي والسيوطي والديلمي وابن حجر].

592 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وابن حبان والطبراني والدارقطني وأبو نعيم وأحمد والنسائي والحاكم والآجري وابن القيسراني والجرجاني وابن عساكر والبغوي والأرناؤوط والألباني].

593 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم بنحوه].

اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ"([594]).

٧_رجل من عمل مثل عمله دخل الجنة:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أنَّ أعْرَابِيًّا أتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: دُلَّنِي علَى عَمَلٍ إذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قالَ: **"تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ به شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ"** قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ لا أزِيدُ علَى هذا، فَلَمَّا ولَّى، قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: **"مَن سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِن أهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إلى هذا"([595]).**

٨_ بيت في الجنة لخديجة رضي الله عنها:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أَتَى جِبْرِيلُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ: هذِه خَدِيجَةُ قدْ أتَتْ معهَا إنَاءٌ فيه إدَامٌ، أوْ طَعَامٌ أوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هي أتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِن رَبِّهَا ومِنِّي وبَشِّرْهَا ببَيْتٍ في الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ لا صَخَبَ فِيهِ، ولَا نَصَبَ"([596]).

٩_النبي عيسى عليه السلام في آخر الزمان يبشّر أصحابه بالجنة:
عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"...ثُمَّ يَأْتي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ منه -أي: الدجال- فَيَمْسَحُ عن وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بدَرَجَاتِهِمْ في الجَنَّةِ..."([597]).**

١٠_ أكثر أهل الجنة اليمن وأكثر أهل اليمن مذحج:
عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"دَخَلْتُ الجنَّةَ فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ أَهلِها الْيَمَنَ، وَوَجَدْتُ أَكْثَرَ أَهْلِ الْيَمَنِ مَذْحِجَ"([598]).**

١١_المجنون في الجنة:
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"دخَلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهلِها البُلْهُ"([599]).**

١٢_زيد بن حارثة رضي الله عنه في الجنة:
عن بريدة بن الحصيب الأسلمي قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَرَأَيْتُ جَارِيَةً حَسْنَاءَ فأَعْجَبَنِي حُسْنُهَا فَقُلْتُ: لمَن أَنْتِ؟ قالت: لزَيدِ بن حَارِثَةَ"([600]).**

١٣_قصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجنة:

594 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والنسائي والطبراني والمنذري والهيثمي والبوصيري والهيتمي].
595 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والبيهقي].
596 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه].
597 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن ماجه والألباني].
598 _[حديث ضعيف أخرجه الخطيب البغدادي والسيوطي والديلمي والألباني].
599 _[حديث ضعيف أخرجه ابن عدي وابن القيسراني والذهبي وابن حجر والسيوطي والأرناؤوط والألباني].
600 _[حديث صحيح أخرجه الذهبي والسيوطي والأرناؤوط والألباني].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: **"بيْنَا أنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي في الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إلى جَانِبِ قَصْرٍ، قُلتُ: لِمَن هذا القَصْرُ؟ قالوا: لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً"** قالَ أبو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ثُمَّ قالَ: أعَلَيْكَ بأَبِي أنْتَ وأُمِّي يا رَسولَ اللَّهِ، أغَارُ؟"([601]).

١٤_دوحتين في الجنة لزيد بن عمرو بن نفيل:
عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"دَخَلتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ لزَيْدِ بْنِ عَمْرو بْن نُفَيْل دَوْحَتَيْن"([602]).**

دوحة: هي الشجرة العظيمة الواسعة ذات الفروع الممتدة الطويلة.

١٤_قراءة حارثة بن النعمان في الجنة:
عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"دَخَلتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِراءَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: حَارِثَةُ ابنُ النُّعْمَانِ، كَذَالِكُمُ الْبِرُّ، كَذَالِكُمُ الْبِرُّ"([603]).**

١٥_خشفة أم مالك في الجنة سمعها النبي عليه الصلاة والسلام:
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلتُ: مَن هذا؟ قالوا: هذِه الغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ".**
وفي رواية لابن حبان **"الرميصاء"([604]).**
الخشفة: صوت المشي والمسير على الثلج.

١٦_ جعفر يطير مع الملائكة في الجنة:
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ فَنَظْرت فِيهَا فَإِذَا جَعْفَرٌ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وإِذَا حَمزَةُ مُتَّكِئٌ عَلَى سَرِير"([605]).**

هذا ما استطعنا جمعه والحصول عليه من مصادر الحديث الشريف المختلفة.

601 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن حبان، والترمذي وأحمد باختلاف يسير، والسيوطي والأرناؤوط والألباني].
602 _[حديث حسن أخرجه الذهبي وابن عساكر وابن كثير والسيوطي والألباني].
603 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والنسائي والهيثمي والبوصيري وابن حجر وابن وهب والبغوي والسيوطي والألباني والأرناؤوط].
604 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان والنسائي وأحمد والأرناؤوط].
605 _[حديث صحيح أخرجه الطبراني والحاكم وابن عدي والسيوطي والألباني].

من دواب الجنة

إنَّ في الجنة من الطيور والدواب مالا يعلمه إلا الله تعالى.
وقد ورد ذكر بعض الدواب في القرآن والسنة، فمنها ما هو للطعام، ومنها ما هو للركوب، ومنها ما هو للمرعى والنعيم.

ولقد ورد في القرآن والسنة الصحيحة من النص، على بعض الحيوانات بعينها أنها في الجنة، ومنها:
١_الطير:
قال تعالى فيما يناله أهل الجنة من النعيم: **{وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ}**([606]).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا الْكَوْثَرُ قَالَ: **"ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ - يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ- أَشَدُّ بَيَاضاً مِنْ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ"** قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَكَلَتُهَا أَحْسَنُ مِنْهَا"([607]).**

٢_الغنم:
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"عليكم بالغَنمِ، فإنَّها من دوابِّ الجنةِ، وصَلُّوا في مُراحِها، وامسحُوا رِغامَها"([608]).**

المراح: ما تأوي إليه الإبل والغنم بالليل.
الرغام: ما سال من أنف الغنم.

٣_النوق:
عن أبي مسعود الأنصاري قال: "جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ"([609]).**

مخطومة: من الخطام وهو قريب من الزمام، وهو حبل يلف حول أنف الناقة، يُشدُّ على أعلى رأسها لتقاد به.

٤_الحوت:
قال عليه الصلاة والسلام لسائل يسأله: **"...وأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ"([610]).**

٥_الثور:
سُئل رسول صلى الله عليه وآله وسلم عن غذاء أهل الجنة بعد أن قُدّم لهم من تحف الجنة فقال: **"يُنْحَرُ لهمْ ثَوْرُ الجَنَّةِ الذي كانَ يَأْكُلُ مِن أطْرَافِهَا"([611]).**

606_[الواقعة: 21].
607_[حديث حسن أخرجه الترمذي وأحمد والنسائي وابن حجر والهيتمي والأرناؤوط والمنذري].
608_ [حديث صحيح أخرجه الهيثمي والسيوطي والألباني].
609_[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان والدارمي والإشبيلي والألباني والأرناؤوط].
610_[حديث صحيح أخرجه البخاري والأرناؤوط].
611_[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن حبان والأرناؤوط].

٦_الخيل:
عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ خَيْلٍ قَالَ: **"إِنْ اللَّهُ أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ"([612]).**

هذا ما ورد بشأن الدواب في الجنة، ولا شك أنه ليس هذا كل ما في الجنة من الدواب والحيوانات، فإنك ترى في الدنيا الفانية من الحيوانات الكثيرة الأصناف والأنواع، مما لا سبيل لحصرها وعدّها وجمعها، فكيف بجنة عرضها السموات والأرض؛ فلا ريب أنه يوجد من الحيوانات في الجنة أضعاف أضعاف مما في الدنيا.

ومما ينبغي أن يُعلم، أن الطيور والخيل والإبل التي في الجنة، لا تتفق مع ما في الدنيا إلا في الأسماء فقط، أما حقيقة صفتها فلا يعلمها إلا الله تعالى.
غير أننا نعلم أنها في غاية الجمال والبهاء، لأنها من أنواع النعيم الذي أعده الله تعالى لأوليائه في الجنة، وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث السابق، بأن فرس الجنة من ياقوتة حمراء، ويطير بصاحبه حيث يشاء.

612_[حديث حسن لغيره، أخرجه الترمذي والألباني].

أشياء نزلت من الجنة

ربما من الوهلة الأولى تستغرب من هذا العنوان، فلذا أدعوك بألا تستغرب أخي القارئ الكريم، فهو حقاً وصدقاً، وإنّ في هذه الدنيا أشياء نزلت من الجنّة والكثير منا يجهلها، ومنها لا زالت موجودة إلى الآن في بعض الدول العربية، فإليك الأشياء التي نزلت وهبطت:

أولاً وثانياً: أبو البشر النبي آدم وأمنا حواء عليهما السلام:
قال تعالى: **{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ}**(613).

ثالثاً: مقام النبي إبراهيم عليه السلام:
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **"إنَّ الرُّكنَ والمقامَ ياقوتتانِ مِن ياقوتِ الجنَّةِ، طَمسَ اللَّهُ نورَهُما، ولو لَم يطمِسْ نورَهما، لأضاءتا ما بينَ المشرقِ والمغربِ"(614).**

رابعاً: عجوة التمر:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"الْعَجْوَةُ مِنْ الْجَنَّةِ وَفِيهَا شِفَاءٌ مِنْ السُّمِّ وَالْكَمْأَةُ مِنْ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ"(615).**

خامساً: الحجر الأسود:
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنْ الْجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ"(616).**

سادساً وسابعاً وثامناً وتاسعاً: من الأنهار سيحان وجيحان والنيل والفرات:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"سَيْحانُ وجَيْحانُ، والْفُراتُ والنِّيلُ كُلٌّ مِن أنْهارِ الجَنَّةِ"(617).**

عاشراً: دابة البراق:
عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ وَذَكَرَ يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَشُقَّ مِنْ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَاقُ فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا..."(618).**

الحادي عشر: كبش الفداء للنبي إسماعيل عليه السلام:
عن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "**{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}** قَالَ: كَبْشٌ قَدْ رُعِيَ فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا"(619).

613_[البقرة: ٣٥_٣٦].
614_[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد وابن خزيمة والسيوطي وابن حبان والنووي وابن حجر والبوصيري وابن تيمية والألباني والأرناؤوط وأحمد شاكر].
615_[حديث حسن أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه والنسائي وابن حجر والألباني].
616_[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد وابن خزيمة والسيوطي وابن حجر والمنذري والألباني].
617_[حديث صحيح أخرجه مسلم والبوصيري وأبو نعيم والألباني].
618_[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].
619_[حديث حسن أخرجه الشربيني والواحدي والخازن وابن كثير والقرطبي والبغوي وابن أبي حاتم والسيوطي وابن عطية وأبو حيان الأندلسي والماوردي والشوكاني

وهو قول أكثر المفسرين.

وعن ابن عباس قوله: "**{إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا}** فَقَرَّبَا قُرْبَانَهُمَا، فَجَاءَ صَاحِبُ الْغَنَمِ بِكَبْشٍ أعْين أَقْرَنَ أَبْيَضَ، وَصَاحِبُ الْحَرْثِ بصَبرة مِنْ طَعَامٍ، فَقَبِلَ اللَّهُ الْكَبْشَ فَخَزَنَهُ فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَهُوَ الْكَبْشُ الَّذِي ذَبَحَهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"([620]).

620_[حديث حسن أخرجه مجاهد وابن كثير والبغوي والواحدي والماوردي والقرطبي والسمرقندي وابن الجوزي والسيوطي وابن أبي حاتم والسمعاني في تفاسيرهم].

ما يوجب الجنة

عن ابن عمر قال: **"يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ يَقُولُ يَا رَبِّ لِكُلِّ عَامِلٍ عُمَالَةٌ مِنْ عَمَلِهِ وَإِنِّي كُنْتُ أَمْنَعُهُ اللَّذَّةَ وَالنَّوْمَ فَأَكْرِمْهُ فَيُقَالُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَتُمْلَأُ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ثُمَّ يُقَالُ ابْسُطْ شِمَالَكَ فَتُمْلَأُ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ وَيُكْسَى كِسْوَةَ الْكَرَامَةِ وَيُحَلَّى بِحِلْيَةِ الْكَرَامَةِ وَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ"([621]).**

و عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم: ماله؟ ماله؟ فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **"تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ به شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ"([622]).**

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى"([623]).**

عن أبي عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُدْرِكُ لَهُ ابْنَتَانِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ أَوْ صَحِبَهُمَا إِلَّا أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ"([624]).**

و عن أبي وائل قال: قال ابن مسعود: "خَصْلَتَانِ يَعْنِي إِحْدَاهُمَا سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأُخْرَى مِنْ نَفْسِي **"مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَجْعَلُ لِلَّهِ نِدّاً دَخَلَ النَّارَ"** وَأَنَا أَقُولُ: مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَجْعَلُ لِلَّهِ نِدّاً وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ"([625]).

وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: **"مَنْ قَالَ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"([626]).**

والرضى بذلك كله هو عين العمل الموجب للجنة، لا مجرد القول باللسان.

وعن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **"مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"([627]).**

عن سهل بن معاذ، عن أبيه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **"مَن صلَّى صَلاةَ الفَجرِ ثمَّ قعَدَ يذكرُ اللهَ حتَّى تَطلُعَ الشَّمسُ وجَبَت لهُ الجنَّةُ"([628]).**

وحسن خان وعلي الصابوني والنيسابوري والنخجواني والكرماني في تفاسيرهم].

621 _[حديث حسن أخرجه الدارمي وابن أبي شيبة والوادعي].

622 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن حبان وأبو نعيم والأرناؤوط].

623 _[حديث صحيح أخرجه البخاري وابن حبان والترمذي والبوصيري والأرناؤوط والألباني].

624 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والسيوطي وجار الله الصعدي وأحمد شاكر والألباني].

625 _[حديث صحيح أخرجه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والبوصيري والأرناؤوط].

626 _[حديث صحيح أخرجه أبو داود وأحمد وابن حبان وابن حجر والألباني].

627 _[حديث صحيح أخرجه النسائي واللفظ له، ومسلم وأبو داود وأحمد والألباني].

628 _[حديث ضعيف أخرجه أبو داود وأحمد بمعناه وابن عدي وأبو يعلى والمنذري والهيثمي والألباني].

عن أبي الأسود الدؤلي قال: "قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَرَّتْ بِهِمْ جَنَازَةٌ فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَبَتْ ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَجَبَتْ ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرًّا فَقَالَ: وَجَبَتْ فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ"** فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ قَالَ: **"وَثَلَاثَةٌ"** فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ قَالَ: **"وَاثْنَانِ"** ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنْ الْوَاحِدِ"([629]).

أَقْبَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ}** فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"وَجَبَتْ"** قُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ قَالَ: **"الْجَنَّةُ"**([630]).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ وَصَامَ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ" قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ وَمَا أَدَاءُ الْأَمَانَةِ قَالَ: "الْغُسْلُ مِنْ الْجَنَابَةِ"**([631]).

وفي رواية أخرى: **"خمسٌ من جاءَ بِهِنَّ معَ إيمانٍ دخلَ الجنَّةَ مَن حافظَ على الصَّلواتِ الخمسِ، علَى وضوئِهِنَّ ورُكوعِهِنَّ وسجودِهِنَّ ومواقيتِهِنَّ، وصامَ رمضانَ، وحجَّ البيتَ إنِ استطاعَ إليهِ سبيلاً، وآتى الزَّكاةَ طيِّبةً بِها نفسُهُ، وأدَّى الأمانةَ"** قيلَ: يا رسول اللَّهِ، وما أداءُ الأمانةِ؟ قالَ: **"الغُسلُ منَ الجَنابةِ، إنَّ اللَّهَ لم يأمَنِ ابنَ آدمَ على شيءٍ مِن دينِهِ غيرِها"**([632]).

عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"مَنْ وَافَقَ صِيَامُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَعَادَ مَرِيضاً وَشَهِدَ جِنَازَةً وَتَصَدَّقَ وَأَعْتَقَ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"**([633]).
ولكن لا يجوز إفراد الجمعة بالصوم.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"**([634]).

وعنه أيضاً: **"مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"**([635]).

عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"مَنْ أَثْكَلَ ثَلَاثَةً مِنْ صُلْبِهِ فَاحْتَسَبَهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"**([636]).
أثكل: مات له.

---

629 _[حديث صحيح أخرجه البخاري وأحمد].
630 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي والنسائي ومالك والدارمي وابن العربي والمنذري والألباني].
631 _[حديث حسن أخرجه أبو داود وأحمد والهيثمي باختلاف يسير، والألباني].
632 _[حديث حسن، أخرجه المنذري والدمياطي والهيثمي والألباني].
633 _[حديث صحيح أخرجه أبو يعلى والبيهقي والألباني].
634 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والأرناؤوط].
635 _[حديث صحيح أخرجه أبو داود وابن العربي والنووي وابن تيمية وابن الملقن وابن حجر والسيوطي وجار الله الصعدي والأرناؤوط والألباني].
636 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والروياني والطبراني والمنذري والدمياطي والألباني].

عن عمرو بن مالك القشيري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"مَنْ ضَمَّ يَتِيماً مِنْ بَيْنِ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يُغْنِيَهُ اللَّهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"**([637]).

[637] _[حديث ضعيف أخرجه أحمد وابن سعد والطبراني والأصبهاني والبيهقي والألباني].

سعة رحمة الله تعالى

قال الله تعالى: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}([638]).

فالإحسان في العمل، وعمل الصالحات هو الذي يقرّب من رحمة الله تعالى، وليست رحمته تنال بالتمنّي، ولكن شرطها الإحسان.

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتابِهِ وهو يَكْتُبُ علَى نَفْسِهِ وهو وضْعٌ عِنْدَهُ علَى العَرْشِ إنَّ رَحْمَتي تَغْلِبُ غَضَبِي"([639]).**

وفي رواية: **"إنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي"([640]).**

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **"خلقَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ، يومَ خلقَ السَّمواتِ والأرضَ، مائةَ رحمةٍ، فجعلَ في الأرضِ منها رحمةً، فبِها تعطفُ الوالدةُ على ولدِها، والبَهائمُ بعضُها علَى بعضٍ، والطَّيرُ، وأخَّرَ تِسعةً وتسعينَ إلى يومِ القيامةِ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ، أَكْمَلَها اللَّهُ بِهَذِهِ الرَّحمةِ"([641]).**

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ"** قُلْنَا: لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ: **"لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا"([642]).**

وعن أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ مَرْحُومَةٌ عَذَابُهَا بِأَيْدِيهَا فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَيُقَالُ هَذَا فِدَاؤُكَ مِنْ النَّارِ"([643]).**

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ"([644]).**

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **"إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ بِأَوَّلِ مَا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِأَوَّلِ مَا يَقُولُونَ؟"**. قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: **"إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ: هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. يَا رَبَّنَا، فَيَقُولُ: لِمَ؟ فَيَقُولُونَ: رَجَوْنَا رَحْمَتَكَ وَعَفْوَكَ. فَيَقُولُ: فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ رَحْمَتِي"([645]).**

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ أَفَلَكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ: يَا**

638 _[الأعراف: 56].
639 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد باختلاف يسير، والترمذي وابن خزيمة والنسائي وابن ماجه والزرقاني والألباني].
640 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن تيمية وابن القيم والسيوطي والترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجه والألباني].
641 _[حديث صحيح أخرجه ابن ماجه وابن أبي شيبة والوادعي والألباني].
642 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه وأبو نعيم والقرطبي وابن تيمية وابن كثير].
643 _[حديث صحيح أخرجه ابن ماجه وأحمد والبيهقي والألباني].
644 _[حديث صحيح أخرجه أبو داود وأحمد والبزار وابن مفلح والبوصيري وابن حجر والسفاريني الحنبلي والشوكاني والأرناؤوط والألباني].
645 _[حديث حسن لغيره أخرجه الطبراني والهيثمي والسيوطي والطيالسي وأحمد باختلاف يسير وابن المبارك وابن أبي عاصم وأبو نعيم والبغوي].

رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ"([646]).

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنْ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِراً فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنْ الْمُعْسِرِ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ"**([647]).

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: "بَيْنَا ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَوْ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّجْوَى فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ"** -وَقَالَ هِشَامٌ-: **"يَدْنُو الْمُؤْمِنُ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا يَقُولُ: أَعْرِفُ يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْآخَرُونَ أَوْ الْكُفَّارُ فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ: {هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}**"([648]).

وهذا للمؤمن بنص الحديث، والمؤمن هو المعتقد بقلبه وحدانية الله ورسالة رسوله صلى الله عليه وسلم، العامل بما فيها، فتصبح سيئاته متبوعة بالتوبة والرجوع إلى الحق.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يُصَابُ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ إِلَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَفَظَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ قَالَ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ مِنْ الْخَيْرِ مَا دَامَ مَحْبُوساً فِي وَثَاقِي"**([649]).
وثاقي: أي المرض أقعده وأنهكه.

---

646 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي وأحمد وابن حبان والمنذري والمناوي وابن حجر وأحمد شاكر والوادعي والألباني والأرناؤوط].
647 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد والترمذي وابن حبان وابن العربي والأرناؤوط والألباني].
648 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].
649 _[حديث صحيح أخرجه أحمد والدارمي والطبراني والأرناؤوط وأحمد شاكر].

الأعمال الصالحة لبناء الجنة

للفوز بالجنة والتقرب إليها بالأعمال، لا بد لها من شروط وهي:
_أن تكون النية خالصة لله عز وجل لا يشرك فيها أحد ولا يراد بها غير الله أحد وهذا هو الجزء القلبي منها.

_أن تكون هذه الأعمال كما يريد الله عز وجل ويرضى، فيجب أن تكون موافقة للكتاب والسنة.

_يشترط لقبول العمل أن تكون النيةُ صحيحةً والعملُ صحيحاً، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فإن صَلُحَتْ النية وفسد العمل نقول: أفسدَ العملُ النية، وإذا صَلُحَ العملُ وفسدتِ النية نقول: أفسدت النية العمل.

وقبل سرد الأعمال التي تدخل الناس الجنة، نتذكّر أن دخول الجنة برحمة الله ولكن دخول الجنة من ناحية الدرجات وطبقات الجنان، ندخلها بحسب الأعمال الصالحة وهي كثيرة نوجزها فيما يلي:

_القيام بأركان الإسلام على أكمل وجه، وهي الشهادتين والصلاة، و الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.
عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإِقَامِ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ"([650]).**

_القيام بأركان الإيمان كلها بدون استثناء، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقضاء والقدر خيره وشره واليوم الآخر.
فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"** قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ قَالَ: **"أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ..."([651]).**

_الصلاةُ على وقتها، والمحافظة على صلاة الجماعة.
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: **"الصَّلَاةُ علَى وقْتِها"** ، قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: **"ثُمَّ برُّ الوالِدَيْنِ"** قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: **"الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ"** قالَ: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزادَنِي"([652]).

_ذِكْرُ اللهِ عزَ وجل، فالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير هن الباقيات الصالحات.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النارِ؛ قُولُوا: سبحانَ اللهِ، و الحمدُ للهِ، ولَا إلهَ إلَّا اللهِ، واللهُ أكبرُ، فإنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقَدِّمَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ وَمُجَنِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ"([653]).**

---

650 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن حبان].
651 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والبخاري والنسائي وأحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه وابن منده].
652 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي].
653 _[حديث صحيح أخرجه النسائي والعقيلي والطبراني والألباني].

_أذكار الصباح والمساء، والأذكار بعد الصلوات المكتوبات.

_بر الوالدين، فقد رتّب الله له جزاءً عظيماً، فهما باب من أبواب الجنة.
عن معاوية بن جاهمة السلمي قال: "يا رسولَ اللَّهِ إنِّي كنتُ أردتُ الجِهادَ معَكَ أبتغي بذلِكَ وجْهَ اللَّهِ والدَّارَ الآخرةَ قالَ: **"ويحَكَ أحيَّةٌ أمُّكَ"** قُلتُ: نعَم قالَ: **"ارجَع فبرَّها"** ثمَّ أتيتُهُ منَ الجانبِ الآخَرِ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ إنِّي كنتُ أردتُ الجِهادَ معَكَ أبتغي بذلِكَ وجهَ اللَّهِ والدَّارَ الآخرَةَ قالَ: **"وَيحَكَ أحيَّةٌ أمُّكَ"** قلتُ: نعَم يا رسولَ اللَّهِ قالَ: **"فارجِع إليْها فبرَّها"** ثمَّ أتيتُهُ من أمامِهِ فقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ إنِّي كنتُ أردتُ الجِهادَ معَكَ أبتغي بذلِكَ وجْهَ اللَّهِ والدَّارَ الآخرةَ قالَ: **"ويحَكَ أحيَّةٌ أمُّكَ"** قُلتُ: نعَم يا رَسولَ اللَّهِ قالَ: **"ويحَكَ الزَم رِجلَها فثَمَّ الجنَّةُ"([654]).**

_الجهاد في سبيل الله، حيث أن الإنسان يضحي بنفسه وماله لله عز وجل، فتخيّل عظم الجزاء مقابل هذا العمل، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"** فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفَعَلَ ثُمَّ قَالَ: **"وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"** قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: **"الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"([655]).**

_المحافظة على الأدعية والأوراد الثابتة في السنة حال الأفعال والحاجات اليومية.
وأدلتها كثيرة في الأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة، وهي أكثر من أن تُحصى.

_طلب العلم وتعليمه للناس، فالله عز وجل يرفع أهل العلم درجات ترفعه إلى الجنة.

قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}**([656]).

ومن ذلك ما جاء في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا"([657]).**

وطالب العلم المعلّم له بإخلاص وصدق يلحقه أجر عظيم لا ينقطع بموته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"([658]).**

_الدعوة إلى الله عز وجل، والدال على الخير كفاعله، وهي وظيفة الأمة المحمدية، وهي وظيفة الرسل الأولى التي كلفهم الله بها، ورفعهم بها أعلى الدرجات، وجعل جزائهم الجنة؛ فتخيل إذا كتب الله لك أن يدخل أحدهم الإسلام على يديك، وتُسْلمَ ذُريَته من بعده إلى قيام الساعة بسببك، فلك مثلُ أجورهم إلى يوم القيامة، وللدعوة إلى الله عز وجل صور كثيرة ولا أقصد بها جماعة إسلامية معينة؛ فالدعوة تكون في البيت والمدرسة، والشارع، والأسواق، وتوزيع الشريط أو الكتاب أو المطوية الإسلامية التي تدعو إلى الخير، وأفضل وسيلة للدعوة إلى الله عز وجل تكون بالتحلّي بأخلاق الإسلام.

---

654 _[حديث صحيح أخرجه ابن ماجه والنسائي والحاكم والألباني].
655 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي والألباني].
656 _[المجادلة: 11].
657 _[حديث صحيح أخرجه أبو داود والترمذي والألباني].
658 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود وابن حبان وابن عساكر والطبراني وابن أبي الدنيا والألباني].

قال الله تعالى بشأن الأمر بالدعوة: **{ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**([659]).

_صلة الأرحام فإنّ لها أجوراً عظيمة تظهر في الدنيا قبل الآخرة، فهي في الدنيا سبب لزيادة الرزق وطول العمر ونزول البركة على صاحبها.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ منه قامَتِ الرَّحِمُ، فأخَذَتْ بحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فقالَ له: مَهْ، قالَتْ: هذا مَقامُ العائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قالَ: ألا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ، قالَتْ: بَلَى يا رَبِّ، قالَ: فَذاكِ"** قالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: **{فَهلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أنْ تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ وتُقَطِّعُوا أرْحامَكُمْ}**"(**660**).

_كفالة اليتيم، فقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم بأن كافل اليتيم رفيق له بالجنة وقريب منه عليه السلام، كقرب السبّابة من الوسطى، فعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى"(661).**

_قيام الليل، فهو الصلة التي تجمع الله عز وجل مع محبيه الذين تركوا نومهم لمحبته، حيث ذكرهم الله بأنهم يتقلّبون في نومهم ويتركونه لأجله، ليدعونه خوفاً منه وطمعاً في ثوابه.
قال سبحانه: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}**([662]).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "يا رسول الله ...أَنْبِئْنِي بِعَمَلٍ إِنْ عَمِلْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ: **"أَفْشِ السَّلَامَ وَأَطِبْ الْكَلَامَ وَصِلْ الْأَرْحَامَ وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلْ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"(663).**

_ المداومة على قراءة آية الكرسي عقب ودبر كل صلاة مفروضة، فليس لها ثواب إذا مات قارئها إلا الجنة، فعن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَن قرأَ دبر كلِّ صلاةٍ مَكْتوبةٍ آيةَ الكرسيِّ لم يمنَعْهُ مِن دخولِ الجنَّةِ إلَّا أن يموتَ"(664).**

اخْتُصَّتْ آية الكرسي بالفضيلة لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهيةِ والوَحْدانيةِ والحياة والعلم والمُلْكِ والقدرة والإرادة، وهذه السبعة هي أصول الأسماء والصفات.

_الصدقات وخصوصاً صدقة السر فإنها تطفئ الخطايا كإطفاء الماء للنار.
قال عليه الصلاة والسلام: **"صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ"(665).**

---

659 _[النحل: 125].
660 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].
661 _[حديث صحيح أخرجه البخاري وابن حبان والترمذي والبوصيري والأرناؤوط والألباني].
662 _[الذاريات: 15-17].
663 _[حديث صحيح أخرجه أحمد وابن حبان والبزار والأرناؤوط].
664 _[حديث صحيح أخرجه النسائي والطبراني وابن السني وابن كثير وابن حبان والألباني وأحمد شاكر].
665 _[حديث صحيح أخرجه الألباني].

_بناء المساجد فمن بنى لله مسجداً ولو كموضع طائر بنى الله له بيتاً في الجنة.
فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَنْ بَنَى مَسْجِداً بَنَى اللهُ لهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ"**([666]).

_الحج والعمرة لله، فالعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بيْنَهُمَا، والحَجُّ المَبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلَّا الجَنَّةُ"**([667]).

_تجديد التوبة لله عز وجل في كل وقت فمن تاب لله قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه.
فعن الأغر المزني أبو مالك رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلى اللهِ، فإنِّي أَتُوبُ في اليَومِ إلَيْهِ مِئَةَ مَرَّةٍ"**([668]).

_إحسان الوضوء، والمحافظة على الدعاء الوارد بعده لقوله صلى الله عليه وسلم: **"مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فُتِحَ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ"**([669]).

_رفع الآذان، فالمؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة، فهم أقرب لرحمة الله عز وجل، فعن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **"الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**([670]).

وكذلك الترديد خلف المؤذن، والصلاة على النبي عليه السلام بعد الآذان والدعاء له بالوسيلة، فجزاءه شفاعة النبي عليه السلام والتي فيها الجنة.
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **"إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"**([671]).

_غراس الجنة الحوقلة، وهي لا حول ولا قوة إلا بالله، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ، قَالَ: "وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟" ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"([672]).

_الصلاة في المساجد الثلاث وهي المسجد الحرام ومسجد النبي عليه السلام والمسجد الأقصى، فإن الصلاة فيها مضاعفة عن غيرها في الفضل والأجر.
عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"فَضلُ الصَّلاةِ في المسجِدِ الحرامِ علَى غيرِه مائةُ ألفِ صلاةٍ، وفي مَسجِدِي ألفُ صَلاةٍ، وفي مَسجدِ بيتِ المقدِسِ خَمسُمِائةِ صلاةٍ"**([673]).

---

666 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه والطوسي].
667 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وابن حزم والسيوطي].
668 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي].
669 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وأبي داود].
670 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن ماجه وأحمد].
671 _[حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي].
672 _[حديث صحيح لغيره، أخرجه ابن حبان وأبو نعيم والمنذري والهيثمي والبوصيري وابن حجر والأرناؤوط والشوكاني والطبراني والألباني].
673 _[حديث حسن أخرجه البزار وابن عدي والطحاوي والبيهقي والألباني].

_المحافظة بالتبكير للمسجد والذهاب إليه على طهارة لأجر الخطوات، عن عبدالله بن مسعود قالَ: **"مَن سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ علَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بهِنَّ، فإنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ سُنَنَ الهُدَى، وإنَّهُنَّ مِن سُنَنَ الهُدَى، ولو أنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكُمْ كما يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ في بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، ولو تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَما مِن رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إلى مَسْجِدٍ مِن هذِه المَسَاجِدِ، إلَّا كَتَبَ اللَّهُ له بكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عنْه بهَا سَيِّئَةً، وَلقَدْ رَأَيْتُنَا وَما يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلقَدْ كانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى به يُهَادَى بيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتَّى يُقَامَ في الصَّفِّ"([674]).**

والمحافظة على الصف الأول فإن له فضلاً أشار إليه النبي عليه السلام بأن الناس لو أرادوه لاستهموا عليه.
قال عليه الصلاة والسلام: **"بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ فأخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له". ثُمَّ قَالَ: "الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، والمَبْطُونُ، والغَرِيقُ، وصَاحِبُ الهَدْمِ، والشَّهِيدُ في سَبيلِ اللَّهِ"** ، **وقَالَ: "لو يَعْلَمُ النَّاسُ ما في النِّدَاءِ والصَّفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلَّا أنْ يَسْتَهِمُوا لَاسْتَهَمُوا عليه، ولو يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إلَيْهِ ولو يَعْلَمُونَ ما في العَتَمَةِ والصُّبْحِ لَأَتَوْهُما ولو حَبْوًا"([675]).**

_الحفاظ على اثنتي عشرة ركعة غير الفريضة فجزاؤها بيت في الجنة.
عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنْ السُّنَّةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ"([676]).**

_الجلوس من بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس، بمقدار رمح وصلاة ركعتين فله أجر حجة وعمرة كما ورد بالحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ"([677]).**

_الصلاة على الأموات وأتباع الجنائز، فمن صلّى على جنازة له قيراط وهو الجبل العظيم، ومن تبعها حتى تدفن له قيراط آخر.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَن صَلَّى علَى جِنازَةٍ ولَمْ يَتْبَعْها فَلَهُ قِيراطٌ، فإنْ تَبِعَها فَلَهُ قِيراطانِ"** ، قيلَ: وما القِيراطانِ؟ قالَ: **"أصْغَرُهُما مِثْلُ أُحُدٍ"([678]).**

_القيام بصلاة العيد خصوصاً أن الأمر بها على الوجوب من النبي عليه الصلاة والسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلَّا مَن أبَى"** ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: **"مَن أطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أبَى"([679]).**

_حسن الجوار وعدم الإساءة لهم، فقد ورد بالأثر عن امرأة تصوم وتصلي ولكنها تؤذي جيرانها فأخبر النبي أنها من أهل النار.

674 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد].
675 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم].
676 _[حديث صحيح أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه والمباركفوري والألباني].
677 _[حديث حسن أخرجه الترمذي والبغوي وابن حجر و الأرناؤوط والألباني].
678 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والألباني].
679 _[حديث صحيح أخرجه البخاري وأحمد وابن حبان والهيثمي والشوكاني والألباني].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: **"هِيَ فِي النَّارِ"** قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: **"هِيَ فِي الْجَنَّةِ"**([680]).

_إماطة الأذى عن الطريق فهو شعبة من شعب الإيمان وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن رجل كان يتقلب بشجرة بالجنة كان قطعها من طريق الناس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بِضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ"**([681]).

_بكل تسبيحة غراس شجرة في الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مرَّ به النبي عليه الصلاة والسلام وهو يغرسُ غرساً فقال: **"يَا أَبَا هُرَيرَةَ مَا الَذِي تَغْرُسُ"** قلتُ: غِراساً لي، قال: **"ألَا أدُلُّكَ على غِرَاسٍ، هو خيرٌ مِنْ هذا؟ تقولُ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، يُغْرَسُ لكَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ منها شجرةٌ في الجنةِ"**([682]).

_سد الفُرَج بين المصلين في صلاة الجماعة، ففي الحديث الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجةً، وَ بَنَى لَهُ بَيتاً في الجَنَّةِ"**([683]).

_التزام الصدق بالقول والعمل، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"**([684]).

_وهناك الكثير من الأعمال التي تقود إلى الجنة وتُنْجِي من النار، ولا ننسى باب اجتناب المحرمات، وحدود الله عز وجل إذا اجْتُنِبَتْ كان عليها الجزاء من الله عز وجل، فحين لا يسرق المسلم ولا يكذب، ولا يخون، ولا يقتل، ولا يؤذي جيرانه، ويغض بصره، ولا يأكل الربا، ولا يغش، ولا يشرب الخمر، ولا يزني، ولا يأكل الميراث، ولا يقطع الرحم، ولا يسيء الجوار، فيأتمر بأمر الله وينتهي بنهيه فهو له به أجر.

_وأيضاً إذا قصد المسلم من أكل الحلال والعمل به وجه الله كُتب له به أجر، حتى الزوج إذا جامع زوجته كُتب له بذلك صدقة، فحين سُئل النبي عليه الصلاة والسلام عن هذا أجاب بأنه لو وضعه بالحرام لكُتب عليه سيئة، وهذا من عدالة الإسلام.

فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: إنَّ نَاسًا مِن أَصْحَابِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالوا للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: يا رَسولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قالَ: **"أَوَليسَ قدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ما تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ"** ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، أَيَأتي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكونُ له فِيهَا أَجْرٌ؟ قالَ: **"أَرَأَيْتُمْ لو وَضَعَهَا في حَرَامٍ أَكانَ عليه فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذلكَ إذَا وَضَعَهَا في الحَلَالِ كانَ له أَجْرٌ"**([685]).

---

680 _[حديث صحيح أخرجه أحمد وابن حبان والبزار والمنذري والهيثمي والأرناؤوط والهيتمي المكي والألباني].

681 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والأرناؤوط والطبراني والمنذري وابن تيمية والألباني].

682 _[حديث صحيح أخرجه ابن ماجه والسيوطي والدمياطي والمنذري والألباني].

683 _[حديث صحيح لغيره، أخرجه ابن ماجه والطبراني وأحمد بعضه في أثناء حديث و الألباني].

684 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وابن حبان وأحمد والترمذي وابن ماجه].

685 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد وابن حبان والأرناؤوط ووالألباني].

وجب التنبيه مرة أخرى، بأن الإخلاص لله عز وجل في كل هذه الأعمال، هو الأساس بالقبول وعلى قدر الإخلاص يكون الأجر من الله، وإذا لم تُخْلص فلا تتعب.

بقي معنا من الشعر أبيات:

أوما سمعت بأنها القيعان فاغرس ... ما تشاء بذا الزمان الفاني
وغراسها التسبيح والتكبير ... والتحميد والتوحيد للرحمن
تبار لتارك غرسه ماذا الذي ... قد فاته من مدة الإمكان
يا من يقر بذا ولا يسعى له ... بالله قل لي كيف يجتمعان
أرأيت لو عطلت أرضك من ... غراس ما الذي تجني من البستان
وكذاك لو عطلتها من بذرها ... ترجو المغل يكون كالكيمان
ما قال رب العالمين وعبده ... هذا فراجع مقتضى القرآن

توضيح وتصحيح

يظن البعض أن الجنة ليس فيها وسائل التقنية الحديثة، ووسائل النقل ووسائل الإعلام، وغيرها من وسائل الحضارة الحديثة التي نعيشها ونحياها اليوم؛ بل العكس هو الصحيح، فعن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ خَيْلٍ قَالَ: **"إِنْ اللَّهُ أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ"** قَالَ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ إِبِلٍ قَالَ: فَلَمْ يَقُلْ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِصَاحِبِهِ قَالَ: **"إِنْ يُدْخِلْكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ"**([686]).

وقد يكون شخصاً يحب الطيران والطائرات فقد ورد في جنس هذا النعيم أحاديث صحيحة متنوعة، فقد ثبت في السنة أن أرواح الشهداء في حواصل طير في الجنة، تسرح حيث شاءت وكما مرّ معنا وقد تقدم.

وثبت أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يطير في الجنة بجناحين إكراماً من الله عز وجل بدل يديه اللتين قطعتا في غزوة مؤتة، وقد تقدم ذلك.
وعن الشعبي قال: "أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ جَعْفَرٍ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ"([687]).

والظاهر أن طيران الإنسان بنفسه أبلغ عند أكثر الناس من طيرانه بواسطة ذهابه بطائرة، وأن طيرانه بالخيل في الجنة كما في الحديث المذكور، أبلغ من الطيران بالطائرات، وقد جاءت آيات وأحاديث في أن للإنسان في الجنة من النعيم ما تشتهيه نفسه وأبلغ من ذلك.
وإن رغب بعض أهل الجنة في السيارات أو اقتناء الهواتف أو الحاسوب أو الدراجات النارية وغيرها، أن يتفضل الله عليهم بها، وقد وردت أحاديث في تلبية رغبة بعض أهل الجنّة في بعض أمور الدنيا التي يحبونها مثل الولد والزرع، وأنّ طلبهم يلبى لهم دون انتظار كما مرّ معنا في ثنايا الكتاب.
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: "...كل ما اشتهي في الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها قاله المهلب".
وكما في قوله الله تعالى: **{يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**([688]).

قال السعدي في تفسير هذه الآية : "ما تشتهيه الأنفس، هذا اللفظ جامع يأتي على كل نعيم وفرح وقرة عين وسرور قلب، على أكمل الوجوه وأفضلها".

وقوله تعالى: **{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ}**([689]).

وقوله صلى الله عليه وسلم: **"يقولُ اللهَ عز وجلَ: أَعددتُ لعباديَ الصالحينَ ما لا عينُ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، وأقرؤوا إن شئتُم: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وإنّ في الجنةِ**

---

686 _[حديث حسن لغيره، أخرجه الترمذي والألباني].
687 _[حديث صحيح أخرجه البخاري].
688 _[الزخرف: 71].
689 _[النحل: 31].

لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلهّا مائةَ عامٍ لا يقطعُها، واقرؤوا إن شئتُم: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} ولموضعُ سوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما عليْها، واقرؤوا إن شئتُم: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}"([690]).

فينبغي أن يقرر الإنسان في نفسه كمال الجنة المطلق، وكمال سعادة أهلها.

أما الجزم بأن في الجنة طائرات ومطارات وسيارات وطرق معبّدة ونحو ذلك مما لم يرد إثباته في النصوص، فهذا من علم الغيب الذي يحتاج إلى دليل.

وأقول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : **"إنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجنةَ؛ يكنْ لكَ فيها ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ"([691])**.

690 _[حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد مختصراً، وابن ماجه والترمذي والنسائي باختلاف يسير].
691 _[حديث حسن لغيره، أخرجه المنذري والألباني].

حكم و أقوال عن الجنة

_وكان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والسلف الصالح، يتواصون في الشَّدائد إنما هي أيام تمضِي والموعدُ الجنَّة!.

_السعادة لا تعني أنك تعيش حياة كاملة، بل تعني أنك قررت غض البصر عن النواقص؛ فلو كانت الدنيا مثلما نريد، لما تمنينا الجنة.

_يهتدي أهل الجنة إلى بيوتهم ومساكنهم، ولا يخطئون كأنهم سكنوها منذ خلقوا، وهذا من تمام نعيم أهل الجنة.

_من تفرّغ من هموم الدنيا قلبه، قلَّ تعبه، وتوفر من العبادة نصيبه، واتصل إلى الله مسيره، وارتفع في الجنة مصيره.

_المؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً، وأنعمهم بالاً، وأشرحهم صدراً، وأسرهم قلباً، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة.

_**{أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ}**([692]).

وإنما قال"يرجون"وقد مدحهم، لأنه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ.

_احتضر إسماعيل النيسابوري، فقالت أمه: ما تجد يا بني؟ فما قدر على النطق، فكتب على يدها: **{فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ}**([693]).

ثم مات رحمه الله!.

_أبواب الجنة أكثر من أبواب النار، ورحمة الله أسبق من غضبه، ولكن أمْن المذنب من مكر الله أشد من الذنب نفسه، لأن الأمن من مكره استهانة بوعيده!.

_القرآن حصنك في الدنيا ودليلك إلى الجنة، وقد ضمن الله لمن اتبع القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة.

_إذا قارنت بين تصوير القرآن لأهل الجنة، وتصوير القرآن لأهل النار؛ تلاحظ كيف يذكر القرآن أن أهل الجنة ازدحموا فوق جسور التعب في الدنيا، وأهل النار استرسلوا مع الراحة والنزوة.

أهل الجنة: **{إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ *كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}**([694]).

وأما أهل النار: **{إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ}**([695]).

_**{سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ}**([696]).

حياة أهل الجنة كانت:

---

[692] _[البقرة: 218].
[693] _[الواقعة: ٨٩].
[694] _[الذاريات: 16-17].
[695] _[الواقعة: 45].
[696] _[الرعد: 24].

صبراً على الطاعة.
صبراً عن المعصية.
صبراً على أقدار الله.
وفي النهاية: **{جَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا}**([697]).

_صغير يشتهي الكبر، وشيخ ودّ لو صغر، وصاحب المال في تعب، وفي تعب من افتقر، وعاطل يبتغي عمل، وذو عمل به ضجر! الراحة في الجنة يا بشر.

_إن شعور العبد برضى الله عنه هو أعظم لذة روحية تعجز عن تصويرها الألسن، وإحلال الرضوان على أهل الجنة أكبر من كل ما في الجنة من نعيم؛ فالغاية التي يسعى إليها الساعون، ويعمل لها العاملون، هي رضى الله؛ فالعمل الصالح ترتضيه العقول وتستعذبه الفطر، ولكنه لا يفيد صاحبه إذا لم يبغ به مرضاة الله، ولهذا قال سليمان عليه السلام: **{وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ}**([698]).

_يا رب ما طابت الدّنيا إلاّ بذكرك، ولا الآخرة إلاّ بعفوك، ولا الجنّة إلاّ برُؤيتك؛ فأعنا يا رب على شكرك وذكرك وحسن عبادتك حتى نلقاك.

_وردت كلمة السعادة في القرآن مرة واحدة **{سُعِدُوا}** ، وفي الجنة فقط، لأنه لا سعادة حقيقية في غيرها، ولأنه لا تتكرر فرصتها: **{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}**([699]).

_**{هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ}**([700]).
زال التعب، وتم النعيم، فطاب الاتكاء.

_**{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}**([701]).
كل المخاوف تجلب لك الهم، إلا الخوف من الله فإنه يجلب الجنان والخلد فيها، ولا يخاف الله من لا يبرأ من أعدائه.

_برواتبِ السنين تَبني بيتاً في الدنيا، وبالسُّنَنِ الرواتب تَبني بيتاً فِي الجنة.

_إنما القصد من الوجود، الطموح إلى ما وراء الوجود.

_العاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة.

_البعض قد يذهب إلى الجنة بنصف المشقة التي يتكبّدها للذهاب إلى الجحيم.

---

[697]_[الإنسان: 12].
[698]_[النمل: 19].
[699]_[هود: 108].
[700]_[يس: 56].
[701]_[الرحمن: 46].

_الصمت المحيط بالقبور، لا يعني أن الجميع في الجنة.

_لأنك الأجمل أيتها الحور العين، أغمضت عيني عن كل نساء الحور الطين، ودعوت الرب بأن يجعلك في الجنة نصيبي.

_في الجنة لا نعرف كلمة: لا، إلا في لا إله إلا الله.

_الحنين إلى الجنة يجب أن يترجم واقعاً بالأفعال والأعمال الصالحة، وليس التسويف والتمني على الله الأماني.

_الجنة هي المكان الذي يتمتع فيه الإنسان بالأمن والكرامة، أما النار فهي ما ليس كذلك.

_للعبد ربٌ هو ملاقيه، وبيت هو ساكنه؛ فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

_اشتر نفسك؛ فالسوق قائمة، والثمن موجود.

_اخرج بالعزم من هذا الفناء الضيق، المحشوِّ بالآفات إلى الفناء الرحب، الذي فيه ما لا عين رأت؛ فهناك لا يتعذر مطلوب، ولا يفقد محبوب.

_ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها.

_لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء.

_علم الرعيل الأول من صفوة المسلمين أن في الجهاد فضلاً لا يُضاهى، وخيراً لا يتناهى، وأيقنوا أن الجنة تحت ظلال السيوف، وأن الري الأعظم في شرب كؤوس الحتوف، فشمّروا للجهاد عن ساق الاجتهاد، ونفروا إلى ذوي الكفر والعناد من شتى أصناف العباد، وجهزوا الجيوش والسرايا، وبذلوا في سبيل الله العطايا.

_في الجهاد الضمان الوحيد والأكيد لكي يكون لهذه الأمة جنة في الدنيا وجنة في الآخرة؛ وفي هذا الجهاد رهبانية هذه الأمة وتدينها وتدريبها، تتقرب به إلى الله، وأيضاً سياحتها التي تجدد بها حيوية النفس وطاقات الإبداع.

_يا من أمرهم دينهم بالجهاد حتى يفتحوا العالم، ويهدوا البشر إلى دينهم، قعدوا حتى فتح العدو بلادهم، وفتنهم عن دينهم.
يا من حكم أجدادهم بالحق أقطار الأرض، وحُكموا هم بالباطل فى ديارهم وأوطانهم.
يا من باع أجدادهم نفوسهم لله بأن لهم الجنة، وباعوا هم الجنة بأطماع نفوس صغيرة، ولذائذ حياة ذليلة؛ فيا أيها الناس: مالكم نسيتم دينكم، وتركتم عزتكم، وقعدتم عن نصر الله فلم ينصركم، وحسبتم أن العزة للمشركين، وقد جعل الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

_ما تحسر أهل الجنة على شيء، كما تحسّروا على ساعة لم يذكر فيها اسم الله.

_اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك.

_العلم بالله يوجب الخضوع والخوف، وعدم الخوف دليل على تعطيل القلب من المعرفة، والخوف ثمرة العلم، والرجاء ثمرة اليقين، ومن طمع في الجنة اجتهد في طلبها، ومن خاف من النار اجتهد في الهرب منها.

_لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم.

_احذروا التسويف، فإن الموت يأتي بغتة، ولا يغتر أحدكم بحلم الله عز وجل، فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله.

_إذا لقيتم العدو فاثبتوا واصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف.

_أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال.

_من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأتيه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه.

_الجنة موت المحرمات، وموت الممنوعات، الجنة موت الملل، موت التعب، موت اليأس، الجنة موت الموت.

_سبحان الله تزينت الجنة للخطاب فجدّوا في تحصيل المهر واعملوا على اللقاء ولا تكن مشغول بالجيف.

_من قال لك أن الطريق إلى الجنة معبّد بالورود.

_الطبيعة: مجرد وسيلة رمزية بسيطة أهدانا الله إياها؛ فقط كي نأخذ من خلالها فكرة عن الجنة.

_طلب الجنة بلا عمل، ذنب من الذنوب.

_الكل يريد الذهاب إلى الجنة، لكن الأكثرية لا يحب لقاء الله وهو الموت.

_الزمن قنديل زيته الحركة، وفتيله الإنجاز، حتى الجنة لا تُطاق بلا إنجاز.

_وجه الشبه بين الجنة والحقيقة، أن الطريق المؤدية إلى كليهما تَمُرُّ على الجحيم.

_إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة.

_لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا.

_أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه وليس يدري هل أرضى ربه أم أسخطه؛ وأبكاني فراق الأحبة محمد وحزبه، وهو المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل يوم تبدو السرائر، ثم لا أدري إلى جنة أم إلى نار.

روا ية الحديث الضعيف وحكم العمل به

تميزت هذه الأمة بأنها أمة الإسناد، قال ابن المبارك: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"([702]).

وقال سفيان الثوري: "الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل".
وقال يزيد بن زُريع : "لكل دين فُرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الإسناد"([703]).

والإسناد هو الذي يميّز الحديث الصحيح من غيره، فلقد قسّم العلماء الحديث إلى قسمين: مقبول ومردود.

فالحديث المقبول: هو الحديث الذي توافرت فيه جميع شروط القبول ولم يفقد شرطاً واحداً، وأنواعه:

_ الحديث الصحيح وينقسم إلى: الحديث الصحيح لذاته، والحديث الصحيح لغيره.
_ الحديث الحسن وينقسم إلى: الحديث الحسن لذاته، والحديث الحسن لغيره.

ولقد أجمعَ العلماءُ من أهل الحديث ومن يعتدُّ به من الفقهاء والأصوليين، على أنَّ الحديث الصحيح حجةٌ يجبُ العملُ به، سواءٌ كان راويهِ واحداً لم يروه غيرُه، أو رواهُ معه راو آخر، أو اشتُهرَ بروايةِ ثلاثةٍ فأكثرَ ولم يتواترْ.

الحديث المردود: هو الحديث الذي فقد شرطاً واحداً أو أكثر من شروط الحديث، كعدم اتصال السند، أو وجود علة قادحة في راوٍ من رواته، ويطلق عليه في العموم الحديث الضعيف، والضعف في هذا الحديث درجات عديدة : أدناها ما يكون بسبب الانقطاع، أو خطأ الراوي، وأشدّها ما كان بكذبه.

ويقال أيضاً: الضعف نوعان: ضعف يمكن جبره، وضعف لا ينجبر، على ما يأتي بيانه.
وعليه فتندرج تحته ألقاب كثيرة منقسمة في الجملة إلى قسمين بحسب ما يعود إليه سبب الضعف:

الأول: ما يرجع إلى عدم الاتصال، وتندرج تحته ألقاب للحديث الضعيف، هي:
المعلق، المنقطع، المعضل، المرسل، المدلس.

الثاني: ما يرجع إلى الجرح القادح في الراوي، وتندرج تحته عدة ألقاب، هي:
المجهول، اللين، المقلوب، المصحف، المدرج، الشاذ المعلل، المضطرب، المنكر، الموضوع.
وليس يخلو حديث ضعيف من أن يكون معللاً بواحد من هذه الأوصاف، وهي منبئة عن تفاوت الضعف، بين الضعف اليسير المحتمل، والشديد الذي لا ينجبر.

وإطلاق لقب "حديث ضعيف" صالح أن يكون لأي من السببين، وإن كان يوهم خفة الضعف أحياناً، فيشكل إطلاقه على المنكر والموضوع مثلاً.

تعريف الحديث الضعيف:
عرفوا الحديث الضعيف بأنه: هو ما فقد شرطاً من شروط الحديث المقبول وهي ستة:
1 -العدالة: أي الصدق والتقوى والالتزام الظاهر بأحكام الإسلام.

---

702 _[رواه مسلم في مقدمة "صحيحه" (12/1)].
703 _[ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول 109/1].

2 -الضبط: هو الدقة في الحفظ والإتقان ثم الاستحضار عند الأداء.
3 -الاتصال: أي كل واحد من الرواة قد تلقاه من رواة الحديث حتى النهاية، دون إرسال أو انقطاع.
4 -عدم الشذوذ: وهو مخالفة الراوي الثقة لمن هو أثق منه.
5 -عدم وجود العلة القادحة: أي سلامة الحديث من وصف خفي قادح في صحة الحديث، والظاهر السلامة منه.
6 -العاضدُ عند الاحتياج إليه([704]).

أقسام الحديثِ الضَّعيفِ:
يقسم الحديث الضعيف إلى أنواع كثيرةٍ جداً، وأكثرُ أهل العلم على تصنيفه بحسب الأنواع الرئيسة، حيث إنها ضوابطُ كافيةٌ لتمييزِ المقبول من المردود، تندرجُ تحتها كافةُ الصُّوَر، كما أنها تبين إلى أي مدًى بلغَ الضعفُ، هل هو هيِّنٌ يصلحُ للتقويةِ إنْ وجِدَ عاضدٌ، أو شديدٌ لا يصلحُ للتقوية، أو مكذوبٌ مختلَقٌ جزماً؟.

وهو ثلاثةُ أنواع رئيسةٍ:
أ - الضعيف ضعفاً يسيراً: وهو أنواع كثيرة منها:

1- سوءُ الحفظ: مثل سليمان بن قرم، و محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، رشدين بن سعد أبو الحجاج المهري، ومحمد بن جابر الحنفي اليمامي.

2 -الاختلاطُ: مثل بحر بن مرار وحبان بن يسار الكلابي وحجاج بن محمد المصيصي الأعور وخالد بن طهمان الكوفي وخطاب بن القاسم الحراني ورواد بن الجراح أبو عصام العسقلاني وسعيد بن عبد العزيز التنوخي وسعيد بن أبي عروبة مهران وعطاء بن السائب.

3 -الانقطاع: وهو أن يروي عمن لم يسمع.

4 -الإرسال: وهو أن يروي التابعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، دون ذكر الواسطة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم.

5 -التدليس: وهو أنواع متعددة، مثل إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي وبقية بن الوليد الحمصي، والحسن بن ذكوان، وخارجة بن مصعب بن خارجة، وشعيب بن أيوب بن رزيق، والوليد بن مسلم الدمشقي.

6 -الإعضال: ما سقط من إسناده راويان فأكثر على التوالي.

7 -الشذوذ: أن يخالف الثقة من هو أوثق منه برواية حديث ما أو جملة يتفرّد بها ويخالف الثقات، وله مواضع كالشذوذ في السند والمتن.

8 -الوهم: والوهم قد يكون من الثقة سواء في الإسناد أو المتن، وقد يكون من الضعيف، فيضعف إذا كثرت أوهامه.

9 -العلة القادحة: وهي سببٌ يقدحُ في صحّةِ حديثٍ ظاهرهُ الصحّةُ والخلوُّ منها، ولا تتبيّنُ إلاّ للنقّاد الجهابذة.

---

704 _[راجع: مقدمة ابن الصلاح-(ج 1 / ص 6) والباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث-(ج 1 / ص 5) وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي-(ج 1 / ص 73) والتقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث-(ج 1 / ص 2) وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي-(ج 1 / ص 120)].

10- المضطرب: هو الحديث الذي تختلف فيه الرواة مع اتحاد مصدرهم، ولم يستقم التوفيق بينهم ولا الترجيح على طريقة المحدثين النقاد، وإن كان ذلك ممكناً على التجويز العقلي المجرّد.

11- المقلوب: هو الْحَدِيْث الَّذِيْ أبدلَ فِيْهِ راويه شَيْئاً بآخر في السند أو في الْمَتْن عمداً أو سهواً.

ب - الضعيفُ ضعفاً شديداً: وهو أنواع منها:

1- المنكرُ: هو ما رواه الضعيف مخالفاً للثقات وتفرد به، أو المنكرُ هوَ الحديثُ الذي ينفردُ بهِ الرجلُ، ولا يُعرفُ متْنُه من غيرِ روايتِهِ، لا من الوجهِ الذي رواهُ منهُ ولا من وجهٍ آخرَ.

2 - المتروك: هو الحديث الذي انفرد به راوٍ متهم بالكذب، وهو من عرف بالكذب في كلام الناس لا في الحديث النبوي، وزاد بعضهم ما انفرد به من رمي بفسق أو كثير الغفلة أو الوهم.

3 - المطروح: وهو مثل المتروك ومثله الواهي والساقط، وهذا النوع أفرده الحافظ الذهبي وعرفه بأنه: ما نزل عن الضعيف وارتفع عن الموضوع.

4 - الموضوع: هو الكذبُ المُخْتَلَق المصنوعُ المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد عَلِمَ حالَهُ في أي معنى كان سواء الأحكام، والقَصَص، والتَّرغيب وغيرها، إلا مع بيان وضعه، لحديث مغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: **"مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ"([705]).**

حكُم رواية الحديث الضعيف:
يجوز عند أهل الحديث وغيرهم رواية الأحاديث الضعيفة والتساهل في أسانيدها من غير بيان ضعفها، بخلاف الأحاديث الضعيفة جداً -مختلف في حكم روايته بين علماء الحديث كما سيأتي- و الموضوعة -حكم الموضوع محل اتفاق الجميع بعدم جواز روايته- ، فإنه لا يجوز روايتها إلا مع بيان وضعها بشرطين:

1- أن لا تتعلق بالعقائد، كصفات الله تعالى أو أصول الدين.
2- أن لا تكون في بيان الأحكام الشرعية الأصلية مما يتعلق بالحلال والحرام.

وقد أجاز بعض الفقهاء العمل بها في الأحكام الشرعية إذا لم يكن في الباب ما هو أقوى منها كالحنفية والحنابلة، بل وجلُّ المذاهب.
يعني يجوز روايتها في مثل المواعظ والترغيب والترهيب والقصص وما شابه ذلك، وممن رُوي عنه التساهل في روايتها سفيان الثوري وعبد الرحمن بن مَهدي وأحمد بن حنبل([706]).

قال الخطيب البغدادي في الكفاية: "بَابُ التَّشَدُّدِ فِي أَحَادِيثِ الْأَحْكَامِ، وَالتَّجَوُّزِ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ: قَدْ وَرَدَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ حَمْلُ الْأَحَادِيثِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ إِلَّا عَمَّنْ كَانَ بَرِيئًا مِنَ التُّهْمَةِ، بَعِيدًا مِنَ الظِّنَّةِ، وَأَمَّا أَحَادِيثُ التَّرْغِيبِ وَالْمَوَاعِظِ وَنَحْوُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَجُوزُ كَتْبُهَا عَنْ سَائِرِ الْمَشَايِخِ".

---

705 _[حديث صحيح أخرجه مسلم وابن ماجه وابن تيمية وابن حزم والألباني والأرناؤوط والوادعي].
706 _[انظر مقدمة ابن الصلاح (ص 19) وشرح اختصار علوم الحديث (ص 240) ومنهج النقد في علوم الحديث، لنور الدين عتر (ص 296)].

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيّ: "لَا تَأْخُذُوا هَذَا الْعِلْمَ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ إِلَّا مِنَ الرُّؤَسَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ، الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ، وَلَا بَأْسَ بِمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْمَشَايِخِ".

وقَالَ يَحْيَى بْنَ الْمُغِيرَةِ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ، يقول: "لَا تَسْمَعُوا مِن بَقِيَّةَ مَا كَانَ فِي سُنَّةٍ، وَاسْمَعُوا مِنهُ مَا كَانَ فِي ثَوَابٍ وَغَيْرِهِ".

وقالَ النَّوْفَلِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يقول: "إِذَا رَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالسُّنَنِ وَالْأَحْكَامِ تَشَدَّدْنَا فِي الْأَسَانِيدِ، وَإِذَا رَوَيْنَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَمَا لَا يَضَعُ حُكْمًا وَلَا يَرْفَعُهُ تَسَاهَلْنَا فِي الْأَسَانِيدِ".

وقَالَ الْمَيْمُونِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يقول: "الْأَحَادِيثُ الرِّقَاقُ يُحْتَمَلُ أَنْ يُتَسَاهَلَ فِيهَا حَتَّى يَجِيءَ شَيْءٌ فِيهِ حُكْمٌ".

وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نُعَيْمٍ: سَمِعْتُ أَبَا زَكَرِيَّا الْعَنْبَرِيَّ يقول: "الْخَبَرُ إِذَا وَرَدَ لَمْ يُحَرِّمْ حَلَالًا، وَلَمْ يُحِلَّ حَرَامًا، وَلَمْ يُوجِبْ حُكْمًا، وَكَانَ فِي تَرْغِيبٍ أَوْ تَرْهِيبٍ، أَوْ تَشْدِيدٍ أَوْ تَرْخِيصٍ، وَجَبَ الْإِغْمَاضُ عَنْهُ وَالتَّسَاهُلُ فِي رُوَاتِهِ".

وتنحصرُ أسباب الضعف والقدح في الرواة في فئتين:

إحداهما: تضمُّ ما يقدح في العدالة: كالكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم، أو التهمة به أو الكذبِ في أحاديث الناس، أو الفسق أو جهالة الراوي أو الابتداع بمكفر ونحو ذلك، فكلُّ ما كان ضعفُه ناشئاً عن مثل هذه الأسباب، لا تؤثِّرُ فيه كثرةُ الطرق، ولا يرتقي عن درجة الضعف لشدةِ أسبابِ هذا الضعف، وتقاعدِ الجابر عن جبر ضعفِ المروي.

نعم قد يَرْتقي بمجموع طُرقه عن كَوْنهِ مُنْكرًا أو لا أصل له، كما صرَّح به ابن حجر، حيث قال: "بَلْ ربَّما كَثُرت الطُّرقُ، حتَّى أوصلتهُ إلى درجة المَسْتُور، أو السَّيء الحفظ بحيث إذا وجد له طريق آخر، فيه ضعفٌ قريبٌ مُحتمل، ارتقَى بمجمُوع ذلك إلى درجة الحَسَن([707])".

والفئةُ الثانيةُ: ينطوي تحتها ما يقدحُ في الحفظ والضبط والاتصال، والأسباب القادحةُ فيهما: الغفلةُ وكثرةُ الغلط وسوءُ الحفظ والاختلاطُ والوهمُ، كوصل مرسل أو منقطع، فكلُّ ما كان ضعفُه بسببِ عدمِ ضبطِ راويه الصدوقِ الأمينِ، الذي لم تثلمْ عدالتُه فإنَّ كثرة الطرق تقويه، ويجبرُ ضعفُه بمجيئهِ من وجهٍ آخرَ؛ لأننا نعرفُ من الوجهِ الآخر أنَّ حفظَ راوِ الطريقِ الأول لم يختلَّ فيه ضبطُه وبهذا يرتقي من درجة الضعيفِ ضعفاً يسيراً إلى درجةِ الحسَنِ لغيرِه.

قال النووي: "الحديثُ الضعيف عندَ تعددِ الطرق يرتقي عن الضعفِ إلى الحسن، ويصير مقبولاً معمولاً به"([708]).

وقال ابن تيمية: "وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ ضَعِيفًا لِكَثْرَةِ الْغَلَطِ فِي حَدِيثِهِ وَيَكُونُ حَدِيثُهُ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الصِّحَّةُ لِأَجْلِ الِاعْتِبَارِ بِهِ وَالِاعْتِضَادِ بِهِ؛ فَإِنَّ تَعَدُّدَ الطُّرُقِ وَكَثْرَتَهَا يُقَوِّي بَعْضَهَا بَعْضًا حَتَّى قَدْ يَحْصُلُ الْعِلْمُ بِهَا، وَلَوْ كَانَ النَّاقِلُونَ فُجَّارًا فُسَّاقًا، فَكَيْفَ إذَا كَانُوا عُلَمَاءَ عُدُولًا وَلَكِنْ كَثُرَ فِي حَدِيثِهِمْ الْغَلَطُ؟
وَمِثْلُ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيعَةَ فَإِنَّهُ مِن أَكَابِرِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ قَاضِيًا بِمِصْرِ كَثِيرَ الْحَدِيثِ لَكِنِ احْتَرَقَتْ كُتُبُهُ فَصَارَ يُحَدِّثُ مَنْ حِفْظِهِ فَوَقَعَ فِي حَدِيثِهِ غَلَطٌ كَثِيرٌ، مَعَ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى حَدِيثِهِ الصِّحَّةُ، قَالَ أَحْمَد: قَدْ أَكْتُبُ حَدِيثَ الرَّجُلِ لِلِاعْتِبَارِ بِهِ: مِثْلَ ابْنِ لَهِيعَةَ.

707 _[قواعد التحديث للقاسمي-(ص 69) وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي-(ج 1 / ص 119)].
708 _[قواعد التحديث للقاسمي-(ص 69) ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر-(ص 12) وشرح شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر-(ص 297)].

وَأَمَّا مَنْ عُرِفَ مِنهُ أَنَّهُ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ فَمِنهُمْ مَنْ لَا يَرْوِي عَنْ هَذَا شَيْئًا وَهَذِهِ طَرِيقَةُ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ، لَمْ يَرْوِ فِي مُسْنَدِهِ عَمَّنْ يَعْرِفُ أَنَّهُ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ؛ لَكِنْ يَرْوِي عَمَّنْ عَرَفَ مِنهُ الْغَلَطَ لِلِاعْتِبَارِ بِهِ وَالِاعْتِضَادِ.
وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ كَانَ يَسْمَعُ حَدِيثَ مَنْ يُكَذِّبُ وَيقول: إنَّهُ يُمَيِّزُ بَيْنَ مَا يُكَذِّبُهُ وَبَيْنَ مَا لَا يُكَذِّبُهُ، وَيُذْكَرُ عَنِ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ عَنِ الْكَلْبِيِّ وَيَنْهَى عَنِ الْأَخْذِ عَنْهُ وَيُذْكَرُ أَنَّهُ يَعْرِفُ، وَمِثْلُ هَذَا قَدْ يَقَعُ لِمَنْ كَانَ خَبِيرًا بِشَخْصٍ إذَا حَدَّثَهُ بِأَشْيَاءَ يُمَيِّزُ بَيْنَ مَا صَدَقَ فِيهِ وَمَا كَذَبَ فِيهِ بِقَرَائِنَ لَا يُمْكِنُ ضَبْطُهَا، وَخَبَرُ الْوَاحِدِ قَدْ يَقْتَرِنُ بِهِ قَرَائِنُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ صَدَقَ، أَوْ تَقْتَرِنُ بِهِ الْقَرَائِنُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَذَبَ"([709]).

وقال السخاوي: "ولا يقتضي ذلك الاحتجاج بالضعيف، فإنَّ الاحتجاج إنما هو بالهيئة المجموعة كالمرسل حيث اعتضد بمرسل آخر، ولو كان ضعيفاً كما قاله الشافعي والجمهور، وكذلك يقوَى الحديثُ إنْ كان له متابعٌ مثلُه فأكثرُ، أو كان لهُ شاهدٌ بلفظهِ أو معناهُ، أو آيةٌ قرآنيةٌ، أو عمِلَ بهِ كثيرٌ منَ العلماء السابقينَ، أو تلقَّوهُ بالقبولِ ونحو ذلك"([710]).

حكمُ العملِ بالحديثِ الضعيفِ ضعفاً يسيراً:
لقد اتفق أهلُ العلم على الأمور التالية:

1- لا يجوزُ العملُ بالحديثِ الضعيفِ في العقائدَ، ولا بأصولِ العباداتِ أو المعاملاتِ.
فإن أكثرَ أهلِ العلم على أنَّ العقائدَ تبنَى على الحديثِ المتواترِ والمعلومِ منَ الدِّينِ بالضرورةِ والبداهةِ، وهو ما يفيدُ القطعَ واليقينَ، وبعضهُم جوَّزَ العملَ بالحديثِ الصحيحِ في بناءِ العقيدةِ.

2- لا يجوزُ الاعتمادُ على الحديثِ الضعيفِ في بناءِ الأحكامِ العمليةِ المشهورةِ:
إذ كيف تكون مشهورةً، ولا يوجدُ حديثٌ صحيح تعتمِدُ عليه؟!!.

3- لا يجوزُ العملُ بالحديثِ الذي اشتدَّ ضعفُه أو ما كانَ موضوعاً مطلقاً؛ لا في أحكامٍ شرعيةٍ، ولا في فضائلِ الأعمالِ، ولا تحلُّ روايتُهُ إلَّا على سبيلِ القدحِ والتنفيرِ منهُ.

واختلفوا فيما سوى ذلكَ في الأخذ بالضعيف على ثلاثةِ مذاهبَ:

المذهبُ الأولُ: لا يعملُ به مطلقاً لا في الفضائلِ ولا في الأحكامِ، وهذا المذهب حكاهُ ابن سيد الناس عن الإمام يحيى بن معين، وإليه ذهب أبو بكر ابن العربي، والظاهر أنه مذهبُ البخاري ومسلم لما عرفناه من شروطهما للصحيح، وهو مذهب ابن حزم الظاهري والشهاب الخفاجي والجلال الدواني وغيرهم.

قال ابن حزم: "والخامسُ شيءٌ نقل كما ذكرنا إما بنقل أهل المشرق والمغرب أو كافة عن كافة أو ثقة عن ثقة حتى يبلغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن الطريق فيه رجلٌ مجروحٌ يكذب أو فيه غفلةٌ أو مجهولُ الحال فهذا أيضاً يقول: به بعض المسلمين، ولا يحلُّ عندنا القولُ به ولا تصديقُه ولا الأخذُ بشيء منه"([711]).

المذهبُ الثاني: يعملُ بالحديث الضعيف مطلقاً:

---

709 _[مجموع الفتاوى (ج 18 / ص 26)].
710 _[قواعد التحديث للقاسمي-(ص 69) وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث-(ج 1 / ص 66) وتدريب الراوي ص 104 و فتح المغيث 42/1-والرسالة للشافعي 461-462 و شرح شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر-(ص 408)].
711 _[الفصل في الملل والأهواء والنحل-(ج 1 / ص 130 و180). وراجع هذا الرأي في : قواعد التحديث للقاسمي-(ص 72) و تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي-(ص 232) و ومجموع الفتاوى (ج 18 / ص 65) وتيسير مصطلح الحديث (ص 12) ومنهج النقد في علوم الحديث (ص 292)].

وعزيَ هذا إلى أبي داود والإمام أحمد وأنهما يريانِ ذلك أقوى من رأي الرجال، وهذا محمولٌ على الضعيفِ غير شديدِ الضعفِ ولا موضوعٍ كما مرَّ.
ويظهر هذا لنا جليّاً من خلال تخريج سنن أبي داود ومسند الإمام أحمد، ففيهما الصحيح والحسن والضعيف، بل الواهي أحياناً.

قال الذهبي: "قال ابْنُ السَّمَّاكِ: حَدَّثَنَا حَنْبَلٌ، قَالَ: جَمَعَنَا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، أَنَا وَصَالِحٌ وَعَبْدُ اللهِ، وَقَرَأَ عَلَيْنَا (المُسْنَدَ)، مَا سَمِعَهُ غَيْرُنَا.
وَقَالَ: هَذَا الكِتَابُ جَمَعتُهُ وَانتَقَيتُهُ مِن أَكْثَرَ مِن سَبْعِ مائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِيْنَ أَلْفاً، فَمَا اختَلَفَ المُسْلِمُوْنَ فِيْهِ مِن حَدِيْثِ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَارْجِعُوا إِلَيْهِ، فَإِنْ وَجَدتُمُوهُ فِيْهِ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ بِحُجَّةٍ.
قُلْتُ: فِي (الصَّحِيْحَيْنِ) أَحَادِيْثُ قَلِيْلَةٌ لَيْسَتْ فِي (المُسْنَدِ).
لَكِنْ قَدْ يُقَالُ: لاَ تَرِدُ عَلَى قَوْلِهِ، فَإِنَّ المُسْلِمِيْنَ مَا اخْتَلَفُوا فِيْهَا، ثُمَّ مَا يَلزَمُ مِن هَذَا القَوْلِ: أَنَّ مَا وُجِدَ فِيْهِ أَنْ يَكُوْنَ حُجَّةً، فَفِيْهِ جُمْلَةٌ مِنَ الأَحَادِيْثِ الضَّعِيفَةِ مِمَّا يَسُوغُ نَقلُهَا، وَلاَ يَجِبُ الاحْتِجَاجُ بِهَا، وَفِيْهِ أَحَادِيْثُ مَعْدُوْدَةٌ شِبْهُ مَوْضُوْعَةٍ، وَلَكِنَّهَا قَطْرَةٌ فِي بَحرٍ"([712]).

المذهبُ الثالثُ: يعملُ به في الفضائل والمواعظ ونحو ذلك بشروطٍ وقد ذكرها ابن حجر وهي:

1- أنْ يكونْ الضعفُ غيرَ شديدٍ، فيخرجُ من انفردَ من الكذابين والمتهمين بالكذب، ومن فحُش خطأُه، وقد نقل العلائيُّ الاتفاقَ على هذا الشرط.
ومن ثم فلا تجوز روايته، ولو كان في الترغيب والترهيب إلا على سبيل بيان حاله لكي لا يغترَّ به أحد.
قلتُ: ويخدشُ هذا الشرط والاتفاق عليه قول النووي في الأذكار: "قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم: يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً"([713]).

وقوله في التقريب: "ويَجُوز عِنْد أهل الحديث وغيرهم التَّساهُل في الأسَانيد، ورِوَاية ما سِوَى الموضُوع من الضَّعيف، والعمل به من غير بَيَان ضعفه، في غير صِفَات الله تعالى، والأحْكَام كالحَلالِ والحَرَام، ومِمَّا لا تعلُّق له بالعَقَائد والأحْكَام"([714]).
ولم يعترض عليه السيوطي في كتابه([715]).

وقال ابن الصلاح: "يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد، ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة، من غير الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ، والقصص، وفضائل الأعمال، وسائر فنون الترغيب والترهيب، وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد"([716]).

وقال العراقي في شرح ألفيته: "وأمّا غيرُ الموضوعِ فجوّزوا التساهُل في إسنادِهِ وروايتِهِ من غيرِ بيانٍ لضَعْفِهِ إذا كانَ في غيرِ الأحكامِ والعقائدِ، بلْ في الترغيبِ والترهيبِ، من المواعظِ والقصصِ، وفضائلِ الأعمالِ، ونحوِها"([717]).

---

712 _[انظر سير أعلام النبلاء (329/11) ، وانظر فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (ج 1 / ص 83) والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد (ص 44) وراجع هذا الرأي في : وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ص 70) وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (ج 1 / ص 233) والنكت على ابن الصلاح (ج 1 / ص 436) وتوضيح الأفكار (ج 1 / ص 197) ومنهج النقد في علوم الحديث ص 277].
713 _[الأذكار للنووي (ج 1 / ص8)].
714 _[التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث (ج 1 / ص 6)].
715 _[تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (ج 1 / ص 232)].
716 _[مقدمة ابن الصلاح (ص 19)، ومثله في قواعد التحديث للقاسمي ص 114، وتوجيه النظر للجزائري (ج 3 / ص 40) وسكتنا عليه، وسكت عليه العراقي في الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح (ج 1 / ص 233)].
717 _[شرح التبصرة والتذكرة (ج 1 / ص 101) وبنحوه في فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (ج 1 / ص 272)].

وهو رأي ابن تيمية كذلك، حيث قال: "وَهَذَا كالإسرائيليات يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى مِنهَا مَا لَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ كَذِبٌ لِلتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ فِيهَا عُلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِهِ فِي شَرْعِنَا وَنَهَى عَنْهُ فِي شَرْعِنَا"([718]).

وقال أيضاً: "إِذَا رُوِيَ حَدِيثٌ فِي فَضْلِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ الْمُسْتَحَبَّةِ وَثَوَابِهَا وَكَرَاهَةِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ وَعِقَابِهَا فَمَقَادِيرُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَأَنْوَاعُهُ إذَا رُوِيَ فِيهَا حَدِيثٌ لَا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَوْضُوعٌ جَازَتْ رِوَايَتُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ"([719]).

2- أنْ يندرجَ تحتَ أصلٍ عامٍّ معمولٍ بهِ منْ أصول الشريعة، فيخرجُ ما يخترَعُ بحيثُ لا يكون لهُ أصلٌ أصلاً.
أي أن يكون الحديثُ له أصلُ صحيح ثابت في الكتاب أو السُّنَّة، مثاله: لو جاءنا حديث يرغِّب في بر الوالدين، وحديث آخر يرغب في صلاة الجماعة، وآخر يُرغب في قراءة القرآن وكلها أحاديث ضعيفة، ولكن قد ورد في بر الوالدين، وفي صلاة الجماعة، وفي قراءة القرآن أحاديث صحيحة ثابتة في الكتاب والسُّنَّة، فعندئذٍ فلا حرج في العمل به.

3- أنْ لا يعتقدَ عندَ العملِ به ثبوتَه، لئلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، بلْ يُعتقدُ الاحتياطَ([720]).
لأنه لا يجوز أن يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حديثاً إلا إذا كان قد صحَّ عنه ذلك.

فصفوة القول أن العلماء رحمهم الله قد اختلفوا في حكم العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال على ثلاثة أقوال:

_**القول الأول:** يعمل به مطلقاً.
وإلى هذا القول ذهب جمهور العلماء؛ منهم أحمد في أحد القولين عنه.
وعُزي إلى عبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، وسفيان الثوري، وبه يقول ابن عبد البر رحمه الله.
وبالغ النووي فقال: "قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم: يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً"([721]).
وقال رحمه الله: "اتفق العلماء على جواز العلم بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال([722]).

_**القول الثاني:** لا يعمل به مطلقاً.
وإلى هذا القول ذهب جمع من أهل العلم؛ منهم: الإمام مسلم رحمه الله؛ فإنه قال في مقدمة صحيحه: "اعلم وفقك الله أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين: أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع..".

وقال رحمه الله بعدما ذكر وجوب الكشف عن معايب الرواة قال: "وإنما ألزموا أنفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث وناقلي الأخبار، وأفتوا بذلك حين سئلوا لما فيه من عظيم الخطر؛ إذ الأخبار في أمر الدين إنما تأتي بتحليل أو تحريم أو أمر أو نهي أو ترغيب أو ترهيب".

قال ابن رجب رحمه الله: "وظاهر ما ذكره مسلم في مقدمة كتابه يقتضي أنه لا يروي أحاديث الترغيب إلا عمن تروى عنه الأحكام"([723]).

---

718 _[مجموع الفتاوى (ج 1 / ص 251)].
719 _[مجموع الفتاوى (ج 18 / ص 66) وذكره هنا ثلاث مرات مجموع الفتاوى (ج 1 / ص 250) فما بعد].
720 _[تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي-(ج 1 / ص 233) وقواعد التحديث للقاسمي-(ص 76)].
721 _[الأذكار النووية (82/1-الفتوحات الربانية)].
722 _[مقدمة الأربعين النووية].
723 _[شرح علل الترمذي (373/1)].

وهذا ظاهر كلام ابن حبان رحمه الله في كتابه المجروحين فإنه أوجب في المقدمة لمن يروي الحديث، التمييز بين الصحيح والسقيم ولم يفرق بين ما كان في فضائل الأعمال وبين ما كان في الأحكام([724]).

وممن قال أيضاً: إنه لا يعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال: ابن العربي رحمه الله، صاحب كتاب "أحكام القرآن" في أحد قوليه والخطابي صاحب "معالم السنن"، وابن حزم نص في غير كتاب من كتبه، وأبو شامة رحمه الله في كتابه "البدع والحوادث".

وأما ابن تيمية رحمه الله؛ فإنه قال: "ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة، لكن أحمد بن حنبل وغيره من العلماء جوزوا أن يروى في فضائل الأعمال ما لم يعلم أنه ثابت إذا لم يعلم أنه كذب، وذلك أنَّ العمل إذا علم أنه مشروع بدليل شرعي، وروى في فضله حديث لا يعلم أنه كذب؛ جاز أن يكون الثواب حقاً، ولم يقل أحد من الأئمة: إنه يجوز أن يجعل الشيء واجباً أو مستحباً بحديث ضعيف، ومن قال هذا؛ فقد خالف الإجماع، وهذا كما أنه لا يجوز أن يحرم شيء إلا بدليل شرعي، ولكن إذا علم تحريمه، وروي حديث في وعيد الفاعل له، ولم يعلم أنه كذب؛ جاز أن يرويه، فيجوز أن يروي في الترغيب والترهيب ما لم يعلم أنه كذب، لكن فيما علم أن الله رغب فيه أو رهب منه بدليل آخر غير هذا الحديث المجهول حاله.
وهذا كالإسرائيليات، يجوز أن يروي منها ما لم يعلم أنه كذب للترغيب والترهيب فيما علم أن الله تعالى أمر به في شرعنا ونهى عنه في شرعنا، فأما أن يثبت شرعاً لنا بمجرد الإسرائيليات التي لم تثبت؛ فهذا لا يقوله عالم، ولا كان أحمد بن حنبل وأمثاله من الأئمة يعتمدون على مثل هذه الأحاديث في الشريعة، ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن؛ فقد غلط عليه...."([725]).

_القول الثالث:
لا يعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال إلا بشروط:

الشرط الأول: أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج ما انفرد به راوٍ من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه.
ونقل الحافظ العلائي الاتفاق على هذا الشرط.
فعلى نقل العلائي الاتفاق، يكون هذا الشرط مقيدا للقول الأول إن صح نقل الإتفاق؛ لأن غير واحد من الأئمة يطلقون العمل به من غير شرط.

الشرط الثاني: أن يكون الحديث الضعيف مندرجاً تحت أصل عام.

الشرط الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته؛ لئلا ينسب إلى النبي ما لم يقله، بل يعتقد الاحتياط([726]).

وينبغي أن يزاد على هذه الشروط الثلاثة شرط رابع عند من يرى العمل بالحديث الضعيف بالشروط المتقدمة وإن كنا لا نرى هذا، وهو ما قاله ابن تيمية رحمه الله: "فإذا تضمنت أحاديث الفضائل الضعيفة تقديراً وتحديداً؛ مثل صلاة في وقت معين بقراءة معينة أو على صفة معينة؛ لم يجز ذلك (أي: العمل بها)"([727]).

---

[724] _[المجروحين لابن حبان (6/1، 7، 25)].
[725] _[الفتاوى (ج250/1)].
[726] _[انظر: "تحفة الأبرار" للسيوطي (ص33)].
[727] _[الفتاوى (67/18)].

خاتمة الكتاب

إنّ متاع الدنيا واقع مشهود، ونعيم الجنة غيب موعود، والناس يتأثرون بما يرون ويشاهدون، ويثقل على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي، فكيف إذا كان الموعود ينال بعد الموت؟.

من أجل ذلك قارن الحق تبارك وتعالى بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبيّن أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان فضل الآخرة، وما ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها.

وتجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع كثيرة، كقوله تعالى: **{لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ}**([728]).

وقوله: **{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ}**([729]).

وقال في موضع ثالث: **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}**([730]).

هي جنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون، فسَلْ واسأل عمّا بدا لك عن نعيمها ومتاعها، فإن سألت:

عن أرضها وتربتها، فهي المسك والزعفران...
وإنْ سألت عن سقفها، فهو عرش الرحمن...

وإنْ سألت عن بلاطها، فهو المسك الأذفر....
وإنْ سألت عن حصبائها، فهو اللؤلؤ والجوهر...

وإنْ سألت عن بنائها، فلبنة من فضة ولبنة من ذهب...
وإنْ سألت عن أشجارها، فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب...

وإنْ سألت عن ثمرها، فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل...
وإنْ سألت عن ورقها، فأحسن ما يكون من رقائق الحلل...

وإنْ سألت عن أنهارها، فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين...
وإنْ سألت عن طعامهم، ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون...

وإنْ سألت عن شرابهم، فالتسنيم والزنجبيل والكافور...
وإنْ سألت عن آنيتهم، فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير...

---

728 _[آل عمران: 198].
729 _[طه: 131].
730 _[آل عمران: 14-15].

وإنْ سألت عن سعة أبوابها، فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام.

وإنْ سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها.
وإنْ سألت عن ظلّها، ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها.

وإنْ سألت عن سعتها، فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.
وإنْ سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درّة مجوّفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام.

وإنْ سألت عن علاليها وجواسقها، فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار.
وإنْ سألت عن ارتفاعها، فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإنْ سألت عن لباس أهلها، فهو الحرير والذهب.
وإنْ سألت عن فرشها، فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب.

وإنْ سألت عن أرائكها، فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال، مزرّرة بأزرار الذهب فما لها من فروج ولا خلال.

وإنْ سألت عن وجوه أهلها وحسنهم، فعلى صورة القمر.
وإنْ سألت عن أسنانهم، فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر.

وإنْ سألت عن سماعهم، فغناء أزواجهم من الحور العين...
وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيّين..
وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإنْ سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله مما شاء، يسير بهم حيث شاؤوا من الجنان.
وإنْ سألت عن حليهم وشارتهم، فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان.

وإنْ سألت عن غلمانهم، فولدان مخلدون، كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإنْ سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب، اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب.
فللورد والتفّاح، ما لبسته الخدود..
وللرمّان، ما تضمّنته النهود.

واللؤلؤ المنظوم، ما حوته الثغور..
وللرقة واللطافة، ما دارت عليه الخصور.

تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت..
ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت.

إذا قابلت حبّها، فقل ما تشاء في تقابل النيرين...

وإذا حادثته، فما ظنّك بمحادثة الحبيّن..
وإنْ ضمّها إليه، فما ظنّك بتعانق الغصنين.

يرى وجهه في صحن خدّها...
كما يرى في المرآة التي جلاّها صيقلها..
ويرى مخ ساقها من وراء اللحم، ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها.

لو اطّلعت على الدنيا، لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً..
ولاستنطقت أفواه الخلائق، تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً.

ولتزخرف لها ما بين الخافقين..
ولا غمضت عن غيرها كل عين.

ولطمست ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم..
ولآمن من على ظهرها بالله الحيِّ القيّوم.

ونصيفها على رأسها، خير من الدينا وما فيها..
ووصالها، أشهى إليه من جميع أمانيها.

لا تزداد على طول الأحقاب، إلا حسناً وجمالاً..
ولا يزداد لها طول المدى إلا محبةً ووصالاً.

مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس..
مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس.

لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها...
ولا يخلق ثوب جمالها..
ولا يمل طيب وصالها.

قد قصرت طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه..
وقصر طرفه عليها، فهي غاية أمنيته وهواه.

إنْ نظر إليها، سرّته...
وإنْ أمرها بطاعته، أطاعته..
وإنْ غاب عنها، حفظته.

فهو معها في غاية الأماني والأمان..
هذا ولم يطمثها قبله أنس ولا جان.

كلّما نظر إليها، ملأت قلبه سروراً...

وكلما حدّثته، ملأت أذنه لؤلؤاً منظوراً ومنثوراً..
وإذا برزت، ملأت القصر والغرفة نوراً.

وإنْ سألت عن السن، فأتراب في أعدل سن الشباب.

وإنْ سألت عن الحسن، فهل رأيت الشمس والقمر..
وإنْ سألت عن الحدق، فأحسن سواد، في أصفى بياض، في أحسن حور.

وإنْ سألت عن القدود، فهل رأيت أحسن الأغصان...
وإنْ سألت عن النهود، فهن الكواعب نهودهن كالطف الرمان..
وإنْ سألت عن اللون، فكأنه الياقوت والمرجان.

وإنْ سألت عن حسن الخلق، فهن الخيّرات الحسان، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان.
فأعطين جمال الباطن والظاهر..
فهن أفراح النفوس قرة النواظر.

وإنْ سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك، فهن العرب المتحبّبات إلى الأزواج، بلطافة التبعّل التي تمتزج بالروح أي امتزاج.

فما ظنّك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها، أضاءت الجنة من ضحكها..
وإذا انتقلت من قصر إلى قصر، قلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها.

وإذا حَاضَرَت زوجها، فيا حسن تلك المحاضرة..
وإنْ خاصرته، فيا لذّة تلك المعانقة والمخاصرة.

وحديثها السحر الحلال لو أنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي حدّثت ... ودّ المحدّث أنها لم توجز

وإنْ غنّت، فيا لذة الأبصار والأسماع..
وإنْ أنست وأمتعت، فيا حبّذا تلك المؤانسة والإمتاع.

وإنْ قبّلت، فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل..
وإنْ نوّلت، فلا ألذّ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا، وإنْ سألت عن يوم المزيد...
وزيادة العزيز الحميد..
ورؤية وجهه المنزّه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد، من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد رضي الله عنهم جميعاً، فاستمع يوم ينادي المنادي:

يا أهل الجنة: إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم، فحيَّ على زيارته.
فيقولون: سمعاً وطاعةً، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً وجمعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحداً؛ أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيّه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، وجلس أدناهم، وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء، على كثبان المسك وما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرّت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة، إنَّ لكم عند الله موعداً يريد أنْ ينجزكموه.
فيقولون: ما هو؟.
ألم يبيّض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار.

فبينما هم كذلك، إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبار جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلامٌ عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام.
فيتجلّى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعونه منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد.
فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضينا فأرض عنا.
فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي؛ هذا يوم المزيد فاسألوني.
فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه.

فيكشف لهم الرب جلَّ جلاله الحجب، ويتجلّى لهم، فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة، حتى أنه ليقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا.
فيقول: يا رب ألم تغفر لي فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيا لذّة الأسماع، بتلك المحاضرة...
ويا قرّة عيون الأبرار، بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلّة الراجعين بالصفقة الخاسرة: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}**([731]).

فحيَّ على جنات عدن فإنها	منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى	نعود إلى أوطاننا ونسلم

وفي مسك ختامنا للكتاب، ندعو بما دعا به رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ**

[731] _[القيامة: 22-25].

عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَداً"([732]).

اللهمَّ إنا نسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع...
ونسألك الرضا بالقضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت...
ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضرّاء مضـرّة، ولا فتنـة مضلَّة...
اللهمَّ زينّا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين...
اللهمَّ حسّن أعمالنا، وحقِّق آمالنا، واختـم بالصـالحات آجالنا...
اللهمَّ شافِ مرضانا، وعافِ مبتلانا، وارحم موتانا واجعلِ الجنّة مسكنّا ومأونا...
اللهمَّ لا تجعل فينا، ولا منّا، ولا معنا شقيّاً ولا محروماً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بقي معنا من الشعر أبيات:

هذا وخاتمة النعيم خلودهم ... أبدا بدار الخلد والرضوان
أو ما سمعت منادي الإيمان ... يخـبر عن مناديهم بحسن بيان
لكم حياة ما بها موت ... وعافية بلا سقم ولا أحزان
ولكم نعيم ما به بؤس وما ... لشبابكم هرم مدى الأزمان
كلا ولا نوم هناك يكون ذا ... نوم وموت بيننا إخوان
هذا علمناه اضطرارا من كتاب ... الله فافهم مقتضى القرآن

تم الانتهاء والفراغ من الكتاب سنة ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م
الموافق ليوم الثلاثاء من الخامس عشر لشهر شوّال والحمد لله رب العالمين.

732 _[حديث صحيح أخرجه أحمد وابن ماجه والأرناؤوط والألباني].

"معلومة قد تهمّك أخي القارئ"

إحصاء الأحاديث في هذا الكتاب:

289 حديث صحيح.

5 أحاديث صحيحة لغيرها.

37 حديث حسن.

10 أحاديث حسنة لغيرها.

79 حديث ضعيف.

6 أحاديث ضعيفة جداً.

426 هو مجموع الأحاديث المخرّجة والمحكوم عليها بالتصحيح والتحسين والتضعيف.

فهرس الكتاب

تم بحمد الله


جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف و يسمح بنشره
على كافة مواقع التواصل الاجتماعي
حتى تعم الفائدة للجميع بشرط ذكر المصدر